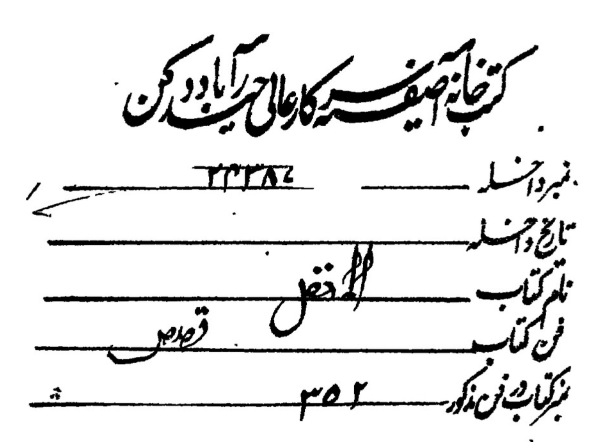




ادب صريح

المغفل ....

وقصص أخرى

صور من الحياة المصرية

بقلم

عبد الله حبيب

عنيت بنشره مكتبة الوفد

لصاحبها محمد محمود

بمصر

يباع في المكاتب الشهيرة بمصر والاقطار العربية

كلمة الناشر

اتقدم للقراء بهذا السفر القيم للكاتب الكبير، الاستاذ عبد الله افندى حبيب، برآ بوعدى لهم فى اصدار نفائس الأدب العصرى، بين منثور ومنظوم. وقد أصدرت فعلا من قبل عدداً من الكتب الممتازة، أذكر منها كتاب (مختار القصص) وكتاب (مصارع الخلفاء) للاستاذ الكاتب المتفنن كامل افندى كيلاني وكتاب (الأدب الحى) للأديب المجدد الاستاذ ابراهيم افندى المصرى ومذهب النشوء والارتقاء (لاسماعيل بك مظهر) ويوليوس قيصر للكاتب الكبير محمد بك السباعى (وابو حامد الغزالى) لمحمد افندى رضا الخ...

وسأتبع هذه المؤلفات بغيرها لمشاهير كتابنا وشعرائنا تدريجيا، راجياً أن استحق بذلك رضاء القراء ومؤازرتهم، وأن أؤدى ما على من واجب لخدمة الأدب العصرى؟

محمد محمود

(صاحب مكتبة الوفد)

الفهرست

مقدمة الناشر
الاهداء
تمهيـــد
مقدمة تحليلية بقلم الكاتب الكبير
عباس محمود العقاد
(١) المغفل
(١٣) ثمن البنزين
(٣٢) الشيخ عبد الله
(٤٩) الشحاذ الأعمى
(٥٥) صديقي المحبوب
(٧٢) السارق
(٨٣) مجنون ليلى السوداني
(٩٠) الجندي
(١٠٥) وساوس المرآة
(١١٣) اللآلىء الخداعه
(١٢٩) مملكة الدراويش
(١٤١) لله يا اسيادى
(١٤٩) اسماعيل الحلبي
(١٥٣) البرنس
(١٦٠) الحاجه زهره
(١٦٨) ستيته الشحاذه
(١٧٥) الكونت دى ملوى
(١٨١) فتواية سوق الخضار
(١٨٩) موت محقق
(١٩٧) الغريق
(٢٠٩) أبو صلاح ملك الربابة
(٢١٦) السجين
(٢٢٢) المأمور الساحر
(٢٢٦) الشيخ احمد



الإهداء

الى شقيقى الاستاذ السعيد حبيب المحامى

شقيقي العزيز

كنتُ نضو اعتقال واضطهاد يوم بدأت أ كتب أولى هذه القصص منذ عشرة أعوام، ولم أ كن يومئذ أحفل بنشرها

ثم نلت « إجازتي العلمية » بعد ذلك باعوام قلائل ، واضطلعت بعملى الحكومى فلم تصرفنى شواغل الحياة عن مواصلة الكتابة

وكنت أؤجج فى نفسك نار الوطنية بما أبعث به اليك من كتب ورسائل ـ فى فجر النهضة ـ أيام كنت طالبا بمدرسة المنصورة الثانوية الاميرية وكنت تستزيدني منها وتستوضحنى أخبار العاصمة ابان الثورة لتقود صفوف طلاب مدرستك عن علم وبينة ، ثم نلت شهادة البكالوريا وحضرت إلى القاهرة فغامرت معنا فى سبيل نصرة البلاد ماشاء الشباب أن نغامر ، وتعشقت دراسة القانون فرحت

تنهل من مورده دون أن يصرفك واجبك العلمى عن واجبك الوطنى

ثم اصطفاك الرفاق لتكون من صفوفهم فى الطليعة ، فكنت الجرىء القوى الايمان ، لم يغرك وعد ، ولم يرهبك وعيد

يومئذ اضطغنت عليك الرجعية ، واضطرم أوار غيظها فأقصتك يد الظلم عن معهدك قرابة عامين ، فما وهن لك عزم ، وما تضعضع منك إيمان وبقيت ترسل على أعداء الحرية من قلمك لفحات متأججة مستعرة فلم تخش فى الحق بطش الظالمين حتى دالت دولة المتجبرين

وعدت إلى معهدك ، فكنت فى المقدمة بين الناجحين كما كنت فى المقدمة بين المجاهدين

ونلت فى هذا العام « إجازة الحقوق » فضربت للشباب مثل الفوز للعاملين

.. وهذه صور من الحياة المصرية التى تحبها وتقدسها صغتها قصصا صغيرة وأخرجتها للناس كتابا ،

فوفاء لماضيك ، وإعجابا بحاضرك ، وتذكارا لنجاحك أهدى اليك هذا الكتاب ؟

عبد الله حبيب

☆ تمهـــــــيد ☆

ليس لدى ماأقول فى صدد هذه القصص سوى انها صور من الحيـاة المصرية . بعضهاقوى عنيف ، وبعضها وصفي هادىء ، واننى نشرت معظمها بمجلة « الفكاهة » الغراء فلقي من اعجاب القراء ومن تقديرهم اكثر مما كنت أتوقع

ولست اقدم هذا الكتاب بشىء من التردد أو التهيب ، لأننى أعلم أن « فن القصة القصيرة » فى آدابنا العربية لايزال ناشئا ، وحسبي ان اكون أحد أولئك النفر القليل من كتاب مصر الذين تضافروا على بناء هذا الفن وهو فى اشد الحاجة الى النصراء والعاملين

ولقد ضاعف سرورى حيال اخراج هذا الكتاب أن تفضل الصديق الوفى الكريم الاستاذ الكبير عباس محمود العقاد بوضع مقدمته ، فله الشكر الجزيل على حسن ظنه بمجهودى .

وأسأل الله أن يهبنا السداد والتوفيق ؟

« عبد الله حبيب »

مصر الجديده فى ١٠ أغسطس سنة ١٩٣٠

مقدمة

« القصـــــــة »

« بقلم الكاتب الكبير الاستاذ عباس محمود العقاد »

للقصة شأن فى حياة الانسان من طفولته النامية الى شيخوخته الفانيه ، ففي عهد الطفولة ينظر الوافد الجديد الى هـــذه الدنيا فيستعجل العلم بكل مافيها من الظواهر والاسرار ، ويلتهم القصص التهاما لانها تقوم عنده ـ مرة واحدة ـ مقام العلم والفن و الخبرة والدين والسرور ، و يرى الدنيـــا كلها اطيافا وأرواحا لأنه لايستطيع أن يراها حقائق وافكارا . فلا تجـد طفلا الا وهو محب للقصة أو الخرافة مستجمع فيهـــا كل ما يدركه خياله من صور الحياة

فاذا أيفع وتنبه فيه ذلك الشعور الغريب المسمى الحب دخل من الحياة في طفولة جديدة تريه الدنيا مرة اخرى وكأنه يراها أول مرة ، فيشغف بالقصة فى هـــذه الطفولة الجديدة اشد من شغفه بها فى طفولته الاولى ويحب ان يرى لعواطفه وأحاسيسه أمثلة اخرى فى سير الابطال والعشاق كأنه المشدوه لفرط ما يفاجئه من الشعور

فلا يزال محتاجا الى توكيد بعد توكيد ومثال بعد مثال

ثم يدخل فى عداد الرجال فيعرف الحياة وتلجئه المعرفة الى السلوى والتأسى والاعتبار بالحوادث فيأنس الى القصة ويستريح الى أخبار الناس ، ويحب من حين الى حين أن يستعيد غرارات الصبا واشواقه فيقرأ القصه ويؤخذ بما فيها من شواهد الصدق والعلم وحسن التمثيل. أما في الشيخوخة فهو يفرغ من العمل والتجربة والمشاهدة فلا يبقى له الا أن يقص مارآه أو يستمع الى قصص الآخرين

ولاتحسب الامة الا كالفرد فى هذه العنايةبالأقاصيص ، فهى من عهد الهمجية الى عهد الحضارة لاتخلو من القصة الصغيرة فى عصر من العصور ، ويخطىء من يظن القصة الصغيرة شيئا حديثا من مبدعات هذه الأيام ، فهى من أقدم ماعرفته الامم فى آدبها ولا يرد على الخاطر انها شيء حديث الا لأنها ذاعت كثيرا بعد نشأة الصحافة اليومية والاسبوعية وداخلها الافتنان لتعدد الكتاب واختلاف الامم ، فقيل ان القصة الصغيرة ظاهرة طريفة وليست الظاهرة الطريفة الا الأداة التى استخدمت لنشرها والافتنان فيها

والقصة الصغيرة فى اعتقادى لاتكون خليقة بأن تحسب من اعمال الفن والأدب الا اذا كانت شارحة أو واصفة أو محللة أو مسجلة ، وماعدا ذلك فهو حكاية لايجنى منها غير ازجاء الفراغ

فالقصة الشارحة هي التي تتناول فكرة معضلة لا تدرك الا بالتعمق واجهاد الذهن واطالة الروية فيتعهدها القاص بالتبسيط والتقريب حتى تلوح للقارىء وكأنها من المألوفات في علاقات الناس اليوميه ، فيخف محملها على الذهن وتعينه بعد ذلك على استكناه نظائرها بصدق الملاحظة وحسن التخريج

والقصة الواصفة هى التى تصور المناظر والعواطف تصويرا يشترك فيه الحس والخيال فتعرض على القارىء الوانا من جمال الطبيعة ودقائق الأطوار

والقصة المحللة هى التى ترد طبائع النفوس وأخلاقها الى بواعثها وأسبابها على منوال تختفي فيه الدراسه ويظهر فيه الأثر الفنى والالهام

والقصة المسجلة هى أشبه شيء بالصور التى يلتقطها السائح فى رحلاته من نماذج الوجوه والبلدان والمعالم والعادات ، ففيها تسجيل لما يراه وحفظ له من الضياع

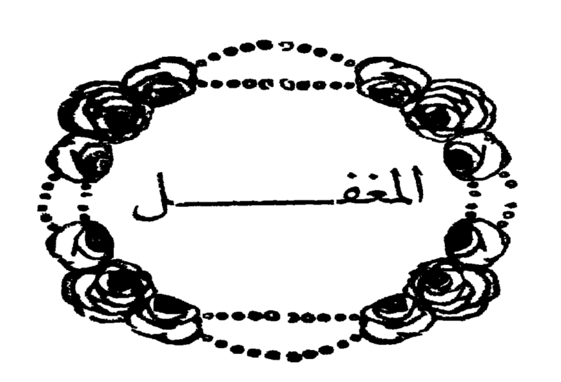
وقد قرأت فى هذه المجموعة للكاتب الاديب عبدالله افندى حبيب قصصا مسجلة واخرى واصفة من طراز جميل يضاهى أشباهه في قصص أشهر الكتاب الغربيين . فقصة « الشيخ عبد الله !!! » تحفظ لنا نموذجا من الحياة الازهرية ونظرة أهل الريف الى العلم والتقشف معا فى زمن يوشك ان يتغير ، وقصص « الشحاذ الاعمى » و« السارق !! » و « مجنون ليلى السودانى » و

« مملكة الدراويش » فيها تسجيل ووصف لحالات اجتماعية أو خلقية يزخر بها وطابَ الملاحظات والمأثورات فى هذه البلاد ،
والأديب صاحب هذه المجموعة يحسن حبك القصص وتدبير المفاجأة فيها احسانا يشهد له بالبراعة ويمتع القارىء بلذة الاستطلاع، ومن أفعل مفاجآته فى النفس ختام قصته « اللآلىء الخداعة » الذى يأخذ القارىء على غرة كما تأخذه حوادث الغيب المخبوء

وقد قرأت معظم المجموعة وعندى شواغل كثيرة تصرفنى عنها فوجدت فيها من الترغيب والتشويق ما يصرف الشواغل ويغرى بالمزيد

ولست اريد هنا أن أشير الى بعض الهفوات اللغوية التى لااخالها تخفي على الأديب صاحب المجموعة ، ولكنى أرى واجبا على أن اهنئه بهذه الباكورة المبشرة بما يليها وأرجو أن اهنئه بمجموعة اخرى يبلغ فيها مدى الافتنان فى ضروب القصص الصغيرة التى أرى فيه استعدادا لها أيما استعداد

« عباس محمود العقاد »


المغفـــــل

المغفل

كلما وصل بى « المترو » الى مستهل مصر الجديدة ومربى على الحديقة القائمة الآن مكان ملهى « لونابارك » القديم تذكرت صديقي المغفل .. وتذكرت قصته الطريفة التى لاأفتأ أتذكرها حيث كان هذا الملهى مسرحا لفصولها الاولى !!

صديقي حسنى افندى شاب فى السابعة والعشرين من عمره جميل الطلعة ، حسن الهندام ، يمرح فى ثراء والدته الارملة ، وهو وحيدها فى هذه الدنيا ، لاأمل لها فى الوجود الا أن تراه رجلا كامل الرجولة ، يحمل اسم أبيه ، ويجد فى حياته جـــد الرجال :

وهو طالب بكلية الحقوق يجتاز امتحانها عاما ويسقط عامين ، وليس سقوطه - كما يزعم دائما - إلا نتيجة جهل الاساتذة بوضع الاسئلة ، فهم جميعا جهلة لايعرفون مواقع الاسئلة من المقررات ، ولو أتيح له هو ان يصير مدرسا معهم لعرف كيف يضع الامتحان لزملائه الاقدمين من الطلاب « الغلابة » ذلك بأنه خبير بأوقات الطلاب طول العام ، وملم بسيرتهم فى الليالى الحمراء وعارف بضيق العشرين يوما الاخيرة من العام الدراسى عن الاحاطة بجميع المواد الدراســـية خصوصا « المدنى » وتعقيداته و « الدولى » وسخافته . فقد كان يستطيع . لو قدر له أن يكون مدرسا أن يحدد لطلابه النجباء مواضيع مخصوصة يسهل عليهم الالمام بها والاجابة على أسئلتها . أما طريقة الممتحنين « السئيلة » التى يسميها : (لبن سمك عسل تمر هنـــدى) فهى طريقة لاتعجبه ولا « يستخفش

دمها، لذلك تراه كلما لقيك ناقما على مدرسيه ناسبا سقوطه المتكرر لقسوتهم وجهلهم بأساليب العصر الحديث و كثرة مشاغله ومشاغل زملائه الطلاب فى مثل هذا الجيل

لقينى ذات يوم شارد اللب زائغ البصر . تبدو على وجهه سمات الحزن والتفكير

قلت له : ماذا أذهلك عن حديثنا ياحسنى

فزفر زفرة عميقة و أخذ يدى في يده ثم شد عليها ومال الى أذنى هامسا : هل تريد أن تعرف سبب همى ؟ إذن فاستأذن من أصحابك وتعال معى أحدثك حديث همى واكتئابى

قلت : حديث غرام ؟

فأرسل زفرة أحر و أعمق من سابقتها ثم قال:

وهل غير الغرام ياصاحبي !! اف ماأقتله وما أشد فواجعه

فضحكت وسللت يدى من يده وقلت : لا ياأخى كل شىء أسيغه منك و أقبله إلا الغرام وأحاديثه فلست أطيقه منك على الخصوص فأنت فى هذا المضمار البطل الذى لايشق له غبار . وفى كل يوم لك فيه موقعة أثر موقعة فدعنى أروح عن نفسى مع رفاقى وأسأل الله لك التوفيق

لم أكد أجيبه بهذا حتى رأيت وجهه يتجهم وشفتيه تضطربان بحركة عصبية ثم حاول الكلام فخانه لسانه وانسجمت الدموع من عينيه فى لهفة و تأثر ، وبعث منظره فى نفسى شفقة ورحمة لم أعهدهما من قبل فمسكت يده وشددت عليها معتذرا عن اجابتى الساخرة وقلت له : لم أكن أعلم ياصديقي أنك تجد فيما تقول

فانفرجت أسارير وجهه قليلا ثم قال :

بل أجد كل الجد ، ولست أعرف ماسيكون مصيرى هذه المرة ، فان الحب الذى أحببته قاتلى لامحالة

ولقد كنت أعرف عن صاحبي هذا أنه ساذج الى درجة « العبط » رغم مايبدو على سيمائه من دلائل الجد والحزم والاناقة فأحببت أن أستمع لقصة غرامه دون أن أبدى له سخرى من « قلة عقله » وسذاجته فقلت له :

ـ اذن فقل لى ياسيدى وثق انى مواسيك مااستطعت

واستأذنت من أصدقائى . ثم رافقته الى زاوية خالية من «جروبى» حيث تحلو له الخلوة هناك . ثم طفق يحدثنى عن غرامه الجديد

فقال والتأثر باد على وجهه ظاهر فى نبرات صوته :

ـ رأيتها ياصديقي فى « لونابارك » تتهادى وتتأود كما يتأود الغصن مال به النسيم هيفاء فاتنة اللمحات . مشرقة . كأنها بسمة الطبيعة في هذا الكون

قلت : آه إلى آخر القصيدة !! مفهوم . وبعدين ؟

فتجهم وجهه ثانية وقال غاضبا : لا . لا أطيق هذه السخرية ياصديقي فأما أن تسمع إلى النهاية وأما أن أنصرف على أن يكون هذا آخر العهد بينى وبينك

فابتسمت ابتسامة هادئة ثم قلت :

لا . لا . انى أداعبك لأسرى عنك بعض همك قل ولا تغضب

فاستأنف الحديث بنفس النغمة الحزينة الاولى قائلا :

.. وكانت تسير مع طفل صغير عرفت فيما بعد أنه أخوها

وخادمة زنجية نظيفة الثياب وقورة الخطوات تدل سيماها على رفعة البيت الذى تخدمه. ومشيت خلفها أتجه حيث تتجه «كعباد الشمس» لايتحول عن الشمس ولا يحيد. وتبادلنا النظرات فرنت الى فى حياء وخفر. وتشجعت قليلا فاقتربت منها والقيت عليها نظره واجد ملهوف وكأن هذه النظرةقد اخترقت شغاف قلبها فأرسلت زفرة حارة ثم دنت الى ثانية فى دل وتكسر كدت حيالها أثب اليها فأضمها بين ذراعى وألتهم خديها وشفتيها تقبيلا

وكدت أنا حين «تطور» إلى هذا الحد من حديث غرامه أن أهشم الكرسى الذى بجانبه على رأسه الفارغ المتخرب !! وتململت فى جلستى. وبدت على أسارير وجهى علائم الغيظ والمضايقة فلمح ذلك منى فقال:

مالك اليوم ضيق الصدر لاتطيق استماعا ؟

قلت عفوا ياصديقي. ان كنت لاحظت على شيئا من ذلك فالسبب فى هذا انى أعرف بقية قصتك وأستطيع الآن ان أتمها لك فى ثلاث كلمات. ثم أستطيع أن أصف لك العلاج الذى يضمن لك الشفاء فى ساعة واحدة

فضحك ضحكة عالية ثم قال:

— أأصبحت منجما فى هذه الايام وطبيبا للمحبين فى وقت واحد ؟

قلت:

- سأبرهن لك على ذلك فهل تمتحننى. وتسمح لى أن أتم حديثك بالدقة التامة كما لوكنت معك؟ واذا نجحت فى هذا

الامتحان وقصصت عليك بقية القصه فهل تقبل العلاج الذى سأضعه لك

فنظر الى نظرة شزراء ثم قال ساخراً:

ولك فوق ذلك هدية ثمينة أترك لك اختيار ها مهما بلغت قيمتها

قلت .

ـ ولو كانت ساعة ذهبية بعشرين جنيها مثلا ؟..

قال .

ـ ولو كانت بخمسين

قلت :

ـ اذن فاسمع :

... وبعد النظرة التى اخترقت شغاف قلبها الخ ... تشجعت مرة ثانية ثم همست فى أذنها بكلمات مضطربة متلعثمة ، فنفرت منك وارتاعت ، وتشجعت مرة ثالثة فدنوت أكثر من ذى قبل وجمعت كل اطراف بسالتك فهمست فى أذنها بكلمات أخرى فانفرجت شفتاها بكلمات خافتة مذعورة لم تتبينها جيداً ثم زالت وحشة نفسك وذهب خوفك فسرت بجانبها وكلام وابتسام وتمنع ثم استسلام !!! وفى هذه اللحظة دنت الخادمة الزنجية من سيدتها المصونة فمالت الى أذنها ودار بينهما هذا الحديث أو ما يقرب منه:

ـ يا عيب الشوم ياستى ولما تسألنى ستى الكبيرة أعمل ايه ، لا ، لا ، ياستى ان الله الغنى عن كده أنا رايحه مروحه ومليش دعوة بكده

ـ اخص عليك يا « زهره » وأنا برده أهون عليكى والنبى يا زهره دمه خفيف !!

ويطول الحوار بينهما ثم ينتهى برضا زهره على شرط ان يعودوا الى المنزل بعد ساعة على الاكثر

ثم بدأت انت الحديث ـ بعد أن خرق أذنيك حوارهما ـ فعرضت عليها نزهة قصيرة فى عربة و..

ولم أكد أصل من حديثى إلى هذا الحد حتى كان قد فغر فاه وحملق فى وجهى ذاهلا مشدوها كأن مساً من الجن قد أصابه ، ثم انتفض قائلا فى لهفة ودهشة .

لا ، لا ، هذا سحر ؟ هذا وحى ، لقد أوشـــك عقلى أن يطير من رأسى

فنظرت اليه فى هدوء وسكون ، وقلت له :

لا سحر ولا وحى يا صديقى لكنها تجاريب الايام فدعنى أتمم لك قصتك ولا تخف فسأعفيك من « الهدية » وحسبى أن أكشف عن عينيك هذا العمى الذى يحجب عنها نور الاشياء

فصرخ فى وجهى كمن مسه الجنون وقال :

ـ مستحيل !! مستحيل ، لا بد أن اكون قد جننت ، ان رأسى يحترق ، قل لى أتعرف هذه الفتاة ، أهى التى أخبرتك بماجرى

فبقيت ساكنا هادئا ، ثم أجبته :

ـ أقسم لك بشرفى أننى لا أعرفها ولا اعرف خادمتها ولا أحداً يمت اليها بقرابة أو أية صلة

فحملق فى وجهى ثانية وقال :

ـ إذن ماذا ؟ يا أخى أعوذ بالله ! ! طيب ، طيب، كمل الحكاية
و وضعت يدى على كتفه ثم رحت استأنف الحديث .

... ثم خرجتم جميعاً فركبتم العربة وسارت بكم ما شاء الله ان تسير و انتفضت هى فجأة حين نظرت الى ساعتها ثم رجتك ان تسمح لها بالعودة الى منزلها ، و توسلت انت اليها أن تفترقا على موعد فقبلت . و كان موعد بل كانت مواعيد ، وهدايا ؛ وغرام ، وهيام وعرفت بعد ذلك أنها ابنة (المرحوم) فلان بك ، وانها تزوجت بشاب لم تحبه ، ثم طلقت منه بعد شهر واحد من زواجها ، وانها حين رأتك أحبتك ، واختفت الخادمة فلم تعد تنغص عليكما مناجاتكما و لياليكما الحمراء الساهرة

ـ هذه قصتك ! ! مش كده ؟

وكان صاحبنا أصبح فى شبه غيبوبة لفرط حيرته فهززته بيدى و قلت له :

ـ بقي العلاج أليس كذلك ؟

فقام يمسح جبينه بيده ثم جذبنى من يدى و قال .

او أن هذا العلاج فى « جهنم الحمراء » لتبعتك اليها ، فقم الى حيث شئت أو صف لى مكانه وعلى أنا أن اذهب اليه حيث يكون

وظللت سا كنا هادئا كما كنت ثم قلت له :

ــ لاتخف !! فليس العلاج فى جهنم بل هو فى لونابارك !!

ـ لونابارك ؟ ابتدينا نخرف مش كده

ـ معلهش ياسيدى استحمل تخريفي للنهاية ومش حيخس

عليك حاجة وقمت ويدى فى يده أقوده كالمسحور الى طريق «المترو»

وبعد عشرين دقيقة كنا على باب «لونابارك» ودخلنا فصعدت به الى البوفية وجلسنا ندخن لفائف التبغ ونشرب القهوة وساد صمت عميق فتململ فى مجلسه وقال:

ـ لكن أين العلاج؟

فقلت بينك وبين مكانه متران فقط، لايحجبه عنك الا حاجز بسيط فاشتد غيظه وتهدج صوته ثم قال.

ـ استحلفك بالله وبالصداقة التى بيننا ياصديقي الا ماأشفقت على، فان أعصابى لم تعد تقوى على اكثر من ذلك، دعك من هذه الاحاجى والألغاز، وقل لى أين ما زعمت من علاج فانى احبها بل أعبدها؛ وقد عرضت عليها أمر الزواج فرفضت وفضلت أن نظل حبيبين طول الابد بغير زواج، وقد أصبحت كما ترى فى حالة ليس بينها وبين الجنون الا خطوات

وإذ ذاك أشفقت عليه من طول الانتظار، وجذبته من يده وقلت قم فانظر بعينيك التى نظرت بها حبيبتك المصونة !!!

ومشيت به خطوات حتى وصلنا الى حاجز «براقا» .قام فى زاوية قريبة من البار؛ وقلت انظر ماذا ترى خلف هذا الحاجز؟ فنظر ثم ارتد الى يكاد لايقوى على الوقوف، ثم قال:

ـ أطفال صغار، وامرأة عجوز ؛ وخدم فى ثياب زاهية ؟ !!

قلت:

ـ هـذا هو العلاج

قال:

ـ بربك فسر وأوضح ماذا تريد ؟

قلت :

ـ هؤلاء هم الاطفال اللقطاء وهـذه هي العجوز الارمنيـة وأولئك هم الخدم المأجورون لتمثيل الادوار ، وبعد قليـل حين يزدحم « لونابارك » بالمغفلين أمثـال حضرتك تحضر النساء المصونات العفيفات !! فتتسلل الواحـدة منهن الى هـذه العجوز الفاجرة فتنتقي منها الطفل او الطفلة والخادم أو الخادمة ثم تنزل بهما الى أرجاء الحديقة فى ثياب المخدرات فتلعب دورها فى اجادة واتقان ، ويسوق الشيطان لهـا من أمثالك من يقع فى شراكها ، وتظل تبتز منه المـال والهدايا ، ورزق هذه العجوز ياصديقي العبيط !! مكفول مضمون مادامت الدنيا ملانه بالسادة المغفلين !! ذلك لان الامر لايكلفها اكثر من أن تستأجر هؤلاء الخدم وأن تحصل على هؤلاء الاطفال اللقطاء فتعنى بشأنهم وتلبسهم الثياب الغالية ، ثم تذهب بهم جميعا الى مقصف الحديقة لتجلس فى هذا المكان الذى رأيته نظير مبلغ ضئيل تدفعه لرئيس الخدم فى المقصف ، وتفد عليها بعد ذلك النساء الفاجرات اللواتى يكن على اتصال وثيق بها وبمنزلها « العامر » فيستصحبن هؤلاء الاطفال ليظهرن امام عينك في الحديقة بمظهر المصونات ذوات البيوتات الشريفة ، وهن فى الحقيقة نساء العجوز تستأجرهن فى منزلها للسهرات فى الليـالى الطويلة الحمراء وتستخدمهن بالنهار على هذا الوجه الذى رأيت وبعد ذلك يكون العيب كل العيب على الاساتذة القساة الجهلة الذين لايحسنون وضع الاسئلة

والآن فهل تستطيع أن تقول لى من من أصدقائى جدير بأن أخلع عليه لقب « صديقي المغفل ... ؟ »

فأجاب فى خجل وانكسار :

ـ أنا !!



ثمن البنزين !!

قصة مصرية واقعية

تتوالى حوادث هذه القصة فتبدو للقراء غريبة : لا عهد لهم بوقوع مثلها ؛ لكنها حوادث واقعية ، جرت فى مصر الجديدة وحدائق القبة ، ليس للخيال فيها من أثر ؛ وسيرى القراء من وقائعها كيف تكون جرأة الشباب ، وكيف ينتهى الامر فيها بما لم يخطر على بال أحد ، بل بما لم يخطر على بال بطلها نفسه ؛ وكيف تتلاحق فيها المفاجآت وتكثر المفارقات ! ! !

ثمن البنزين ! !

قصة مصرية واقعية

ليس صديقي حلمي افندي ... نبياً ولا رسولا ولا ملاكا هبط من السماء الى الارض لهداية الناس بنورانيته ، فهو انسان يجوز عليه ما يجوز على جميع الناس وهو مثلي ومثلك تميل نفسه الى الشر حيناً وتنزع الى الخير احياناً ، إلا صفة واحدة لا يحيد عنها ولا يتحول ، هي صفة « الصدق » فقد درج عليها منذ كان طفلا وما زالت تتأصل فى نفسه وتنمو معه حتى أصبحت جزءا من طبيعته لا يقبل الانفصال ولولا ما عرفته وعرفه اصدقاؤه عنه من الصدق الخالص من كل شائبة لرميته بالكذب والتلفيق حين قص على قصته هذه التى لا أشك ان كثيرا من القراء سينكر وقائعها ، بما حوت من مخالفات صريحة لما يجرى عليه العرف المصرى المألوف

نعم قام صديقي حلمى فى هذه القصة بتمثيل أكاذيب عديدة منساقا الى ذلك بنزوات الشباب والفراغ والغنى ، وهو يعتقد انها كانت أكاذيب بريئة يسوق اليها العبث البرىء ، ولم يكن يخطر بباله انه سوف يلاقى من جراء هذه الدعابات ما لاقى من المحرجات والمآزق ، ثم ماصار اليه أمره بسببها بعد ذلك

هو فتى فى ميعة الصبا ، وريعان الشباب ، قامة منسرحة هيفاء

ومحيا باسم متهلل ، وعينان نجلاوان ، وفم دقيق ضاحك السن ، مشرق الابتسامة ، وصوت فاتن النبرات يجذب اليه سامعيه كما يجذب المغناطيس برادة الحديد . وهو في سعة من الرزق بما خلف له والده من المال والعقار ، لكنه لم يشأ — مع ذلك — أن يكون كأبناء الاعيان عاطلا من حلية العمل فحصل على وظيفة «سكرتير» لاحدى المدارس الاميرية وراح يعمل فى وظيفته الجديدة مسروراً مغتبطا يراقب ادارة أملاكه فى أوقات فراغه، ثم ينعطف الى مسارح اللهو والعبث فيروح عن نفسه متاعب اليوم وهمومه

على هذه الصورة عرفت صديقي حلمى ... وظللنا نلتقي في ساعات الليل بعد أن يفرغ كل منا من عمل النهار ، لنرفه عن نفسينا ونقضى حق الشباب علينا الى أن قضت ظروف قاهرة أن ابرح العاصمة الى الريف خمس سنين كنت فى خلالها أتشوق الى رسائله فلا أظفر الا بالقليل منها ، ولا أعرف من أخباره غير النادر اليسير

... والتقينا بعد هذا الفراق الطويل فاذا هو قد استقال من وظيفته ليتفرغ بكل جهده لادارة املاكه و .. وثمن البنزين

نظرت اليه في دهشة وقلت له :

— أملاكك عرفناها ، لكن ما معنى ثمن البنزين ؟

فضحك ضحكة طويلة وقال :

— كذبة ثمن البنزين !! ألا تعرفها ؟

— أعوذ بالله ، ماذا جرى لعقلك يا حلمى ؟

— عقلى كما عهدته

— لكن هذا كلام غير مفهوم ،

ـ وهل كل شيء فى دهذه الدنيا يجرى على وجه مفهوم ؟

ـ حسبك أن تعلم اننى استقلت من وظيفتى بسبب « كذبة ثمن البنزين »

قال ذلك ببساطة تقرب من « العبط » كأننى أعرف تفصيل ما جرى له فى غيابى ، وكأن هذه الكلمة المعقدة « كذبة ثمن البنزين » تكفى فى نظره وده أن أعرف كل ما أريد أن أعرف ، فالتفت اليه وحدجته بنظرة غيظ وتململ فاذا هو يضحك ويغرق فى الضحك! اذ ذاك رابنى أمره ، وحسبت مسامن الجنون قد أصابه، فهو يهذى بهذه الكلمات دون ان يعى لها معنى . وكأنه أدرك أننى قد ظننت به هذا الظن فمد يده الى يدى ثم شد عليها وتكلف الجد فى حديثه ثم قال :

ـــ أريحك من هذه الحيرة الأليمة ، وأقص عليك قصتى ، أنا على استعداد لهذا ، لكنكم معشر الكتاب « لصوص أخبار » تستدرجون أصدقاءكم ومعارفكم لاختلاس اخبارهم ثم لا نلبث أن نرى هذه الاخبار قصصاً يقرأها الناس فى الكتب فتصبح موضوع احاديثهم وسمرهم ، وتتجمع القرائن والشواهد حول أشخاص القصص ـ مهما حاولتم اخفاء اسمائهم ـ فيصبح هؤلاء الاشخاص المساكين مضغة الافواه وهدف الاشارات والغمزات فهل تقسم بشرفك أن تكون هذه القصة لك أنت ؟

وعلى الرغم من حروجة هذا القسم وشدة وطأته فقد هززت يده وقلت :

« أقسم بشرفى أن تكون هذه القصة لى » و لكنى هو بهذا

القسم الذى اقترح بنفسه « صيغته » والذى نفذته بدقة بالغة حيث جعلت القصة لى « انا » ووقعتها باسمى وخرجت بهذا « المحلل » من حرج القسم الذى أقسمته

أما هو فقد اطمأن لقسمى وراح يتحدث عن قصته بعبارة حارة فقال :

- فى يوم ٢٥ مايو سنة ١٩٢٤ - وهذا موعد تاريخى لا انساه ما حييت - كنت بعد الغروب بقليل أجلس بجانب صديقى خيرى فى سيارته الفخمة التى تعودنا أن نستقلها مساء كل يوم للنزهة ولمعاكسة خلق الله بأساليبنا الشيطانية ، وأنت تعلم أن هذه السيارة هى الامينة على اسرارنا الغراميه لا نأتمن سواها على صيانة السر وخفى الأمر ، وهى عدا ذلك الشراك الوحيد الذى طالما نصبناه في الشوارع والمنعطفات فعدنا به ملآن من خيرات الدنيا ونعيمها

لا أطيل عليك فأنت اعلم الناس بوقائعنا ! وحسبك أن تعرف أننا وصلنا بالسيارة الى قرب محطة الحمامات فى مستهل مصر الجديدة ولمح صديقي خيرى بمحطة المترو فتاتين أدع وصف محاسنهما الآن ، وستعرف مقدار حسنهما وفتنتهما حين تعلم ما كان من أمرنا

وقف «خيرى» بالسيارة وعيناه تقدحان شرراً لفرط مااصابه من جمالها ، ونظر الى نظرة حائرة كأنه كان يستنجد بى ويتوسل أن أقوم من مقعدى لأقصد اليهما واعمل فى اقتناصهما حيلتى . ذلك لانه - كما تعلم - « لخمه » لا يصلح لمثل هذه المواقف وملأنى الغرور والزهو فأسرعت اليهما بعد ان أعطيت خيرى اوامرى

ونجمل خطة السير على حسب عادتنا ، وجمعت أطراف شجاعتي وأقبلت عليهما مبتسما متهلل الوجه ماداً يدى لمصافحة احداهما كأنني احد أقاربها وكنت فى اقبالى عليهما « شجاعا » أعرف كيف أمثل دورى بلباقة واحكام ، وبوغتت الفتاة بهذه الجرأة — والناس من حولنا — فمدت يدها بغير ارادة او تفكير ثم هززت يدها فى رفق ودنوت من الثانية فمددت اليها يدى كما فعلت مع الاولى لكنها كانت عنيدة شديدة المراس ، وكانت قد فكرت فى الامر حين دنوت من زميلتها فلم تباغت كما بوغتت ، ولم تنجح الحيلة معها ، فعبست فى وجهى ورمتنى بنظرة حادة كدت لهولها أفر نحو صاحبى لأنجو بنفسى من هذا الموقف المحرج المخيف ، لكننى عولت على تمثيل دورى الى نهايته فلم اكترث لهذه النظرة ووقفت بينهما مستبسلا لا اقدر عاقبة فضيحة أو مسؤولية تاتي على عاتقي ثم دار بيننا هذا الحديث:

— اسمعى يا هانم : رجوع مش راجع ، فكرى في المسألة وفى نتائجها قبل ما تتكلمى أى كلمة

— يا افندى عيب اختشى احنا مش بتوع حاجات زى دى

— ولا أنا يا هانم ، اسمعى حكايتنا ، وانت حره بعد كده يا تصدقيها يا متصدقيهاش .

الحكايه انى انا وصاحبى مش من مصر الجديدة وجينا معزومين عند جماعة أصحابنا وبعدين لعبنا معاهم « بوكر » وكانت النتيجه اننا خسرنا كل فلوسنا ، ووصلنا لحد هنا ، وبصينا لقينا

البنزين خلص

ـ طيب واحنا مالنا يا افندى

ـ حتعرفى حالا بقية الحكاية ، وبعدين وقفنا هنـا نفكر فى حالتنا اللى زى الزفت دى ، بصيت شفتكم ، خطر لى خاطر جنونى قلت الاثنين الهوانم دول باين عليهم ناس طيبين أنا أروح احكى لهم الحكاية ، واطلب ثمن تذكرتين المترو نشترى به بنزين ونوصلهم لحد مصر . ايه بقى رأى الهانم ؟

ـ لأ يا افندى لأ الكلام ده تسبكه على غيرنا ، اذا كان على ثمن البنزين اتفضل آدى نص ريال وسيبنا في حالنا ومدت يدها الى حقيبتها الجميلة الصغيرة واخرجت منها نصف ريال ، وكدت فى خلال ذلك أسقط لفرط غيظى من ضياع حيلتى هباء ؛ لكن الشيطان أبى إلا أن يسعفنى بالقول ، فنظرت اليها نظرة استنكار وقلت متكلفا الجد والغضب:

ـ أنا مش شحات ياهانم ، النص ريال بتاعـــك خليه لك إديه لخدام من خدامينك أما أنا فمش راجع بأى شكل الا على الاساس اللى قلته لكم ، وبصراحه كده أقول لكم انى مصمم على طلبى

ـ طيب ودينى يا فندى اذا ما كنتش حتمشى لابد أنادى العسكرى وأوريك مقامك

ـ عال ، عال ، يبقى كويس والله فتحتى لى باب جديد ، تعرفى تكون ايه النتيجة ؟ المسألة بسيطة انتم الاثنين ولاد عمى وعمى مكلفنى بمراقبتكم وفضلت ماشي وراكم لحد معرفت انتم رايحين فين وجيت أخدكم بالقوة ، وشوفوا بقى تقولوا إيه فى كده قدام

مأمور القسم ؟ أقل ما فيها محضر تحرى وفضيحة وجرسه

كان ذلك آخر سهم فى جعبتى ، وكنت على وشك الهزيمة لولا أننى لمحت على وجهيهما علائم الخوف والاضطراب . فشددت عليهما النكير ، وتكلفت العبوس والجد والتصميم ونظرت اليهما نظرة الآمر المستبد وقلت لهما :

ـ حاجة من الاثنين يا القسم والفضيحة يا ثمن البنزين والركوب معانا

نظرت الى إحداهما ـ وهى التى كانت تناقشنى بحدة ـ نظرة حادة تتفجر بكل معانى الغيظ والحنق ، ثم مدت يدها الى زميلتها فجذبتها بشدة وقالت :

ـ طيب تعالى يا سوسو ، ومشت بها الى السيارة فسرت بجانبها وأقبلت على صاحبى خيرى فاذا هو ينظر الينا ضاحكا ضحكة الفوز . أما أنا فكنت قد وصلت الى حالة من الاعياء والنصب شديدة وكان العرق قد نبع من أعضائى . وفتحت سوسو باب السيارة الخلفى وارتمت على المقعد شاتمة لاعنة ، وجلست بجانبها زميلتها تزفر زفرات حارة ، وعمد خيرى الى محرك السيارة فانطلقت بنا تنهب الارض نهبا ، ولم نكد نبدأ السير حتى حرك الغيظ احداهما فطفقت تلعن الأخلاق الفاسدة والشباب الاهوج الجامح . ثم مدت يدها إلى كتفى فهزتنى بعنف وحنق وقالت :

ـ الاوتومبيل مشى من غير بنزين دى الوقت ياسافل يامنحط ؟

فالتفت اليها باسماً وقلت لها .

ـ الله يسامحك يا هانم ! إيه اللى ضايقكم ؟ احنا راكبين قدام . واحد «شوفير» والثانى حدام ، وانتم راكبين ورا بكل ادب واحتشام لحد بيتكم وتنزلوا واكسب انا الرهان

ـ رهان ايه يا فندى وتخريف ايه اللى عمال تخرفه من الصبح . كدبه جديده دى كمان ؟

ـ لا والله يا هانم المسألة انى راهنت صاحبى على أنى اركبكم معانا بأى شكل والرهان خمسة جنيهات واحنا فى آخر الشهر يبقى لهم قيمة ، المهم ايه اللى زعلكم يعنى خلاص محناش ولاد ناس زيكم ؟

ـ لو كنت ابن ناس مكنتش تعمل كده ولو كانت أختك اللى انعمل فيها الفصل ده كان يكون إيه شعورك ؟

ثم استرسلت فى صخبها وشتائمها وأنا صامت لا ألتفت اليها ولا أتكلم ، وغمزت خيرى غمزة أدرك معناها فهدأ من سرعة السيارة كى أتمكن من اتمام دورى ، والتفت اليها فى أدب ووقار وقلت لها :

ـ البيت فين فى مصر ياهانم

ـ لأ ياأفندى البيت فى حدائق القبة

ـ آه يعنى لازم نرجع نص المسافة ، نهايته أمرك لله ياخيرى سوق ياعم على حدائق القبة

وتناولت حافظة نقودى فأخرجت منها بطاقتى وقلت لها : سأقدم لك بطاقتى وأنا واثق أنك ستمزقيها وتلقين بها فى وجهى لذلك لم أجد بدا من التهديد مرة أخرى فأما أن تتناولى بطاقتى بما أتوسم فيك من أدب واحتشام فتضعينها فى حقيبتك ، وأما أن

تقذفى بها فى وجهى فأكون مضطراً إلى أن أوعز لصاحبى بمضاعفة سرعة السيارة وتغيير طريقها إلى صحراء مصر الجديدة حيث لا تنفعكما استغاثة أو يجدى عليكما صراخ وتكون فضيحة التجمهر فى النهاية على كل حال! فنظرت إلى نظرة حرت فى تفهم معناها ثم تناولت البطاقة من يدى فى صمت نام ورمتها فى حقيبتها والدمع يترقرق من عينيها الساحرتين، وبدأت ألتفت اليها من حين إلى حين فأحس كأن نارا حامية تأكل قلبى أكلا، أما رفيقتها فقد لزمت الصمت من أول المعركة إلى نهايتها

... ووصلنا إلى قرب منزل كبير فى حدائق القبه فأشارتا بالوقوف فوقفنا، ونزلتا، لا كلام ولا سلام، إلا نظرة واحدة القتها تلك التى جرى الحديث معها والتى كان لبكائها فى نفسى أبلغ الاثر، ثم أسرعا الخطى فى خوف وذعر حتى وصلا إلى ذلك المنزل الكبير فاختفتا وراء أشجار حديقته الكبيرة

... وعدنا!! ولا تسل كيف عدنا!! ندم واستخذاء، ودموع تترقرق فى أعيننا وألم شديد يحز فى قلوبنا حزا، هاتان الحمامتان الوادعتان كيف دفعنا نزق الشباب إلى التمثيل بهما على هذه الصورة المفزعة، وماذا نلنا بعد ذلك؟ لاشىء سوى الحسرة والندم!!

— آلو، آلو ادينى من فضلك السكرتير حلمى أفندى..
— أنا حلمى مين حضرتك ياهانم؟
— صحيح حلمى أفندى؟

ـ صحيح إيه الداعي ميكنش صحيح ؟
ـ طيب تفتكر انت كنت فين أول امبارح المغرب ؟
ـ آه أهلا وسهلا أنا متأسف والله على اللي حصل ، مش قادر أقول لك أد إيه أنا في شدة الخجل ، لكن معنى دايما هانم ان الكرت بتاعي متقطعش ودا يدل على أنك صحيح زى ما فهمت من عنيكي في الآخر وانت نازلة
ـ طيب سيبك من عيني واللي فهمته منها ، تقدر تقابلني النهار ده لو حدث
ـ أقدر ؟ يا سلام !! دا أنا أطير مش أقدر

واتفقنا على موعد تلته مواعيد ومواعيد استنفدت عاما ونصف عام عرفت فيهما معنى الحب الطاهر العفيف . فانقطعت عن مجالس أصدقائي وودعت السهرات الفاجرة ورحت ولاهم إلا أن ألقاها فنقصد إلى الجهات الفسيحة الخالية إلا من نجوانا التي كانت كأنها تملأ الارض والسماء لحنا عذبا شجيا وغشينا الحدائق . وابتسم للقائنا الزهر وابتسمنا لابتسامه . ورأينا على صفحة الماء صور تينا تظللها ظلال الحب الملائكي الطاهر . وأطل علينا القمر من خلف الغمام فسمعنا لحن أضوائه كأنه رنين الفضة يبعث في النفس حياة غير تلك الحياة التي يحياها الناس جميعا

كانت دعابة دفعنا اليها نزق الشباب . وكنا لا نفكر في نتائجها وما ستجره علينا من ندم وألم . أما صاحبي خيري فقد أخفيت عنه ما كان من أمري وأمر فتاتي . وأما أنا فقد عدت كسير القلب

حيران كدمعة الحب يدفعها الوجد ويمنعها الخوف

الفتاة اعلى منى مقاما . أبوها . . . باشا من سلالة مصرية عريقة شغل مناصب حكومية كبيره . ثم أحيل الى المعاش ولزم البيت منذ لزمه مرض « الربو » الذى أقعده عن العمل . واستسلم الى فراش المرض فلم يعد يقوى على ادارة شئون ضياعه الواسعة . وتخطف الموت جميع أبنائه فلم يبق له الا هذه الفتاة التى أحسن تهذيبها وتربيتها فأصبحت المثل الاعلى علما وأدبا وجمالا . وماتت امها منذ عشرة أعوام فصـــار ذلك المنزل الكبير لايحوى بين جدرانه الا ذلك الشيخ وابنته الغالية وخادمات عجائز بقين من عهد طويل يرتعن فى نعمة الباشا ، يقمن على خدمته . وخدما يقومون بنظافته وتعهد حديقته الواسعة . ووكيل الباشا الذى اختاره منذ سنين لادارة أملاكه يعبث فى غلة الارض وحاصلاتها ماشاء وشاء له الطمع والشره ، كل ذلك والباشا يقعده المرض يوماً بعد يوم عن مراقبة أعمال وكيله الجشع فلا يستطيع حراكا

عرفت هذا جميعه من الفتاة خلال أحاديثنا الطويلة وشجعنى ذلك على أن أفاتحها فى شأن الزواج . لكنى عدت فعقد الخجل لسانى ومصينا فى حبنا بغير أمل !!!!

وكنت أتهيب الدنو من المنزل كلما ذهبت أرافقها اليه بعد عودتنا من النزهة . وكانت هى الأخرى تسلم مسرعة خائفة حين تقرب من باب الحديقة الخلفي الذى كانت تدخل منه بعد عودتها متلفتة نحو النافذة التى يطل منها والدها أحيانا

... أجل فقد جمعت هذه الليلة بين الفزع و الطمانينة . والهول المفاجىء والسعادة الدائمة

أصغ الى ياعبدالله وارتقب منظرا مفزعا لايخطر على بال أحد

كنت ألقي فتاتى بالقرب من منزلها فنستقل سيارة حيث نريد ثم أعيدها الى نفس هذا المكان فأدعها تدنو من المنزل وأعود !

أما هذه الليلة . أقسم لك أننى لاأزال أرتجف كلما ذكرتها !!

أشارت الى وهى واقفة بباب الحديقة الصغير الذى تعودت الخروج منه وتبينت إشارتها على ضوء القمر الباكر ، فرأيتها تشير الى بالدنو منها فتقدمت نحوها والخوف يملأ قلبي وما زلت أقلتع قدمى اقتلاعا حتى صرت بجانبها فمدت الى يدها باسمة ثم جذبتنى جذبة قوية الفيتنى بعدها داخل الباب فمادت الارض تحت قدمى وأحسست كأن السماء تتصدع فتهبط نجومها إلى الارض منحدرة هارية . وتوقفت على المسير ثم قلت لها

ـ كل شيء أنا لك فيه أطوع من بنانك الا المنزل.لا.لا. أدخل؟ هذا محال فهدأت من روعى بكلمات عذبة شهية . وهمست فى اذنى قائلة :

ـ متخفش ياحلبى : الباشا سافر حلوان

خش ياأخى بلاش عبط !!!

و بالاختصار سرت بجانبها أصعد درجات السلم بخطوات مضطربة فزعة . واخترقنا بهوا صغيرا الى أن وصلنا الى باب غرفة... غرفة نومها ياللهول والفزع !!

ـ ياستى أنا في عرضك قلبى سقط مدش فى نفس

طوقتنى بذراعيها وطبعت على فمى قبلة حارة اعادت الهدوء الى نفسى قليلا . تنفست الصعداء وجذبتها الى فأجلستها بجانبي وقلت لها :

ـ قوللى من فضلك بس إيه السبب فى وجودى هنا الساعة دى

ـ ولا سبب ولا حاجة ياتوتو . بابا فى حلوان وأنا لوحدى وحبيت نقعد سوى و.... لم تكد تتم جملتها ـ وكنت فى هذه اللحظة أضمها الى صدرى وأطبع على خديها وفمها وجبينها قبلات صامتة مضرية ـ حتى فتح باب الغرفة برفق وهدوء واقبل علينا ياللرعب وياللهلع ! تظن من الذى أبصرنا على هذا الحال ؟ شيخ وقور أشيب يتكىء على عصاه . تبدو على وجهه علائم الضعف الجسمانى الشديد يخنقه السعال المتقطع ويهز جسمه النحيل هزا شديدا فاجأنا هذا الشيخ وعلى شفتيه ابتسامة غامضة مرعبة . وكنت انتفضت من هول هذه المفاجأة فوقفت مذعورا منكمشا فى زاوية الغرفة لا أكاد أعى مما حولى شيئا . هدأت وطأة السعال فمشى الى بخطوات مرتجفة متخاذلة وبدأ يتكلم فقال :

ـ عال ، عال ، تعال

ولم يزد على هذه الكلمات الثلاث التى لم أفهم لها معنى سوى أن وضع يده فوق منكبى وقادنى إلى ممر طويل وأنا أنتفض تحت يده من هول الموقف وأسير بجانبه صامتا كالمسحور ، زائغ البصر متهالكا على نفسى . أكاد أسقط بين قدميه إعياء وخوفا

وقطعنا هذا الممر فى ثوان كانت فى دورة الفلك أطول من أجيال وآباد . وانعطفنا إلى بهو صغير أو قل جرنى هو إلى بهو

صغير ، ثم وقف بي أمام باب حجبته ستارة مخملة حمراء ، كل ذلك وهو ملازم الصمت الانوبات من السعال كانت تقطع هـــذا السكون المفزع الرهيب

فى هذه اللحظات ـ وأنا أقاد كالذاهل إلى حيث لاعرف ـ كنت أتمثل صوراً شتى من الرعب والفزع والهلع !!!! ويلك ياحلمى إلى أين تساق ؟ إلى رجال البوليس يتلقفونك لتقضى فى ضيافة السجن مايشاء القدر أن تقضى إلى غرفة من المنزل مظلمة موحشـــة حيث يتلقاك بها جبابرة من الخدم العتاه يمرنون فى رأسك وجسمك عضلاتهم وسواعدهم القوية المفتولة ؟ الى ظاهر الطريق فيجتمع حولك المارة من رجال ونساء وأطفال؟ الى جهنم لحمراء جزاء وفاقا على افتحامك لشرف هذا البيت الرفيع

ماأشد دهشتى، انى لأكاد أفقد البقية الباقية من صوابى لاشىء من هذا لـكنى رأيت منظراً أكثر من كل ذلك غرابة وأبلغ تأثيراً

حذر أنت يا عبدالله ، امتحن خيـــالك الذى تستعين به فى تأليف قصصك . لا . سوف لايخطر ببالك شيء مما رأيت!

فتح الباب بحركة عصبية من ذلك الشيخ الذى كان يقودنى إلى حيث لاأدرى

أية مفارقات هذه وأية مفاجآت ؟ هل تصدقنى ؟ فتح الباب فاذا أنا فى مدخل غرفة كبيرة واسعة الارجاء . وقد جلس بها نحو العشرة أو الخمسة عشر شخصا . كلهم أنيق فى بذته وجلسته ، وكلهم ينظر الى ناحية الباب الذى دخلت منه وعلى شفته ابتسامة طويلة عريضة من ذلك النوع الذى يعقبه ضحك طويل . ذلك

لأنى لم أكد أطل عليهم ذاهلا مشدوها أرتعد حتى انفجرت هذه الابتسامات بضحكات عالية داوية . وكأن هذه الضحكات الداوية قد أذهبت عن نفسى بعض ذهولها فتبينت بين هؤلاء المطربشين شيخا معمما أمامه منضدة صغيرة وضع فوقها أوراقا ودفاتر !!!

. . . وأجلسنى ذلك الاشيب الوقور الذى باغتنى وقادنى الى هذه الغرفة ثم جلس الى جانبى وهدأت الضحكات وتلاشت الغمزات والاشارات ، وساد صمت وسكون لم يقطعهما إلى صوته الاجش العميق :

ـ الآن خفف عنك يابنى ! ! الفتاة ابنتى !! ولقد كنت أعرف سر ما بينكما من حب أكيد ، وهؤلاء أهلها الاقربون وكانوا جميعا يعرفون ما أعرف ، ولم تخف عنى فتاتى شيئا من أمركما طوال هذه الشهور منذ « كذبة ثمن البنزين » الى هذه اللحظة ، وهى كما خبرتها وعرفتها الأمينة على عرضها الوفية فى حبها ، دعك يابنى من فوارق المجتمع وتقاليد العرف الموضوعة ، أنت بها جدير وهى بك جديرة ، كلاكما سعيد بصاحبه فمن الجرم أن أفرق بينكما لمجرد أنك دونها منزلة ، ومحال أن تحاول أنت الفرار من هذا المصير خوفا من هذه الفوارق العرفية السخيفة فقد علمتنى الايام والاعوام كيف يجب أن يكون أساس الزواج الحب العفيف والتمازج الشريف والآن هاهو « المأذون »

سوف لاتفلت من يدى الآن ، وسوف لاأدعك تخرج لتستشير أهلك وذويك فيقف أحدهم في سبيل سعادتك برأى

سخيف او فكرة ملتوية مظلمة

لقد أحببت أن أدعك فى حبك لابنتى بغير أمل فى الزواج بادىء الامر ليكون حباً خالصا بريئا لايشوبه طمع فى مالى وما سترثه من بعدى ، ولتكن هذه المدة التى قضيتماها معا بمثابة تجربة وخبرة ليتعرف كل منكما ميول صاحبه وعاداته وأخلاقه

ويخيل إلى يابنى أنك دهش لما أبين لك من رأى فى الزواج قد لايقول به شيخ متهدم مثلى ورث عن آبائه وأجداده عادات باليةعتيقة فى شأن الزواج !!

لاتذهب بك الحيرة مذاهب شتى يابنى !! فقد قرأت ما كتب الباحثون وماشيت عصركم فعرفت منه بالخبرة الاصلح والانفع وربيت ابنتى على خير ماتربى عليه فتاة مهذبة حرة تعرف لنفسها ماتشاء وتتبع فيما تفعل عقلها المستنير ورأيها الناضج

ستعود الآن الى أهلك بعد أن يكون كل شىء قد تم فتصبح معهم أمام أمر واقع لامفر منه ولامهرب ، ذلك كى لاأعرض سعادتك وسعادة ابنتى الى خطر بسبب تعنت الاهل وغفلة عقولهم

. انتهى الشيخ من هذه « الخطبة » فعاد الى صوابى واستطعت أن أعرف مايراد بى وكانت خاتمة سعيدة لولا أن طريقها كانت وعرة محفوفة بالخوف والفزع

. وعدت الى أهلى « زوجا » ولم أكن قد غبت عنهم أكثر من ساعة وبعض ساعة !!

رحم الله الباشا .. وطيب ثراه

ـ بابا ، بابا ، الشوفير عاوز ثمن البنزين !!! ـ كان هذا الصوت الذى أهل علينا من بعيد صوت « صلاح » ابن صديقي حلمى و كانت مصادفة جميلة ضحكنا لها جميعا وقبلته فى جبينه وسلمت على أبيه وهنأته وانصرفت ؟




الشيخ عبد الله !!

الشيخ عبد الله !!

قصة مصرية واقعية (1)

منذ خمسة عشر عاما كان اسمي «عبدالله» فقط!! لا الشيخ عبد الله ولا عبدالله افندى ولا الاستاذ عبد الله!!! وكنت يومئذ فى الرابعة عشرة من عمرى فاره الجسم. طويل القامة، مشرق الوجه، خفيف الحركة، لاعرف من آلام الحياة شيئا سوى وجه «سيدنا الشيخ عبد الخالق» فقيه القرية، فقد كان وجها بغيضا إلى نفسي تتجمع فى تجاعيده كل معـــاني الخوف والرهبة والكراهية، كنت أمقت هذا الفقيه لانه كان يرهقنى بحفظ القرآن بغير رحمة ولا شفقة، وكان - عملا بنصيحة والدى - لايفرق بيني وبين أبناء الفلاحين من أهل القرية، فأنا وابن خادمنا الفلاح الدميم الوجه القذر الثياب عنده سواء، فمن

---

(1) نشرت بالفكاهه بتاريخ ٢٥ يونيو سنة ١٩٣٠ وقد قدمها «المحرر» للقراء بما يأتى:

كتب الاديب المعروف الاستاذ عبدالله حبيب هذه القصة بضمير المتكلم وجعل عنوانها «الشيخ عبدالله» فهل هي سلسلة اعترافات حقيقية عن حياته الدراسية الاولى ؟؟ ذلك ما نميل الى القول به. أما هو فيقول فى هذا الصدد ان فن القصة يتطلب من الكاتب ان يندمج فى شخصيه البطل التى يمثلها فى قصته، وان من أهم أسباب نجاح كتاب القصص تحدثهم عن أبطال قصصهم بما يجعل القارىء يحس كأنه يسمع لنجوى الكاتب نفسه !!!

يحفظ « اللوح » فله مكافأة سنية وكلمة طيبة رضية ، أما المكافأة فهي يده الذابلة ، الملوثة ببقايا « النشوق » يمدها إلى فمى لأقبلها دليلاً على رضاه ، وأما الكلمة الطيبة الرضيه فهى : « الله يفتح عليك وعلى والديك »

و....

ـ بكره ياواد تحفظ اللوح اللى بعده ... سامع ؟ بموتك اذا محفضتوش!

ـ حاضر ياسيدنا

ثم أقوم من بين يديه مرتجفا لهول الغد خائفا من وعيده.

فاذا جاء الغد ـ وقد كان يجىء سريعاً ـ ولم أكن حفظت اللوح فأعوذ بالله من جريدته التى كان يضعها في الفرن لتنفتل فيصبح فعلها في الاجسام كفعل السياط ، فلم يكن ثوبى الصوفى، أو الحريرى الغالى ، ولا حذائى النظيف يشفعان لى عنـــده ، وكانت كلمة « اطرحوه أرضا » التى تخرج من فمه فى مثل هذه الحالة تكفي لأن تفكك أوصالى وترجف مفاصلى فأكاد أنطرح أرضا قبل أن بتسلمنى عملاقاه القويان اللذان كان خصصهما لشد أرجلنا والضغط على أنفاسنا وهو يعمل الجريدة المقددة الملهبة في أقدامنا وكنت أتململ بين أيديهما وأتمرغ فوق التراب لفرط الألم من وجع الضرب حتى تكنس ثيابي الغالية أرض المستوقد القذر الذى كان يطلق عليه في القرية اسم « الكتاب » وأعود إلى البيت أجر رجلى جرا والحذاء فى يدى . لأن الورم الذى يكون قد أصابها لاأستطيع معه لبس الحذاء ... أجل! كان سيدنا الشيخ

عبد الخالق يحب قهوة البن اليمنى الاصلى والدخان السمسون المخلوط بالنترال ، ويحب أيضا الحلاوة الطحينية التى كان والدى يأتي بها من البندر مع البن والدخان وبقية لوازم البيت.

.. وكنت أظفر بتقبيل يده الكريمة وسماع كلمته الطيبة الرضية كلما ظهر نقص هذه الاشياء فى منزلنا بسرعة وعوقب الخدم على سرقتهم لهذه الاشياء. ولم يكن يبعد أن أكون «أنا» فى بعض الاحيان شاهد اثبات ضد هؤلاء الخدم اللصوص!!! الذين يسرقون الدخان والبن والحلاوة ليقتسموها فى « دار الضيوف » بعيدا عن « الحريم »

ـ والله العظيم ياستى ماسرقت حاجة ، أنا شايف سى عبد الله شايل فى إيده الحاجات دى ومخبيها فى محلة المصحف

ـ اخرص ياحرامى سيدك عبد الله عمره مايسرق حاجات زى دى

ـ طيب ياستى وحياة شرفك عمرى ماسرفت حاجة يخونى العيش والملح ياستى

.... ويخرج المسكين موصوما بوصمه السرقة !. وأخرج أنا من عند سيدنا الشيخ عبد الخالق مقبلا يده « الكريمه » ظافرا بـ « الله يفتح عليك وعلى والديك »

كانت القرية هادئة ساكنة ، وكان الظلام يلف البيوت الصغيرة فى غياهبه . فلا تعرف مكانها الا بالضوء الخافت الضئيل الذى ينبعث أحيانا من نوافذها ، وكان والدى فى هذا المساء يجلس

ومن حوله نفر من أصدقائه وذوى الحاجات عنده ، وكنت أجلس قريبا منه فى انتظار سيدنا الشيخ عبد الخالق الذى كان على موعد مع والدى ليأخذ منه « الختام » والختام هذا هو عبارة عن ثلاثة جنيهات أو خمســـــة وملابس « نصف عمر » يأخذها الفقيه اذا أتم حفظ القرآن لاحد تلاميذه

... وحضر سيدنا الشيخ فقرأ الفاتحة ووهب بركتها الى البيت وأهله ثم تناول « الختام » ودعا لى بطول العمر والنجاح والفلاح ثم انصرف

أما والدى فقد التفت الى وقال : « وصية أبويا يا ابنى الله يرحمه انى أسميك باسمه وأدخلك الازهر » وكنت أرى « المجاورين » يعودون الى القرية بعد نهاية العام فى ثياب نظيفة وعمائم موقرة ، وأرى الناس يجلونهم ويقبلون أيديهم ، وأراهم يعظون الناس فى المساجد ويخطبون خطبة الجمعة ، فخفق قلبى لكلمة والدى فرحا وتمثلت نفسى فى آخر العام كهؤلاء المشايخ ، وفرحت مقدما بالقفطان الحرير الذى سألبسه ، والعمامة التى سأزين بها رأسى وعودتى الى القرية بعد عام باسم « الشيخ عبد الله » ثم تذكرت جريدة سيدنا الشيخ عبد الخالق وكيف أننى نجوت منها !! تمثلت كل ذلك فهرولت الى البيت أحمل لوالدتى بشرى ذهابى الى الازهر

...

تسلمنى الشيخ محمود .. كبير مجاورى القرية من والدى . وتسلم هو النقود التى سينفق على منها .. ووصلت الى العاصمة

لاول مرة فى حياتي فحسبت بها « مولدا » من الموالد ، لكثرة الزحام الذى رأيته ، لكن هذا المولد لم ينفض الى اليوم . وعلمت بعد ذلك أنه يزيد على الايام ولا ينقص

شعرت بوحشة الغريب فى البلد النازح ، وكان ذلك أول عهدى بالاغتراب ، وتذكرت دموع والدتي ساعه غمرتني بقبلاتها يوم الرحيل فزاد ذلك فى وحشتى واكتئابي

. . وراعنى أول ماراعنى مسكن قذر موحش نزلنا به يطلق عليه اسم : « الربع » ونمت ليلتى الاولى على حصير بال ، تتمشى الحشرات من تحته ومن حوله . فقضيت الليل كله ادفع هذه الهوام وهى تدفع النوم عن عينى ، وكيف لمثلى فى مثل هذه الليلة أن ينام ؟!

وشكوت للشيخ محمود ماعانيت فى هذه الليلة صباحا . وسألته « بعبط » : متى تشترى لى « سريرا » أنام عليه ومتى تحضر الخادم الذى سيقوم بتنظيف البيت وإعداد الطعام ؟ ؟ ولشد ما كانت دهشتى حين حملق فى وجهى وقال :

سرير ؟ خدام ؟ . ياخبر اسود ! أنت فاكر انك فى البلد ، لا لا ياحبيبى كلام زى ده مفيش سيبك من « الدلع » بتاع بيتكم أنت هنا مجاور . العلم مايعرفش الكلام الفارغ ده

ـ لكن ياعم الشيخ محمود معرفش انام على الحصيرة

ـ كلام واحد مافيش غير كده ، ولازم تعرف كمان انك حتشتغل هنا فى عمل الاكل وتنضيف البيت . اختارلك واحد من اخوانك المجاورين اللى معانا علشان يشيل وياك دور في الشغل كل اتنين مع بعض يشيلو أسبوع

بكيت ماشاء الله أن أبكي ، وأرسلت لوالدى خطابا مبللا بدموعى أشكو له فيه آلامى وأحزاني ، فكان رده ـ وآسفاه ـ أن لا بد أن أرضخ لأوامر الشيخ محمود ولا بد أن أنسى حياة البلد مادمت قد رضيت أن أكون « مجاورا » وإلا فلا بركة ولا يفتح الله على اذا أنا لم « أزهد » فى نعيم الدنيا . وكذلك كان يفعل كبار شيوخ الازهر رحمهم الله . ولست أنا أعلى منهم قدرا ولا أجل خطراً

وبقيت أعارض وأعارض حتى دب اليأس الى قلبى واستسلمت لقضـــاء الله الذى لا يحمد على مكروه سواه وبعد شهر كنت بالتدريج وعلى طول الايام قد أصبحت « مجاوراً » مستقيما ، زاهدا فى نعيم الدنيا ، عارفا لواجبى فى حلقة الدرس وفى تنظيف البيت وإعداد الطعام على السواء .

* * *

لكن شيئاً واحداً كان ينغص على صفائي ويكدر عيشتى . ذلك هو احضار « الطرشى » كل يوم من محل « طرشجى باشا » ، الذى كان يحتم علينا الشيخ محمود أن لا نشترى إلا منه ، لأنه يعرف تاريخه المجيد ، ويعرف كيف أنعم عليه افندينا بهذا اللقب جزاء له على انقانه عمل الطرشى وخصوصاً الليمون المخلل الذى ينفرد باجادة تخليله وحشوه بالتوابل والشطه الاصلى . . وكان هذا الطرشجى باشا دميم الخلقة شرس الاخلاق يوقفنا صفا متراصا نحمل فى أيدينا « السلاطين » الفارغة انتظاراً لدورنا ، والويل كل الويل لمن تحدثه نفسه بالخروج من الصف ، أو مزاحمة الذى قبله .

وكان جزاء من يفعل ذلك لعن « سنسفيل » جدوده وحرمانه من نعمة الحصول على الطرشي ، وكذلك كان الزبون الذى يطلب تغيير اللفت أو الجزر بيصل أو ليمون لايجاب إلا برمى « السلطنية » فوق رأسه بما فيها

كنت أخاف من هذا الرجل وأقف أمامه « مؤدبا » خاضعا لأوامره . وكنت احمل الطرشى وأسير من الدرب الاحمر إلى البيت فى باب الفتوح ، وهذه المسافة يقطعها « الحمار » السريع فيما لا يقل عن ساعة ، وكنت إذا تأخرت فى الطريق قليلا نالنى من غضب الشيخ محمود وشتائمه ما لا قبل لى باحتماله ، ويكون سبب تأخرى ـ فى العادة راجعا إلى معاكسة الاطفال العفاريت لى فى الشوارع التى أمر منها والحوارى والدروب التى اجتازها . فقد كان يحلو لبعضهم أن يشد طرف ثيابي على فجأة ويصيح بي هازئا .

يا مجاور عمتك دابت م الطرشى والفول النابت

ويحدث أن أهتز لهذه الحركة المفاجأة فتنقلب « السلطنية » بما فيها على ثيابي فيزداد هرج الاطفال حولى وتنتظم حلقتهم صائحين فرحين فيرتلون نشيدهم المحبوب :

يا مجاور عمتك الخ ...

وأعود إلى طرشجى باشا لاشترى غير الذى زين ثيابي بالبقع ذات الألوان المختلفة فاسمع منه ما يشاء « الكيف » أن أسمع من التنكيت والضحك على عودتي له مكسوفا « مبلولا »

لذلك صممت على أن اقوم بكل أنواع الشغل في البيت نظير

أن يقوم زميلى عنى بهذه المامورية الثقيلة . وفرح زميلى الشيخ عبد الشافى بهذه القسمة فكان لايفعل اكثر من إحضار الطرشى كل يوم وعلى بعد ذلك كل ما يتطلب البيت من كنس وتنظيف أطباق وانضاج طعام . . . كل ذلك كنت أفعله راضيا بما قسم الله لى لانه فى داخل البيت ولانه بعيـــد عن وجه طرشجى باشا ومصائبه

* * *

يارب السماء ! ! ويا خالق الحب ، سبحانك جلت قدرتك وعمت رحمتك أنا « الشيخ عبد الله » الغارق فى هذه الهموم بين حفظ الفية ابن مالك واستظهار دروس النحـــو والصرف والتوحيد والفقه والمنطق وبين شقاء البيت وغسيل الاطباق وانضاج الطعام تأبى رحمتك السماوية الا أن تبعث الى من تشفق على و . . . وتحبنى ! ! !

كانت هذه الجارة الرحيمة تطل على من نافذتها ـ وأنا لا أراها ـ فيذوب قلبها رحمة بي وشفقة لما رأتنى أخلع ثيابي التى كانت تمتاز عن ثياب زملائى بغلائها ونظافتها ثم ، ابدأ عملى فى تنظيف الاطباق واعداد الطعام ، وكانت ترى وجهى المشرق الباسم تعلوه طبقات من الغبار بعد الكنس ودخان الكانون بعد تهيئة الاكل

وما كان أشد دهشتى وفزعى حين دخلت على فى ساعة كنت فيها وحدى منكبا على عملى قبل أن يحضر رفقائي من الجامع لتناول طعام العشاء

طرقت الباب ثم دخلت وانا على هذه الحال الزرية فخجلت وأطرقت برأسي دون أن أتكلم ، وأرادت أن تزيل وحشتي فابتسمت قائلة :

ـ سعيده يا سى الشيخ

ـ سعيدة يا ستى اتفضلى

ـ اتفضل إيه يا اخويا هو انتم تعرفوا تطبخوا ؟

ـ أهو على قد الحال

ـ لأ ، بكره وانا آجى أطبخ لك علشـان تشوف الفرق بين طبيخى وطبيخكم

وشكرتها على ذلك بعبارة متلعثمة ثم تلكأت قليلا وانصرفت إلى مسكنها وظلت ترمقنى من النافذة باسمة متهللة الوجه

وأقسم بذكرى هذه الايام السحيقة انى لم أر وجهها فى ذلك اليوم إلا لماما ، ولقد أعماني الخوف والاضطراب فلم أتبين ملامحها ولم أقو على متابعة النظر اليها . ولقد أخفيت عن رفقائي هذه الزيارة التى بوغت بها

وانتهزت فرصة خلو البيت من زملائى فى اليوم التالى فحضرت . . وقامت عنى بكل مشاغل البيت وأنا بجانبها ذاهل من فرط أدبها وجم تواضعها احدثها حديث الخائف المشدوه

حضر الرفاق فأكلوا هنيئا وشهدوا لى بالتقدم فى صنع الكوسة واتقان الصلصة

. . . . توالت الأيام والزيارات وأنضجت أحاديثها الحب فى قلبى بأسرع مما كان الكانون بنضج الطعام ونحن بجانبه نتحدث

ونتحدث ! !

* * *

ولقد كان رفاقى يبالغون فى إطرائي ويبدون إعجابهم باستقامتى، وزهدى فى الخروج من البيت وحبى للاستكانة والعكوف على مذاكرة دروسى مع النشاط المنقطع النظير فى كنس غرفة النوم والعناية بتنظيف الحلل والاطباق ومسح البلاط، وكانوا يرون البيت كل يوم في تحسن مستمر وصقل وبهــــاء، فاذا انقضى الاسبوع المخصص لعملى مع زميلى الشيخ عبد الشافى عاد البيت إلى سـابق حاله من قذارة وتشويش. وكنت أتحرق شوقا لاسبوعى الذى تخصصت للعمل فيه لأننى كنت فى الحقيقـة قد تفتح قلبى لجارتي الرقيقة الشابة المليحة، وكان ذلك أول عهدى بالحب فكان حبا عنيفا جارفا يهز كل مشاعرى هزاً قويا. وكنت أذهب لحلقة الدرس شارد اللب ذاهل العقل، لا أعى مما يقول الشيخ شيئا، فاذا ذكر بيتا من الشعر يستشهد به على قاعدة من قواعد الاعراب، وكان هذا البيت غزلا تنبهت لمعناه حواسى، ورحت أناقش الشيخ فى معناه مناقشة حادة، ثم ينصرف الحديث من البيت الشعرى إلى بقية موضوعات الدرس فاعود إلى سابق ذهولى وإطراقى، لا أفكر إلا فى الجارة العزيزة وما غمرتنى به من حب وعطف وحنـان. ومنذ ذلك الحين أحببت الشعر وأقبلت على قراءته، وابتعت ديوان البهاء زهير فوضعته بين كتبى الازهرية. ولم أكن أعلم ما خبأ القدر

* *

حضر والدى من البلد فجأة ، ودهشت لحضوره على غير عادة ، ثم اجتمع الرفاق مساء وجلسنا صامتين ، ثم دار همس بين والدى وبين كبيرنا الشيخ محمود .. لم أكن أعرف لهذه المباغتة معنى ، لكن قلبي كان يحدثني أن الصاعقة ستنقض وأن خبر الجارة المحبوبة قد اتصل برفاقي فأجمعوا أمرهم على إحضار أبي لاطلاعه على جلية الامر . وقطع هذا الصمت الرهيب صوت الشيخ محمود الأجش قائلا .

« ابنك يا سيدنا الافندى فسدت إخلاقه ، ابنك اتبع هواه وخالف الشرع ، ابنك فى غير عهدتنا من اليوم »

أما انا فقد مادت بي الارض وتولاني الفزع وعقد الهلع لساني فلم يفتح الله على بكلمة أقولها

وأما والدى فقد سأل الشيخ محمود عن السبب الذى جعلهم يعتقدون فى هذا الاعتقاد . فنظر الشيخ محمود إلى نظرة فاحصة ثم قال : « السبب يا سيدنا الافندى موجود فى الشباك الشرقى من هذه الغرفة »

وكان هذا الشباك هو الذى تطل على منه الجارة العزيزة ، فلم اكد أسمع هذه الاشارة حتى أحسست كأنني أزفر قطعا من قلبي متناثرة لهول ما أسمع

وقال والدى للشيخ محمود « انى لم أفهم معنى ان سبب فساد أخلاقه موجود فى الشباك ، فوضح لنرى حقيقة الامر »

عندئذ قام الشيخ محمود نحو الشباك الشرقى بخطى مسرعة . ووقف أمامه وقال:

« هنا سبب فساد أخلاق ابنك ، هنا المنكر مجسم بفصه ونصه »
ومد يده إلى الشباك وظل ينثر كتبي هنا وهناك ، ثم تناول من بينها « ديوان البهاء زهير » وراح يلوح به في الفضاء ويقول . هذا هو السبب يا سيدنا الافندى فى الفساد . الشريعة السمحاء تنص على سنية الوضوء بعد قراءة الشعر وما ذلك إلا لأن الشعر من المنكرات ، قال تعالى : والشعراء يتبعهم الغاوون ، وقال تعالى . وما علمناه الشعر وما ينبغي له » وراح الشيخ سامحه الله يهذى بهذا الاتهام السخيف . وكنت قد تنفست الصعداء حين علمت أن كل ذنبي فى نظره انى أحمل ديوان شعر البهاء زهير ، وكأن والدى لم يعجبه هذا الاتهام ولم يقنعه دليله فاكتفى بتأنيبي وتناول الديوان من يد الشيخ محمود فمزقه ثم رمى به خارج البيت

الحق ان دهشتى كانت بالغة حين علمت أن قراءة الشعر واقتناء ديوان منه يستوجبان هذه الضجة الصاخبة والمباغتة القاتله التى بوغت بها ، على انى حمدت الله الكريم على أن نجاني من فضيحة الامر « الاهم » وعولت على أن اقطع صلتى بجاري المحبوبة مهما كلفنى ذلك من وجيعة وألم

عاد والدى إلى البلدة ، وعدت إلى دروسى مكتئبا حزينا ، ومرت الايام بطيئة الخطى متلكئة فى سيرها حتى جاء الاسبوع المبارك اسبوع عملي بالبيت ، وتخيرت صاحبتى الوقت المناسب ودخلت على عادتها متهلله الوجه باسمة الثغر تحيينى وتعبث بشعرى وهى جالسة إلى جانبى تدني فمها من فمى وتلف ذراعها حول عنقي وتطيل النظر إلى وجهى ، وانا فى هذه المرة خائف

مذعور يكاد الخوف يذهب بعقلي !! كل ذلك وهي إلى جانبي تشد يدها على يدي تارة وتدني جسمها من جسمي تارة أخرى فلا أزداد إلا خوفا واضطرابا . وسألتني عن سبب هذا الاضطراب فأخبرتها بحضور والدي من أجل أنني « اقرأ الشعر » فكيف إذا علم رفاقي أنني بجانب امرأة اغازلها وتغازلني . لم اكد انطق بهذه العبارة حتى تولاها وجوم قاتم ، وظلل وجهها المشرق الجميل طيف من الهم والحزن ثم قامت متخاذلة صامتة إلى الباب وبقيت!!! ولا تسل كيف بقيت!!!

* * *

لم اطق صبراً على فراقها ؛ ولم تطق صبراً على فراقي ، والتقينا، ثم ظل اللقاء بيننا يتوالى وترتفع حرارة الحب فيه مرة بعد اخرى حتى غطى الحب على اعيننا فلم نعد نرى شيئا في هذا الوجود سوى ظلاله الفينانة الوارفة

في اجازة (المولد النبوي) حيث سافر الرفاق الى البلدة ، وبقيت بحجة معالجة عيني التقينا ، وليس في البيت من رقيب !!

يا لها من ساعة حافلة بشتى المناظر والتهاويل والصور ! يالها من ساعة مفزعة مرعبة ترتعد لهولها الابدان وتذهل العقول !

... كانت قد حضرت كعادتها كل يوم ، وكنت ارتقب حضورها بلهفة وشوق ، وجلسنا والحديث العذب يذهب بنا قريبا وبعيداً ! وطال الجلوس ، وامتد نفس القول ، وتلامست الشفاه ، والتفت الاذرع ، وسرت حرارة الجسم في اوصالنا ، والتهبت انفاسنا ، ورن صوت القبلات الحارة العميقة ، وحال

التداني الى عناق !!

فى هذه اللحظة ـ ويا لهول هذه اللحظة ـ فتح باب الغرفة بدفعة عنيفة قوية . ودخل منه رجل اشيب الرأس ، غائر العينين ناحل البدن ، يتطاير الشرر من عينيه الغائرتين ، فمد يده الناحلة الهرمة فقبض بها على يدى ، ومد يده الاخرى فقبض بها على يدها ووجمت لا أنطق بكلمة . وتولاها الخرس فلم تحرك شفتاها بغير الهمهمة والانين الذى كان يشبه حشرجة الموت : أما هو فقد عرفت من الحديث انه زوجها ، وأنها تبغضه لانها غادة وهو عجوز متهدم ، ولان أهلها أرغموها على الزواج منه لانه (ساعاتي وبيكسب)

. . . وبدأ الزوج يتكلم ـ ويداه قابضتان على يدينا ـ فقال بعد أن ارتسمت على شفتيه ابتسامة صفراء حاقة :

ـ لا ، لا ، متخموش ، بس رايح أحكى لكم حكايه صغيرة مش عامل فيكم حاجة أبداً ، مرة من ذات المرات فات (الوالى) بالليل فى حارة من الحوارى وهو متخفى علشان يفتش على شئون الرعية وبعدين بص وجد واحد بيخبط على باب من الابواب بشويش جداً ، وبسرعة بص وجد الباب اتفتح ودخل فيه اللى كان بيخبط ، وبعدين الوالى قلبه حس بأن الراجل اللى دخل ده مش صاحب البيت . ولازم يكون فى الامر شيء !! فضل واقف الوالى شوية بعد شوية ، وبعدين لقي راجل تاني جاى يخبط انما تخبيط بجرأة وتأكد الوالى ان ده هو اللى صاحب البيت بحق وحقيق . قام الوالى ناداه وقال له :

ـ اسمع ياراجل أنا الوالى وفيه راجل دخل عندك في بيتك من مدة نص ساعة . روح اهجم على البيت اذا لقيته مع مراتك اقطع رأسه وهاتها لى هنا

حاضر يامولانا أمرك مطاع

وبعدين دخل الراجل وجد الشخص ده مع مراته ، وبعد شوية خرج للوالى شايل راس القتيل . بص الوالى فى الراس وجدها راس امرأة . صاح بالراجل :

أزاى عملت ياتيخ ؟! دى راس المرأة مش راس الراجل

فقال له والدم نازل من الراس يتساقط على جبة الوالى :

أيوه يامولانا دى راس المرأة لانها أصل الشر ، اذا كنت سمعت أمرك وجبت راس الراجل مين كان يضمن لى أن مفيش روس ثانية تتوجد عندها . ولكن لما راس المرة تنقطع يبقي مؤكد مفيش حد بعد كده يخش هنا تانى

آدى الحكاية يابنى ـ قال ذلك وكان لايزال قابضا بيديه على يدينا . وكنا قد ذهلنا وتفككت أوصالنا ـ وانتهى من قصته ثم ترك يدى فجأة وقبض على عنقي قبضة كادت تزهق لها روحى ودفعنى نحو الحائط وقال

راسك دى أسلم بها ، الذنب مش ذنبك ، أما الراس التانية دى ـ وكان قد قبض بكلتا يديه على عنق زوجته ـ مكنش راجل من ضهر راجل اذا خليتها تفضل متصلة بالجسم النجس ده

قال ذلك وهو قابض على عنقها يجذبها إلى ناحية الباب ، وخرجا يتعثران فى خطاهما !! وشاء القدر الا أرى اول وجه

أحببته منذ ذلك الحين

***

وظهر فى الصحف بعد أيام قصيرة هذا الخبر الموجز البسيط ! ! الذى لايحفل به كثير من الناس :

« عثر البوليس ليلة أمس على رأس امرأة مفصولة عن جسدها ، و قد شوه الجانى وجهها حتى لايتمكن أحد من معرفة شخصيتها »

***

تتابعت الايام مسرعة ، وتطلعت نفسه الى « مدرسة القضاء الشرعى » فانتسب اليها ثم نال شهادة العالمية، وانتسب إلى الجامعة المصرية فى عهدها الاول ، وأحب الأدب وهام به ، وخطا مع الزمن كما شاء أن يخطو

وصار « الشيخ عبد الله » عبد الله افندى ، ثم كان الادب له حرفة فلقبه العرف المتواضع بالاستاذ

وجلس يكتب « أيامه الاولى » أو « حبه الاول »

وينسى كل شيء .. لكنه لاينسى جارته العزيزة .. وارحمتاه !!!


الشحاذ الاعمى

الشحاذ الأعمى

كنت يافعا لم أبلغ الخامسة عشرة وكنت أقضى شهور العطلة المدرسية فى قريتنا الصغيرة أياما ، وفى بندر ميت غمر مركزنا أياما أخرى ، وكان خالى عمدة البندر شابا طيب القلب يعطف على المساكين والفقراء ويواسيهم ، وكان محبوبا من أهل البلدة جميعا فهم يحملون له كل محبة واكبار واجلال

وانى لأنسى كل شيء ولا أنسى ذلك الشيخ الضرير البائس الذى كان يجلس متهالكا على نفسه فى منعطف شارع البحر الذى يمتد من المحطة وينتهى عند كوبرى زفتى حيث يستدر رحمة الناس بكلماته الحزينة اللاذعة :

ـ لله ياأسيادى !! الله مايعرى لكم جسد لله يامسلمين الحسنة فى العاجز حلال !!

... وأنظر الى جسده العارى يهزه المرض وإلى رجليه المربوطتين باللفائف الكبيرة فأتمل سقامه وجروحه ! ويتابنى لهذا المنظر ألم أحس به يتمشى بين أوصالى ويتناول بالرجة كل جوارحى واحساسى ، واذ ذاك أجدني مدفوعا اليه بدافع الشفقة فأضع فى يده الممدودة قرشا أو قرشين قد لايكون فى يدى سواهما . وتمر الاعوام تباعا ، وكلما عدت الى البندر ورأيته فى مكانه لايتحول عنه ولا يتغير حاله ، فصوته هو صوته المرتجف ، وكلماته هى كلماته الحزينة المؤثره ؛ وفعل منظره في

النفوس هو هو لايزال بالغا يستدر الرحمة والشفقة من أقسى القلوب وأغلظ الاكباد

وكنا نخرج للنزهه أصيل كل يوم على شاطىء النيل فنلقاه في مكانه المعهود ، ويميل بعضنا اليه بالصدقة يتلوها دعاؤه الحار وضراعته إلى الله المؤثرة البليغة

وقصدنا إلى النزهة بعض الايام ، وكنت فى صحبة خالى ورهط من موظفي المحكمة والمركز ومن بين هؤلاء مفتش الصحة المرحوم الدكتور عبدالله بك شقير ، وكان طبيبا مواسيا يعطف على الفقراء ويمد اليهم يد المساعدة ويقوم بعلاجهم مجانا واذ نحن سائرون على شاطىء النيل . وقف الدكتور فجأة وأخذ ينظر إلى ذلك الشيخ الضرير المسكين نظرة حائرة ثم دنا منه ومد اليه يده بالصدقة فوضعها فى يده ثم التفت إلى « التومرجى » الذى كان يسير من خلفه فأمره أن يحمل هذا المريض البائس فى عربة إلى عيادة المركز حتى يعود فيتعرف داءه ويصف له العلاج

ولقد تولتنا الدهشة حين رأينا الشيخ الضرير ينتفض لهذا الخبر انتفاضا ويتضرع إلى الدكتور أن يدعه فى مكانه :

ـ الله يسترك يابيه تسيبنى !!

ـ ياراجل انت عيان وفيك جروح مزمنة لازم نعالجك

ـ معلهش يابيه اعمل معروف الله ما يرقدلك جته تسيبنى

ـ انت ياراجل مجنون فيه واحد عيان ومليان جروح ويلاقى الحكيم اللى يعالجه ولا يرضاش

ـ العيادا يابيه حملة سيدى المتولى ومكتوب على بحكم قطب

الوقت المتولى وحرام مداويته

وعجبنا جميعا لهذا الحديث الغريب وهذه التصريحات التى لا يفهم لها معنى وزادت رغبتنا فى أن ينقل هذا الضرير البائس إلى العيادة شفقة عليه كيلا يقضى عليه تحت تأثير هذه الخرافات التى ناه بها لاننا لم نكن نعتقد أن أمراضا تحل بجسم انسان عقابا له على ذنب ارتكبه! ولم نكن نؤمن « بدروشة » هؤلاء المجاذيب الذين يدعون أجسامهم فريسة الامراض تفتك بها وهم يعتقدون أنها « حملة سيدى المتولى » وكل ما نستطيع أن نفهمه أن أمامنا مريضا يكاد يقضى عليه المرض وأن بجانبنا طبيبا رحيم القلب يتطوع لخدمة الانسانية فى شخص هذا المريض والمريض يأبى أن يعالج بسبب خرافى وهمى . هذا هو الموضوع في ظاهره لا يدع مجالا للتردد فى مساعدة الطبيب على أداء واجبه

وأشار الدكتور إلى « التومرجى » أن يحضر عربة مسرعا . ووصلت وحمل الشيخ المريض ، اليها وهو يتململ بين يدى سائق العربة والتومرجى ويصيح متضررا : « أنا فى عرضكم تسيبوني ، أنا سايق عليكم النبى محمد ! » ومضت به العربة إلى العيادة ، ومررنا بها فى صحبة الدكتور بعد أن قضينا نزهتنا فاستوقفنا صوت الشيخ وبكاؤه فصحبنا الدكتور الى العيادة لنرى ونسمع من شأن هذا الشيخ إلى النهاية

واقترب الدكتور من الشيخ المريض وأمر مساعده أن يزيح عنه بعض ثيابه ليتسمع إلى دقات قلبه ففزع الشيخ حين دنا منه المساعد وراح يصيح « أنا مش عيان ، أنا فى عرضكم ترحمونى ! !

واستمر الدكتور يجس نبضه ويتبين علته وهو لا يزداد الا صياحا وعويلا

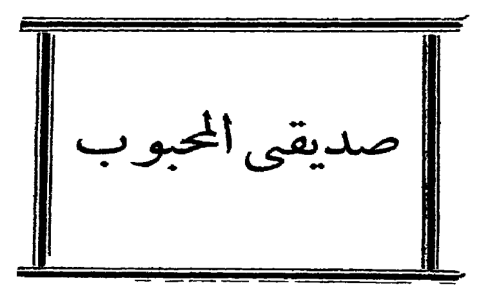
ثم جاء دور جروحه ولفائف رجليه فأخذ المساعد يحاول فك عقدها الكبيرة الملتوية والرجل ينتفض بين يديه ويزداد صياحه وصخبه ، ورأى الطبيب أن مساعده سيبطىء فى حل هذه اللفائف المعقدة فتناول مشرطه وأخذ يجزيه اللفائف جزا فماذا رأينا ؟ رأينا الذهب يسيل من جروحه بدل الدماء ! !

رأينا الجنيهات تتساقط من هذه اللفائف على بلاط الغرفة فيحدث رنينها الجميل فى آذاننا لحنا شجيا

وذكرنا « حملة سيدى المتولى » فالفيناها « حملة ذهبية » نتمنى جميعا أن تصيدنا فلا تدع منا عضوا سليما

وذكرنا صياح الرجل وتململه وهو يحمل الى العربة فعرفنا سر امتناعه عن العلاج ؟ !

وأخيرا ذكرنا قروشنا التى تجمدت على مر السنين فصارت جنيهات صفراء رنانة وأحصيت هذه الجنيهات فاذا هى تبلغ نحو خمسمائة عدا حماها الشيخ فى رجليه بين اللفائف الكثيره ومشى يتهالك على نفسه لا من فرط الداء بل من شدة الاعياء طوال هذه السنين .


صديقى المحبوب

صديقى المحبوب

ليس «محبوباً» منى، لكنه محبوب - كما يقول - من الآنسة رتيبة الراقصة الصغيرة فى إحدى صالات الرقص بشارع عماد الدين، فهى تحبه جداً، و تدرف الدموع الحارة الغزيرة فى حبه كلما غاب عنها، وهو لا يقوى على هجرها لانه لا يرضى أن يكون غادراً بغادة جميلة فاتنة تتعاصر دون حبها أعناق الشباب !!!

وهذا الصديق «س» طالب فى السنة النهائية بكلية الحقوق. فى السادسة والعشرين من عمره أسمر اللون، مضعضع العينين، طويل الوجه، مفرطح الرأس، لا تبهرك من مجموعة شكله بارقة وسامة أو سانحة جمال، واذا تحدث اليك فى شأن من الشؤون فما شئت من ثرثرة واضطراب وأدلة ينقض بعضها بعضا، ولست أعرف لهذا الاضطراب الذهنى فى رأسه من سبب سوى ولعه بأن يكون «حقوقياً» لا يشق له غبار !!! وهو قريب العهد بحياة اللهو والمجون «وزبونا» جديداً لملاهى عماد الدين الحافلة بشتى ضروب الخداع والمكر والاغراء. فاذا مشى إلى بار الكوزموغراف واضعاً يده اليسرى فى جيب بنطلونه رافعا بها طرف الجاكتة متهادياً فى مشيته النصف العرجاء حسب عيون الممثلات والراقصات تشتعل وجداً عليه، ويسير بخطوات بطيئة الى أن يصل الى ركن منعزل عن الناس فى حياء مصطنع وخجل متكلف ظنا منه أن هذا المظهر الذى يظلله الخجل والحياء يحبب فيه الفتيات أو بعبارة أدق وبنص تعبيره هو (المشى بالشكل ده

يخليهم يطبوا)

كان هذا الصديق منذ عامين اثنين فتى مجداً عاملا لا يقصر فى واجبه المدرسى ، وكان ذكيا مستظهرا دروسه على أحسن ما يكون الطالب المجتهد ، وهو لاجل ذلك ظل حافظا منزلته بين اخوانه فى المدرسة فلم يلحظ عليه أحد – بادىء الامر – ما يريب أو يشين

وسقته فرصة سعيدة – أول عهده بالدراسة العالية – الى التعرف بصفوة مختارة من الاصدقاء كلهم أديب ، وكلهم مهذب ، فأحاطوه برعايتهم ، وظللوه بعطفهم ، ولازمهم عامين كاملين فغشى معهم المحافل العامة ، والاوساط المباينه ! وأخذ عنهم الكثير من آداب المجالس وواجب اللياقة وتطلع اليه زملاؤه الاقدمون فى مدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية فاذا هو انسان آخر غير الذى درجوا معه ونشوا على مصاحبته . ذلك لانهم كانوا أحباءه وعشيرته ، وكانوا رفقائه فى الدرس وفى فسحة الساعة ١٠ وفيما بعد الخروج من المدرسة حيث يذهبون الى منزل صديقهم عبد الفتاح فيجلسون أمام المنزل باحدى حارات حوش آدم ويبتاعون البطاطة الساخنة من عم متولى تاجر الحارة الذى يجمع على عربته الصغيرة القصب المنياوى ، وخد الجميل يا حلاوه . وبراغيت الست والسمسميه ، وأم الفلافل ، ونبوت الغفير وجميع ما يخطر ببال الأطفال أو الاكبر منهم بقليل الذين تعودوا شراء هذه الاصناف بما يدخرونه من ملاليمهم وقروشهم

التى يحصلون عليها من آبائهم بشتى الحيل وصنوف التوسلات

كان صديقهم « س » لا يفارقهم إلا لينام، وكان أليفهم وبجيهم فى مدة دراستهم الابتدائية . ودرجوا من ذلك العهد إلى المرحلة الثانية من التعليم الثانوى فتعثر بعضهم فى امتحان الكفاءة وتفرقوا فى مدارس عدة ، لكن منزل عبد الفتاح صديقهم كان يجمع بينهم فى مساء كل يوم . ونال بعضهم شهادة البكالوريا وسقط بعضهم ، وكان هو من بين الذين نجحوا فانتسب الى كلية الحقوق

منذ ذلك الحين بدأ يحتقر مجالسهم . ومنذ ذلك الحين بدأت الصدفه السعيدة التى جمعت بينه وبين أصدقائه الجدد تفعل فعلها فى نفسه ، فلم يعد تفضل على حوش آدم بزيارة حيث ظل اصدقاؤه الأول يترددون على منزل زميلهم عبدالفتاح ، وحيث لم تغير الايام طباعهم الا بمقدار يسير يتفق مع آمالهم المحدودة ونقودهم القليلة ،فهم طلاب فى المدارس الثانوية والعالية لكنهم لا يعدون فى ذلك مراح الطلاب المجدين فلا تبهرهم حياة اللهو ولا تخدعهم مظاهر التمدن ، وليس لهم الا ليلة واحدة فى الاسبوع يقضونها خارج منزل صديقهم عبد الفتاح فيتواعدون على اللقاء فى «بوفيه» حديقة الآزبكية لسماع الموسيقى ومتابعة رواية السيما

أما صديقهم « س » فقد تغير من حال الى حال واصبح لا يرى الا فى صحبة أصدقائه الجدد «بصالة البليارد» أو دور التمثيل الراقيه أو الحفلات الساهرة حيث يلتقي بالطبقات العالية المهذبة . وقد فرح به أهله وأعزه أبوه وأغدق عليه من ماله وراح يباهى به وبأصدقائه « الناس الطيبين »

وأبوه الشيخ محمد أحد تجار السكة الجديدة رجل تقي صالح لا يعرف من شئون الدنيا اكثر من طريق متجره وبيته ، وهو عصامى جمع ثروته من كده ونصبه فابتنى عمارة كبيرة أنفق عليها نحو عشرة آلاف من الجنيهات ونمت تجارته النادرة القليلة فابتنى عمارة أخرى أصغر من سابقتها ، لكن هذه الثروة التى تعتبر كبيرة يحسده عليها أقاربه الفقراء لا تعدل فى نظره مستقبل ابنه العزيز الذى اغتبط بنجاحه ودخوله مدرسة الحقوق !! والذى يترقب له مستقبلا باهراً لا يقل عن منصب وكيل نيابة أو قاض !

كنت أنا أحد أصدقاء هذا الطالب ولم يكن الفارق بين سنى وسنه يمنعنى من مصاحبته لما توسمته فيه من الوفاء والولاء والامتثال ، ولقد قضى فى صحتنا عامين كاملين لم نكن لنشكو منه فى خلالهما سوى جهله بتقاليد المجتمعات وعدم مرانه ، على أنه لم يلبث بعد قليل أن تهذب ورقت حواشيه وصار إنسانا « وسطا » لا يرتفع إلى مستوى التهذيب والكمال ، ولا ينحط إلى درجة الجهل والغباء

هذا الطالب ، هذا الصديق المحبوب كان لابد أن يسقط وأن يتبذل م : هجر مجلسنا وفر من سهراتنا الهادئة المتواضعة وارتمى فى أحضان شيطان من شياطين الانس يدعى عبد المجيد افندى فاصطحبه إلى ر الخلاعة والمجون وحبب اليه حياة اللهو والتبذل فشرب الكاس الاولى ثم أردفها بالثانية والثالثة ، وتفقدناه نحن فلم نجد نراه ، وطال غيابه عنا وراح يسف فى

مباذله ومهاتره

وكنت اكثر الاصدقاء إشفاقا عليه بعد أن انحدر الى هذه الهوة السحيقة فأخذت احتال على لقائه وبذل النصح له ؛ وهو سادر فى غلوائه لا يسمع ولا ينتصح وضقت بحاله ذرعا ، وتمثل أمام ناظرى مستقبل شاب فى نهاية مراحل تعليمه تكاد تذوى غصنه الناضر فتاة خليعة مكذاب لعوب ، ورأيت أنه لا بد من التضحية ، ولتكن هذه التضحية بأن اسايره واصاحبه فى لهوه . وأن أتعرف إلى فتاته المولهة فى حبه ، ولأنزل قليلا عن كبريائى فلا أجد غضاضة فى غشيان دور الرقص البذيئة وشرب الخمر ولو كنت لذلك من الكارهين

قدمنى إلى فتاته فى بار الكوزموغراف وبقيت أتردد عليه فى كل مساء وأتقرب إلى الفتاة وأغريها على الاطمئنان إلى صحبتى حتى أنست بوجودى وراحت تسأل صاحبها عنى كلما غبت عن مجلسها

-

بينما كان الشيخ محمد والد صديقى «س» يؤدى صلاة التراويح فى المسجد الحسينى ضارعا إلى الله أن يمتعه بقرة عينه ومعقد آماله ، كان ابنه فى البار بجوار رتيبة الراقصة يحتسى كؤوس الخمر ويطارحها الغرام ، وأدى والده الصلاة وعاد إلى المنزل لكن ابنه لم يكن قد أنهى صلاة الشيطان !!! ونام الأب ملء جفونه ، لم يفكر فى غياب ابنه عن المنزل لأنه — كما يعتقد — فى منزل أحد أصدقائه يستظهر دروسه إلى موعد «السحور» ثم يعود فيخلع ملابسه ويتهيأ لتناول السحور مع والدته واخوته !!!

كذلك كان إعتقاد الاب ! ! أما والدته فقد كانت أحست تغيراً ظاهراً في أخلاقه، وكان قد أرهقها فى طلب النقود ، واحتال على اخوته الصغار فابتز منهم المبالغ التى كانوا قد ادخروها منذ أعوام فبددها جميعا ، وتسلم مصروفات المدرسة فأنفقها في ليلتين ثم عاد إلى والدته يبكى زاعما أنه فقدها في الطريق فأخفت الامر عن أبيه ومنحته مبلغا آخر كان نصيبه كنصيب سابقه ، ثم أنقذه من ذلك الموقف صديقه الوفى وزميله فى المدرسة عمر افندى . . .
وكانت كل هذه الظواهر المريبة شديدة الأثر فى نفس والدته المسكينة ، لذلك لم تكن ترى رأى والده فيه ؛ وخفق قلبها فى هذه الليلة خفقاناً متواصلا حين دنا موعد السحور ولم يحضر كعادته، وحل الموعد وهى تتسمع الخطوات بلهفة ووجيعة على القادم يكون ابنها !!!

نام أفراد الاسرة ؛ وتساءل الاب عن غياب ولده فلم يسمع من والدته جوابا مفهوما وآوى الى غرفته ثم غلبه النوم فنام. لكن الام لم تنم ! ؟ وهيهات أن تنام عن فلذة كبدها وهى التى لاحظت عليه ما لاحظت ،

وبكت من أجله ما شاء الله أن تبكى

فى الساعة الرابعة صباحا فى هجعة الليل واغفاءة الفجر ، فى سكون الليل الرهيب ، سمعت الأم وقع خطوات ثقيلة متباطئة فمشت على أطراف قدميها حتى لا تزعج الوالد النائم والاطفال الصغار وفتحت الباب فى رفق وهدوء وأضاءت المصباح وأرسلت بصرها الى موضع الخطوات فاذا القادم هو ابنها « س » وخطت

اليه مسرعة حين رأته متهالكا على نفسه لا يقوى على الوقوف ، وسمعته يهذى بكلمات متقطعة وألفاظ بذيئة وانبعثت رائحة الخمر من فمه الى أنفها ، فوقفت واجمة لا تتحرك فيها جارحة ؛ ثم أفاقت من ذهولها على صوت أجش يشبه حشرجة الموت ؛ وفتحت عينيها فاذا ابنها يقيء ويفرغ ما فى جوفه بصوت مرعب مخيف ، ودنت منه فمدت اليه يدها ليعتمد عليها فى صعود السلم وما زالت به حتى أوصلته الى سريره فارتمى عليه لا يعى ولا يفيق . وتحركت فى أمعائه بقايا الخمر والطعام فأفرغها على الوسادة وفوق السرير ؛ وراحت أمه تنظر اليه وهو على هذه الحال فتبكى وتنتحب ! !

واستيقظ الوالد في الصباح مبكراً الى عمله بعد أن أخبرته الوالدة ان :

— بسلامته كان بيتسحر مع زميله اللى بيذا كرو وياه امبارح

— طيب لكن كان لازم يقول لنا انه ناوى يتأخر

— نهايته أهى مرة وفاتت

.... واستيقظ الابن المنكود فرأى بعينه آثار خزيه لاتزال عالقة بثيابه وفرش سريره ، واستعرض ليلة أمس وما حوت من مباذل ومجون ، وذكر فضيحة وصوله إلى المنزل سكران لا يعى ولقاء أمه له وهو على هذا الحال ، وتمثل فى خاطره صلاح أبيه وتقواه وطيبة قلب أمه وحنوها عليه . ذكر ذلك كله فأطرق مهموما حزينا ، ودخلت عليه أمه ! ! فرفع رأسه ينظر اليها ، ثم أطرق ثانية لا يقوى على النظر الى وجهها لفرط ندمه وخزيه وعاره :

ـ يا عيب الشوم ياابنى !! الناس اللى بيسكروا فى رمضان بيتوبوا وانت كده كده اخص عليك ، عوضى على الله فيـك أفرض إنك مت واللى دهسك رماى

ـ أهى مرة وفاتت يا بينه بلاش وجع قاب ثم قام متثـاقلا فخلع ثيابه الملوثة وارتدى ثيابا أخرى وخرج ...

لقيته في هذا اليوم فقص على قصة ليلته المخزية ووجدته فى هذه الحالة أقرب الى الاستشعار بالندم وأدنى الى قبول النصيحة فقلت له :

ـ صحيح البت دى بتحبك ؟

ـ لأ اذا كان على كده دى مسكينه حتتجنن

ـ يعنى بتحبك .. ؟

ـ وهى دى مسألة عاوزه استفهام ، انت مش شايف بعينك. والله لولا ان البت دى مسكينة وبالشكل ده أنا ما كنت سألت عنها ولا صرفت عليها ولا مليم . ومع ذلك أنا عمرى ما ناولتها ولا قرش فى ايدها

ـــ لكن يا ترى بتحبك لذاتك والا لاسباب ثانية

ـــ أسباب ايه

ـــ يعنى مثلا تكون بتحبك عاشان بتصرف عليها أوطمعانه انك تتجوزها

ـ أبداً والله دا القرش اللى فى ايدها دايما تحت تصرفى

ـ يا أخى يظهر بقى انها بتحبك لله فى لله

ـ أمال يا أخى يعنى هم دول عاشـــان ما هم عموميين

ما لهمش قلوب

وطال بنا الحوار على هذا المنوال انكر عليه اخلاص أولئك النسوة مرة وأعود فأسلم له بما يريد مرة أخرى ، وافترقنا .

أخيراً كان لابد من أحكام مؤامرة أنقذ بها هذا الصديق المنكود ، وكان لا بد أن أستعين على هذه المؤامرة بصديقه الوفى عمر افندى . . .

التقيت بعمر افندى . . واتفقت معه على ما يأتى :

أولا : أن يسافر الى عزبته ومعه صديقنا « س » المحبوب ! !

ثانيا : أن يظل معه بالعزبة عشرة أيام

ثالثا : أن يمنعه عن الحضور قبل العشرة الايام بأية وسيلة مهما كلفه ذلك من المشاق

رابعا : أن يختلس من حقيبته أدوات الحلاقة حتى تمضى عليه العشرة الايام بدون حلاقة

خامسا : أن يتسبب فى تلويث بذلته خلال المدة بحيث تبدو كالقديمة الرثة فى يوم حضوره الى القاهرة

سادسا : يجب أن يعمد الى زر طربوشه فينثر بعض فتلاته وأن يجلس عليه مرة كأنه لم يلتفت الى موضعه بحيث يبدو قديما باليا .

سابعا : أن يحضر به الى القاهرة بعد احكام هذه الوسائل جميعها حتى لا يتسرب الى ذهنه أنها مقصودة . ويجب أن

تكون عودته به الى القاهرة فى آخر اليوم العاشر بحيث يصل فى الساعة الخامسة من مساء يوم الثلاثاء ٢٥ فبراير على هذه الحالة الرثة المزرية

ثامنا : يجب أن يمر به على بار الكوز مجراف فى هذه الساعة راكبا عربة مقفلة . فاذا لمحتهما وأشرت اليهما بالنزول وأراد هو الاعتذار حتى يعود الى المنزل ليصلح من شأن ثيابه وهندامه وجب ألا يقبل عذره وأن ينزله على الامتثال

تاسعا : سيجد فى جيب جاكتته « ساعة حريمى » فعليه ان يختلسها أثناء اقامته معه فى العزبة فاذا تفقدها ولم يجدها أفهمه انه ربما نسيها فى البيت قبل حضوره

عاشراً : يجب أن ينفذ كل هذه الاشياء « عميانى » من غير ان يسألنى عن اسبابها او مسبباتها

...

وترددت فى خلال هـــذه المدة على بار الكوز مجراف والتقيت بالآنسة ! رتيبة وكانت كلما التقت بي بادرتنى بالسؤال عن معبودها « توتو » فهى دائما تناديه بهذا الاسم ، وأحببت ألا تمر عشرة الايام قبل أن أضع الخطط الاولى لتنفيذ المؤامرة ! !

سألتنى أول يوم :

ـ فين توتو ؟

ـ والله مش عارف النهاردة مشفتوش وانتقلنا من السؤال عنه إلى التحدث فى موضوع حبها له فسألتها :

ـ بالذمة يارتيبة بتحبى توتو صحيح ؟

فتجهم وجهها وانقبضت أساريره ... وأجابتنى بصوت متهدج تخنقه العبرات :

ـ ياخبر زى الهباب انت كمان ياعبد الله بتسأل السؤال ده بعد اللى أنت شايفه بعينك ، يعنى لسه معرفتش ان كنت بحبه وإلا لأ

ـ طيب ماتزعليش يانور عينى أنا بس غرضى أهزر وياك

ـ لأ بالذمة دا هزار بارد

وطيبت خاطرها واعتذرت لها عن هذا « الهزار البارد » وأخذنا ننتقل من حديث إلى حديث إلى أن جاء موعد ذهابها « للشغل » وافترقنا على أن أبحث لها عن « توتو » معبودها الذى لانصبر على فراقه يوما

والتقيت بها فى اليوم التالى فأخبرتها أن توتو ليس فى منزله منذ أمس وان فى الجو اشاعة عن غيابه لم أتأكد من صحتها بعد ونظرت الى نظرة طويلة أعقبتها دموع !! غزيرة تساقطت على خديها ثم نهضت لتبحث عنه فى القهوة التى تعود الجلوس عليها فى بعض الايام

لكنها عادت بدون جدوى . وكنت لاأزال في مكاني مع بعض أصدقائى فدنت منى مقرحة الجفن تبدو عليها علائم الهم والقلق وجذبتنى من يدى وانتحينا ناحية قصية ثم بدأت تسألنى

ـ إيه ياعبد الله حكاية توتو ملوش عادة يغيب عنى من غير سبب ؟

ـ والله أنا كمان متحير مش عارف راح فين

ـ لأ ياعبدالله بلاش لؤم قل لى فين توتو

ـ برول دونير معرفش فين هو . لكن بكره أقدر أسأل عليه تاني وأشوف الحكاية اللى سمعتها عنه صحيحة والا لأ

ـ حكاية إيه ؟

ـ دى أشاعة سمعتها عنه امبارح مقدرش أحكى لك عنها الا لما أتأكد

ـ طيب وحياة عينك ياعبدالله ترجع لى بكره وتقول لى جرى له إيه

وعدت لها فى اليوم الثالث فألقيت القنبله التى أحكمت صنعها والتى اعتمدت على فعلها فى نفسها فقلت متكلفا التأثير والاشفاق :

ـ مسكين توتو يارتيبه تأكدت النهارده إن أبوه طرده من البيت بعد ماعرف حكايته ويا كى وكان قبلها قطع عنه الفلوس وفضل يستلف من أصحابه ومن جرسونات القهوة لحد ماانفضح [illegible]رد وبعدين محدش يعرف راح فين

ولم أكد أبلغها هذا الخبر حتى امتقع لونها واضطرب حديثها وبدت على وجهها دلائل الذعر والوجل وقالت :

ـ ازاى حصل كده دا مفهمنى أن نينته غنية وبتديه كل طلباته وانه ميهموش فلوس أبوه

ـ دا صحيح . لكن بيقولوا ان أبوه حرج على نينته متدهش فلوس والا تكون طالق ؟!

وعلى كده مسكين ضاقت الدنيا فى وشه ومين يعرف هو جرى له ايه دى الوقت ؟

ـ والله عال !!! يعنى حضرته يميل بختى و يضحك على وبعدين يعمل كده

ـ وهو عمل إيه يارتيبة : برده أخرتها كده

آخرتها كده إيه وسخام إيه زمانو كان باع ساعتى ، اللى أنا مدياهاله يصلحها

ـ مين يعرف !! جايز

وتركتها على هذه الحال وانصرفت ، ثم ظلت بقية الأيام القاها فأحمل لها كل يوم خبرا يؤيد صحة الاشاعة . وزاد فى تصديقها غيابه الطويل فملأ اليأس قلبها ، وراحت ترمى شبا كها على غيره من رواد عماد الدين الاغرار فرأيتها تجالس سواه ممن كانوا يرفون حولها كالفراش يرف على النار فيحترق

ثم مضت الايام العشرة سراعا ، وحل الموعد المضروب بينى وبين عمر افندى فذهبت اليها فى بار الكوزمغراف على عادتي وتعمدت أن أثير الحديث من جديد فذكرته باسوأ مايذكر به انسان وأخذت تصف « ميلة بختها » مع توتو وكيف أضاعت من يدها صداقة كثير من الشبان بسببه

وحل الموعد المتفق عليه تماما ، ولمحت عربة تمر من أمام البار تبينت فيها عمر افنـــدى وبجانبه صاحبنا توتو فقمت مهرولا وناديت لهما فوقف العربة ونزلا منها . أما توتو فكان على الشكل البشع الذى أردت أن يكون عليه . وسلمت عليهما بحرارة ثم عرضت عليهما أن يجلسا قليلا على أن أقوم معهما بعد قليل . لكن توتو مانع بحجة أن البت يمكن يكون جوه وتشوفو ابالشكل

ده تبقى فضيحة

فأكدت له أنها ليست موجودة ، وانها على فرض وجودها فماذا يضره وهو متأكد من حبها له كل ذلك وصاحبي عمر افندى لا بدري ماذ أبغى من هذه المؤامرة الطويلة المدى وانتهى الحديث على أن ندخل إلى البار ثم نعود إلى منزلنا بعد قليل

ودخلنا البار فلم نكد نخطو إلى داخله بضع خطوات حتى كانت رتيبة عاشقة توتو قد لمحته فأسرعت اليه ، ورآها مقبلة نحوه فارتبك واضطرب لما هو عليه من حالة رثة زرية . ورأت هى اضطرابه وزوغان بصره فأولت هذا الاضطراب بصحة ماأخبرتها به وكانت قد وصلت اليه فسلمت عليه سلام الساخرة الشامتة ، ثم لم تمهله فسألته عن الساعة التى أخذها لاصلاحها . فابتسم ابتسامة خافته ثم قال لها :

والله الساعة ضاعت منى وأنا مسافر . انت حتى مش شايفه ازاى أنا مبهدل وهدومى وسخة

ـ سفر إيه ياخوى اللى كنت مسافره . وليه متعترفش بالحقيقه وتقول ان أبوك طاردك والساعة بعتها

ـ أبويا طاردني ؟ والساعة بعتها ؟

ياسلام بتندهش قوى وبتعملهم وتنطلى أنت فاهم اني معرفتش كل حاجة

ـ جرى لعقلك إيه يارتيبه انت سكرانة ؟

ـ يمكن سكرانة !!

ومال على عمر افندى هامسا

- إيه ياعبدالله الحكاية ؟

الحكاية ان مكنش قدامى حيلة أبين بها لصاحبنا كدب البنات بتوع عماد الدين دول الا كده. وحالا حينكشف له كدب صاحبته وحبين له اني أنا اللى رتبت كل ده

و كان الحديث بينه وبينها يزداد غموضا وحده

فهى تصر على أنه « نصاب » وأنه غرر بها وفى النهاية أخذ ساعتها فباعها، وهو ذاهل مشدوه لهذه المفاجأة فلا يعرف كيف يدافع عن نفسه أمامها وأوشكت أن تقوم اليه فتشتبك به أمام الناس و كالت من الشتائم مارد اليه عقله المسلوب ثم ما.-، عليه بعد أن انتحيت به ناحية وقلت له.

-الآن ياصديقى « المحبوب » عرفت مقدار حبها لك. والآن يجب أن تعلم انى أنا الذى اتفقت مع صديقنا عمر افندى على تنفيذ هذه الخطة. فتقدم بالشكر لزر طربوشك المقطع ولنقنك النابتة وبذلتك الرثة. أما ساعة صاحبتك الفاجرة فهى فى جيب صديقك عمر. ومد بها عمر يده فتناولها « تو تو » ومشى بها إلى حبيبته الطاهرة ! ! المخلصة الوفية ! ! فرمى بها فى وجهها. وانصرفنا جميعا وهو يشد على يدى ويقول أنجيتنى ياصديقى فشكراً لك


السـارق

السارق

فى حى الجمالية ـ بالقرب من باب الفتوح ـ يقوم منزل فخم واسع الارجاء، مشيد على الطراز القديم. يحوط به سور مرتفع يكاد يحجب عن المارة بناءه العالى

صاحب هذا المنزل هو محمود بك الألفى ربيب النعمة التى ورثها عن أبيه المرحوم الذى كان أحد كبار التجار بالعاصمة. وقد ورث محمود بك عن والده أملاكا واسعة وأموالا يجاوز عدها عشرات الآلاف. وهو لا يحب العمل. ولا يريد أن يجهد نفسه فى تنمية هذه الثروة الطائلة لأنه نشأ على حب «القناعة» ومن المؤمنين بعقيدة التوكل على الله «وما كان لك سوف يأتيك» لذلك لا تراه إلا فى منزله مع عصبة من رفاقه الذين اصطفاهم للتسلية وقطع الوقت أو فى عربته مع اثنين أو ثلاثة منهم حيث يخرجون عصر كل يوم الى الجزيرة لاستنشاق الهواء، وهو لا يحب من هذه الدنيا غير ثلاثة أشياء: أحدها «غية» الحمام وتربيته وانفاق المال الكثير على شرائه والعناية به، وثانيها الجواهر فهو كلما سمع عن جوهرة نادرة خف إلى بائعها وساومه عليها واقتناها مع مجموعة الجواهر التى يفاخر بها ويعتقد أنها تفوق فى نفاستها وندورتها أغلى مجموعة يحويها قصر ملك أو مهراجا، وثالثها «الاخوان» وهؤلاء الاخوان الذين يحبهم ويصطفيهم قد اصبحوا عنده «كيف» فلا يصبر على مفارقتهم يوما واحداً لذلك لا تراه الا معهم ولا يعرف من أحوال أهله

و أقربائه مثل ما يعرف من أحوالهم ، وقد اختار هؤلاء الاخوان لسره و نجوا بعد تجارب سنين عديدة ، وبعد أن أنس بعشرتهم و اطمأن الى صحبتهم فأغدق عليهم النعمة وحباهم بعطفه و حبه ، و كان أحب هؤلاء الاخوان اليه « بيومى افندى الخايب » و « سمير افندى الشاعر » لانهما فى نظره أحق بالعطف من غيرهما و أخلق بالحنان من جميع الناس لكثرة ما عانيا فى حياتهما من بؤس و فاقة و سوء طالع فهو يعرف قصة بيومى أفندى الخايب وسبب تلقيبه بهذا اللقب البغيض منذ كان طفلا يكفله أبوه الحاج بسيونى بقـــال حى الجمالية المعروف

كان الحاج بسيوني تاجراً معروفا بالامانة والصدق فنمت تجارته وزادت أرباحه فأصبح من كبار تجار البقالة فى « الخط » كله ، و كان ابنه « بيومى » خاملا كسولا يبغض المدرسة ولا يصغى لنصائح أبيه الشيخ المجرب فنشأ مدللا على حنان امه التى كانت لا تسمح لابيـه أن يغلظ له القول لانه « وحيدها » ولأنها « مش حتـ[illegible]ـر لما تجيب غيره » ومات الحاج بسيونى فورث ابنه بيو[illegible] [illegible]يع أملاكه وتجارته و صاحب اصدقاء السوء فأصبح « زبونا » دائما لدور اللهو والخلاعة وتعلم مصاحبة الخليعات من [illegible] [illegible]لهوى فأنفق عليهن ثروة ابيه الطائلة . وماتت امه فلم يحزن عليها [illegible] الا انها كانت فى عهدها الاخير تؤنبه على اسرافه و تبذيره و [illegible] [illegible] عليـه سـ[illegible]وره وملذاته بكثرة « اللت والعجن » ولانها كانت [illegible] [illegible]ره امرأة متـأخرة « متعرفش فى الدنيا حاجه »

ونفـــدت كل ثروته فأصبح وهو لا يملك قوت يومه ، ولا يعرف من الصاعة شيئا وتغير حاله من سيء الى أسوأ وظل يتقلب فى شتى الصناعات ومختلف الحرف علّه يصيب منها قوته وكساءه فلم يفلح فى واحدة منها . ثم نصحه اخوانه « أولاد البلد» الذين كان يعطف عليهم أيام عزه أن يبيع الجرائد فهى مهنة سهلة لا تحتاج الى رأس مال أو كبير عناء واتخذ ميدان العتبة مركزاً لتجارته الجديدة ، لكنه نكب بولد صغير من باعة الجرائد كان ينافسه منافسة خطرة فاذا نادى أحد الناس على أهرام أو بلاغ أو فكاهة أو مصور وثب العفريت الصغير الى المشترى وقدم له ما يريد بينما لا يكون صاحبنا بيومى قد تحرك من مكانه . وفى يوم من أيام المطر أراد بيومى أن ينتقم لنفسه من منافسه فجرى وراءه والصغير الملعون يعدو أمامه فيختفى مرة ويظهر أخرى الى ان وقع بيومى من طوله على الارض فلوث الجرائد كلها ولوث ثيابه وقام يتعثر فى مشيته ويجمع الجرائد المتناثرة ، ومنذ ذلك اليوم اختفى بيومى من ميدان العتبة فلم يعد أحد يراه ، ولا يزال « المعلم » يبحث عنه الى اليوم

ورجع الى أصدقائه باكيا حزينا لأنه لم يصلح لهذه الصناعة فبحثوا له عن وظيفة عند حانوتي بحى المنـــاصرة ، وقصد اليه مهموما دامع العين لفرط شقائه وبؤسه فحسبه الحانوتي « زبونا » فقد عزيزاً غاليا جاء ليدعوه « للشغل » فأكرمه وقدم له القهوة وأخذ يخفف عنه وقع المصيبة ، لكنه علم فى النهاية أن هذا الزبون « طالب شغل » فكشر له عن نابه وعبس فى وجهه وأخذ يقص

عليه كساد السوق وقلة الاموات !! على انه قبله بعد هذه المحاضرة الطويلة بخمســـة قروش عن كل يوم نظير عمله «كصبي حانوتي وكان بيومى دميم الخلقة يثير بشكله ضحك الناس نخاف الحانوتى على صناعته التى تستدعى وقار الحزن الذى لا يعمل إلا فى ساحته وكان يرتجف خوفا كلما شاهد الاطفال يضحكون من شكل صبيه فى المآتم فناداه فى بعض الايام وأعطاه حسابه و .... « الله يحنن عليك ياابنى شوف لك شغلة غير دى »

وهكذا كان بيومى سىء الطالع لايفر من نحس إلا الى نحس فباع الكتب وعمل لممثل مضحك فى احدى الفرق الهزلية ومسح الاحذية وهو فى كل هذه الاعمال لايعود الا بالخيبة والفشل ففكر فى الانتحار ورأى أن «أوفر» طريقة للموت لاتكلفه ثمن حامض الفنيك أو ثمن الحبل هى أن يموت غرقا فذهب إلى كبرى الزمالك ووقف فى سكون الليل واغفاءة الفجر يودع الحياة التى قهرته ثم نطق بالشهادة وأغمض عينيه ورمى بنفسه الى الماء ، لكنه أفاق فاذا هو فوق ظهر مركب شراعية محملة بأكياس القطن الفارغة ، فلم يصــبه بسبب ذلك ضرر. وأطعمه أصحاب المركب وقدموا له غطاء باليا نام تحته إلى الصباح ثم قام هائما على وجهه فى الشوارع لايعرف السبيل الى الموت! وعلم بقصته محمود بك الالفي الذى كان يعرفه من عهد الطفولة وفى أيام عز أبيه فانتشله من وهدة الفاقة وأسكنه على حسابه فى شقة صغيرة قريبة من منزله لايأوى اليها الا آخر الليل بعد أن يكون قد قضى سهرته مع رب نعمته محمود بك يقص عليه

القصص المضحكة ويروى له النوادر عن أيام بؤسه وتشرده

—

أما سمير افندى الشاعر أو « الاستاذ » كما يحب أن يلقبه الناس فهو شاعر من النوع « الملتهب » الذى لاتهدأ نار شاعريته. ولا يهبط اليه وحى الشعر الا بعد الساعة الثالثة صباحا. فاذا كنت مدعوا فى فرح عند بعض أصدقائك — ولنفرض أنه لم تقع خناقة — فمكثت به الى آخر الليل بعد أن تكون قد تمايلت ذات اليمين وذات الشمال على نغمات الكؤس التى لايعكر صفاءها حساب الجرسون. ثم تتحامل على نفسك وتقوم إلى طريق بيتك مدفوعا بالغريزة الى الحى الذى تسكن فيه دون أن تعى اسماء الشوارع أو تقوى على معرفة الدروب والمنعطفات الموصلة إلى بيتك.. فى هذه اللحظات تلمح « شبحا » واقفا بجانب مصباح الشارع فيخيل اليك أنه « عفريت » أو لص متربص. ثم تجمع أطراف شجاعتك أستغفر الله بل تجمع أطراف شجاعة الكؤس اللذيذة فتدنو منه وتنظر فى وجهه فاذا هو صاحبنا سمير أفندى الشاعر حيث يكون خارجا من سهرته عند صديقه محمود بك الألفى ويكون هاتف الشعر قد هتف به فى الطريق وفى مثل هذه الساعة فوقف يكتب فى ضوء المصباح وعلى ورقة يعثر عليها فى جيبه أو على ظهر علبة السجاير أبياتا من الشعر خوفا من أن تفلت من ذاكرته صباحاً، ويراك سمير افندى — والساعة الثالثة صباحاً — فيتطلف في حديثك وتصبح صديقه وموضع نجواه وشاعريته فيعرض عليك أن تستنشق الهواء معه فى رهبة الليل وفى اضواء

القمر المتكسرة على ماء النيل وفى سكون الفجر إلا من صوت الطبيعه الرهيب !! وتكون انت مثقل الرأس لاتفكر فى رهبةالليل ولا فى أضواء القمر المتكسرة ولا فى صوت الطبيعة الخ لا يخطر ببالك فى مثل هذه الساعة إلا سريرك الوثير ترتمى عليه وتغط فى نوم عميق

ويحرص سمير افندى كل الحرص على أن تكون جيوبه « مكتبة » متنقلة لا تحوى الا رسالة ونسخة ديوانه الذى سيظل طول عمره « تحت الطبع » وهو يباهى بأن جيوبه دائما عامرة بصوت الشعر الآلهى المستمد وحيه من اللانهائيه المنبسطة فى الفضاء المترامى، وتكون أنت ذاهبا إلى ميعاد — لا يبعد أن يكون على تناول العشاء مجانا فيلقاك سمير افندى ويكفى أن تكون صديقه صداقة بسيطة « تعرفه سعيده سعيده » فيناديك بلهفة وينتحى بك ناحية ثم يخرج من جيبه مكتبة الشعر الألهى المستمد وحيه من ... الخ فيظل يسمعك قصائده واحدة بعد واحدة، ولا أعرف شعورك فى هذه الساعة بالضبط. لكننى أعرف أنك قد تفكر فى أن تستغيث بعسكرى البوليس لتنجو منه

وسمير افندى كما قدمت أخلص خلصاء محمود بك الالفي وزميل بيومى أفندى فى سهرات منزل محمود بك وهما دائما يحرصان كل الحرص على تناول طعام الغداء والعشاء على مائدته لأنهما يجدان عليها من ألوان الطعام الفاخر ما لا يجدانه على أية مائدة أخرى، كما أنه هو أيضا يلزمهما بهذه المواظبة لانه يجد فى حديثهما لذة ويقطع الوقت بسماع نوادرهما اللطيفة وكلما عاد

إلى المنزل مرة يحمل جوهرة غالية يكون قد اشتراها ليضمها إلى بقية المجموعة النادرة بعث فى طلب اخوانه هؤلاء ليعرض عليهم الجوهرة ويقص عليهم قصة شرائها و المتاعب التى تحملها فى الحصول عليها ، و تظل الجوهرة تنتقل من يد الى يد و تظفر باطراء هذا وثناء ذاك مدة طويلة ثم يحملها محمود بك إلى خزينته فرحا مسرورا

و قد عاد محمود بك إلى منزله فى بعض الايام يحمل جوهرة غالية قيل له أنها كانت تزين جيد ملكة انجلترا فى سالف الازمان ولو أن التاريخ « يلوى بوزه » و « يفتح شلاضيمه » لفرط مايصيبه من الغيظ من جراء هذه الرواية الكاذبة ! !

جلس محمود بك بين أصدقائه وراح يقص عليهم قصة هذه الجوهرة وهى تنتقل بين أيديهم من يد إلى يد و هو فرح مغتبط لكثرة مايخلعه عليها الاصدقاء من عبارات الاعجاب و الاطراء وكان موعد الغداء قد حل و أقبل الخدم يعدون معداته ونسيت الجوهرة و نسى حديثها وقام الجميع إلى المائدة فتناولوا طعام الغداء ثم تذكر صاحب البيت جوهرته و تذكر انه لم يودعها الخزينة كعادته فجن جنونه وراح يجرى هنا و هناك يبحث عن جوهرته الغالية فلم يجد لها أثرا ! !

و تولى اخوانه الذهول وسادبينهم وجوم عميق فلم ينطق أحدهم بكلمة لانهم جميعا يعرفون حرص صاحبهم على الجواهر وولعه بها وجنونه بحبها و إنفاق أكثر ثروته فى سبيلها ثم نظر صاحب البيت إلى اخوانه نظرة طويلة تنم عن معنى الريبة والشك لانه

لم يبرح بجوهرته مكانهم ولم يقرب أحد الخدم منهم فلم يبق الا
ان يكون أحدهم هو السارق

وانتفض بيومى افندى من ذهوله فقال :
ـ يا محمود بك لازم تفتشنا
فأجابه .
ـ عيب يا بيومى افندى ازاى افتشكم وألح بيومى افندى على
محمود بك وقام اليه بادئا بنفسه فخلع ثيابه الظاهرية وراح يتلب
جيوبها وينفضها على الارض ثم التفت إلى بقية إخوانه وطلب
منهم أن يفعلوا مثل ما فعل فقاموا واحداً واحداً وخلعوا ثيابهم
وأذعنوا لرغبة بيومى افندى أو بعبارة أصح لرغبة صاحب البيت
لما بدا من نظرته الطويلة الناطقة بكل معاني الشك والريبة !!
إلا سمير افندى الشاعر فانه أبى أن يفتش واصر على الاباء حتى
قويت الشبهة ضده وراح أصدقاؤه ينظرون اليه نظرة المقت
والازدراء . وهو مع هذا مصر على عدم التفتيش لأنه كما قال لهم
منتهراً : أشرف من أن يكون موضع شك انسان ، وان من كان
مثله يستمد الشعر من الوحى الالهى المستمد من اللانهائية الممتدة
فى ... الى آخر القصيدة « إياها » لا يعقل أن يكون سارقا لجوهرة
لا تساوى أصغر الجواهر التى يحويها ديوانه الحافل
.... وبينما هم على هذه الحال من القلق والاضطراب إذ دخل
عليهم خادم محمود بك الامين يحمل الجوهرة فى يده ملوثة بالتراب
، ويقول لسيده .

ـ البتاعه دي يا سيدى لقيتها مع قشر التفاح وانا برميه فى صفيحة الزبالة

ووثب اليه محمود بك فتناولها من يده بلهفة المجنون وأخذ يمسحها ويقبلها !! وأصدقاؤه من حوله ذاهلون !! وقام سمير افندى غاضباً لكرامته التى امتهنها محمود بك وعبثا حاول الاعتذار له : وانصرف إلى بيته وانقطع عن مجلسه أياما ، ثم رأى محمود بك أن يذهب اليه بنفسه معتذراً مستغفراً فاسترضاه وعاد به إلى منزله وعادت سهراتهم الأولى إلى بهجتها وجمالها كما عاد سمير افندى إلى نكاته الظريفة ، ونوادره المستملحه

ثم جاء ذكر الجوهرة واختفائها وراح الأصدقاء يعللون امتناع سمير افندى عن التفتيش ورفضه لهذه الرغبة التى كانت وحدها المخلص الوحيد من هذه التهمة الشنيعة وقال بيومى افندى لست ادرى ماذا يكون حال سمير افندى لو أن الجوهرة ظلت مختفية ؟ أكان يصر أيضا على عدم تفتيشه ويظل موضع شك الجميع وريبتهم ؟

فقال سمير افندى .

ـ أجل كنت سأظل مصراً مهما تجمعت الشبهات حولى ؟

فقال محمود بك ؟

ـ ولم هذا الاصرار ؟

فوقف سمير افندى وبدت على وجهه علائم شتى من الخجل والتردد ثم قال :

ـ أتريدون معرفة السبب الذى من أجله امتنعت عن التفتيش ؟
فأجابوا جميعا .

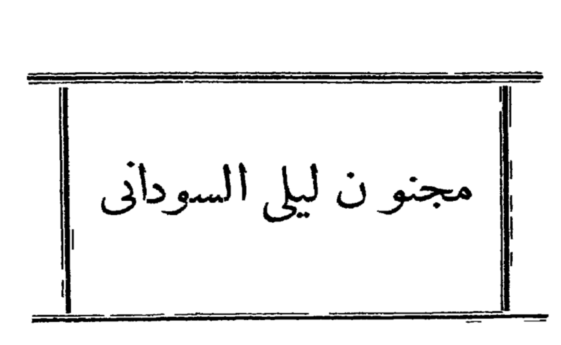
ـ نعم

فقال اسمعوا و انتبهوا :

ـ إن لى ابنة وحيدة أحبها وأسعى فى سبيل إسعادها و ادخال السرور على قلبها ، وأنا كما تعلمون أعيش من شق قلبى فلا أحصل إلا على النزر اليسير من أسباب العيش والرخاء ، وهى تحب الفاكهة و الطعام الفاخر فلا أقدر على موافاتها بهما فى كل حين ، فاذا جلست الى مائدة محمود بك تغفلته و تغفلتكم معه ثم دسست فى جيبى بعض الفاكهة وبعض الطعام لاذهب به إلى ابنتى وقد وقعت حادثة الجوهرة المشؤومة بعد أن كنت قد ملأت جيبى فرضيت أن يقال عنى أني سارق جوهرة بدلا من أن يقال أني « سارق طعام وفاكهة »

وهكذا كنت سارقا أيها الاصدقاء !!!




مجنون ليلى السودانى

مجنون ليلى السودانى

فاجعة غرامية وقعت حوادثها ببلاد السودان[1]

اهل قبيلة « الحمران فى بلاد السودان قليلوا العدد لكنهم أفرس قبائل العرب في هذه البلاد وأعزهم شأنا وأعظمهم جرأة واقداما ، ونساؤهم من أجمل نساء السـودان فاطبة وأشهرهن تحصنا وعفافاً ، ومنهن « تاجوج » بنت الشيخ « أوكد » شيخ الحمران التى ذاع صيتها في أواسط القرن الماضى وكانت أبرع نساء السودان فاطبة فى الفتنة والجمال ، حتى كان الناس يفدون من كل صوب لرؤيتها ، ويحجون لقبيلتها

ولقد هام بها ابن عمها « محلق » هياما ملك عليه قلبه واستلب لبه ، ولم يجد منفذا ينفذ منه إلى فؤادها الا أن يطلب يدها من أبيها فتصبح زوجته ، واذ ذاك تهدأ لواعجه ، وتسكن خوالجه . وطلب يدها من أبيها فظفر بها زوجة رائعة فاتنة ، وراح يتفيأ

---

[1] العرب فى السودان هم معظم سكانه، وأكرمهم أصلا واوفرهم عقلا ، وقد هاجروا اليه بعد الاسلام عن طريق مصر أو البحر الاحمر وهم أما حضر أو بادية ، أما الحضر فاكثرهم على النيل الكبير والنيلين الازرق والابيض وفى الجزيرة بينهما ، وأما البادية فاكثرهم فى البطانة وكردفان ودارفور ، ودأب هؤلاء الصيد والقنص ورعي المواشى وارتياد مواقع الغيث ومنابت الكلاء والغزو شأن بادية العرب فى كل مكان ومن أشهر قبائل عرب البادية فى السودان قبيلة « الحمران » وهى القبيلة التى جرت فيها وقائع هذه الفاجعة

ظلال الحب ويتقلب فى أعطافه ، ويشرب من سلافه ، إلى أن أبي القدر الا أن يضرب بينهما ضربته فكانت ضربة قاسية ، من يد عاتية . تفجرت على أثرها الفواجع الجسام ، وأمعنت فى شقاوتها الايام والأعوام

ذلك أن « محلقا » طلب اليها بعض الايام أن تتخطر أمامه عارية متجردة . فأبت أن تجيبه إلى ماأراد ، وألحف فى الطلب ، وثارت بنفسه ثورة جنون فأصر على طلبه ، وتململت هى من فعل ما طلب لكنها لم تجد سبيلا يكبح جماح نفسه ، ويطفىء شهوة حسه ، الا أن تذعن لارادته ، وتخضع لمشيئته ، فقامت اليه وقالت اذا أجبتك إلى ماتريد فهل تجيبنى إلى ماأريد ؟ فقال كل ماتريدين وأقسم أن أبر بعهدى ! ! فتجردت من ثيابها وتخطرت أمامه ذهابا وإيابا فزاد بها هيامه والتهبت حواسه وأسكرته نشوة الحسن . وإذ هو على هذه الحالة المتأججة المشتعلة أقبلت عليه تذكره بعهده وتطلب اليه أن يبر بما تريد . فقال : كل شىء أهبه لك راضيا سعيدا . فقالت : أطلب اليك أن تطلقنى !!! عندئذ صحا من سكرة حواسه . وفاق إلى حقيقة نفسه . وتوسل اليها فى ذلة وضراعة أن تغفر ذلته وأن تعفيه مما تريد . وهو بعدها من الهالكين إذا هى أصرت على فراقه . لكنها أصرت على ما أرادت فى قسوة بالغة وحزم مرير . ورأى هو أن الحنث بالعهد أمض على نفسه وأقتل لشرفه من أن يرضى بفراقها . وهو بعد فراقها لايدرى كيف تجنويه الايام وتشرده الأعوام . وظل كذلك مضطرب القلب ، موزع الفؤاد ، بين البر بقسمه وفراقها ،

إلى أن انتصر شرف النفس على هواها فطلقها ! ومنذ ذلك الحين راح « محلق » يضرب فى فجاج الارض هائما على وجهه يقبل جدران « تاجوج » وينظم فى حبها الاشعار ، ومن تلك الاشعار مالا يزال يتناشده سكان السودان إلى اليوم :

أنا الجنب التعيس سويت بأيدى فى كلمة مزاح قليت غميضى
فواطر أم قبيل ملح الرشيدى «تاجوج» ما اتلقت يا خملة زيدى

(والجنب هو المشوم ، وسويت بأيدى أى جنيت على نفسى والفواطر هى الثنايا ، وأم قبيل هى الجميلة ، والخملة هى الهم والكمد ومن ذلك قوله أيضا .

أمسى الليل وانجمع الشمل وتلملم الحيوان حتى النمل
راقد رقاد الديك فوق الجبل يوم بلا « تاجوج » ماينحمل

(ومعنى هذين البيتين واضح لا يحتاج إلى شرح)

وكذلك ظل « محلق » يتحرق على عهد « تاجوج » ويندم على ماجنت يداه ، أما « تاجوج » فانها تزوجت شابا من وجهاء قبيلتها بعد ابن عمها ، وكان ابن عمها أقوى منه منكبا ، وأصعب مراسا وأشد فتكا ، فكان كلما لقيه سلبه ماله ثم أعاده اليه إكراماً لهوى « تاجوج » وخضوعا لسلطان حسنها ، لكن الهوى برح بـ « محلق » وأضناه حتى مرض وأشرف على الموت وأخذ يهذى باسمها ويطلب رؤيتها ، وذهب أهله اليها فأخبروها بما آل اليه أمره ، فرقت لحاله ، وحضرت اليه فاذا داره غاصة بالنسوة اللواتى كن حوله يعزينه ويصرفن قلبه عنها فلما أطلت عليهن بوجهها المشرق المتهلل ، سحرهن جمالها البارع ، وقدها الفارع فذهلن عن الحقد

عليها، والنيل منها، ووقفن إجلالا لها، وإعجابا بها، وأجلسنها إلى جانب سرير محلق، فلما رأته على تلك الحال من التلف والبوار بكت ماشاء الله أن تبكى، ثم أفاقت من غشية البكاء ودنت منه فوضعت رأسه على ركبتيها، وكان قد أغمى عليه فأفاق من إغمائه، فنظرت اليه ثم تنهدت وقالت كلمة لا تزال بين أهل تلك القبائل من أقدس الكلمات وأجدرها بالحفظ والرواية على الرغم من بساطتها وسذاجة معناها: « إلى هذه الحال صرت ياعشايا وانا لا أدرى » واذ ذاك شهق شهقة اسلم فيها روحه، واخذت « تاجوج » تبكى وتشق جيوبها والنسوة من حولها يبكين ويندبن العاشق الشهيد

ويروى اهل تلك القبائل عن « محلق » أشعارا لولا مافيها من غموض لفظها العامى لكانت فى الذروة من الشعر الرصين القوى الفياض من ذلك ماقاله وهو بين يدى « تاجوج » قبل أن يسلم روحه:

أتاني ياأم قبيل الغى عباده مسوحك بالعطر والناس مراضه
حسيسك فى الضمير قاطع الكبادة تقتلى الزول سريع قبل الشهادة
(أتاني أى حقا. والغى العشق والحسيس الحب، والزول الرجل)

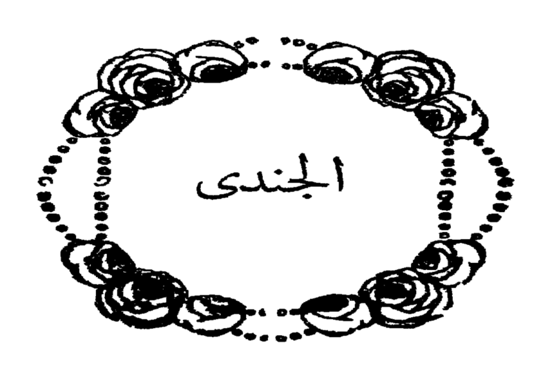
واليك بعد ذلك ماصار اليه أمر « تاجوج »:

غزا « الهدندوة » عرب « الحمران » فوقعت « تاجوج » أسيرة بين أيديهم ولم تكد تستقر فى أسرها حتى رآها رجال القبيلة فجن جنونهم وطار صوابهم وظلوا يتنازعون امرها فاختلفوا فى

ذلك اختلافا كاد يفضى إلى المناحرة وسفك الدماء، كل يريدها لنفسه، والا ... فالسيف يحكم بينه وبين منازعه، وتطاير الشرر من العيون، وحمى وطيس الخلاف حتى كادت القبيلة يفنى بعضها بعضاً : واذ ذاك نهض أحد مشايخهم ونادى «تاجوج» من خبائها . فلما أطلت منه طعنها بحربة في صدرها فخرت تتخبط فى دمائها، وبذلك حسم الشيخ النزاع بين أفراد قبيلته ، وأسدل الستار عن آخر فاجعة من فواجع هذه القصة الواقعة التى لايزال أهل السودان يتذاكرونها إلى اليوم

ودفنت «تاجوج» فى مكان يقال له (رأس الفيل) بين قوزرجب وكسلا وقبرها هناك ظاهر يزار





الجندى

الجندى

مأساة حقيقية وقعت حوادثها بالقاهرة فى عام ١٩٢٠

فتى « جندى » من جنود الجيش المصرى معتدل القامة،ساحر العينين ، مشرق الجبين ، وضاح المحيا ، قوى الساعدين ،تلوح عليه آثار القوة الجسمانية ، ريفى ساذج لا يعرف القراءة ولا الكتابة ، من أسرة عريقة النسب ، شريفة المحتد ، طيبة الأرومة . كان أحد أجداده مديراً للدقهلية فى عهد المغفور له اسماعيل باشا ، وكان أكبر أجداده عضواً بمجلس الاعيان فى عهد ساكن الجنان عزيز مصر المغفور له محمد على باشا ، غير أن الايام طوحت بما لاسرته من العز والثروة ، فعاش مع أهله عيش الخشونة والتقشف وما زال حتى جاء دور انتظامه فى سلك الجندية فتقدم غير قادر على دفع البدل العسكرى

قصد حديقة الحيوان بالجيزة فى بعض أيامه، واذ هو سائر من ناحية الى ناحية بصر بفتاة جميلة فاتنة الطلعة حسنة البذة ، تلوح عليها سيما الترف والنعم ، تسير الهوينا مع خادمة زنجيه . وتبعها شاب يغازلها بطرفه مرة وبلسانه أخرى ، وهى تنفر منه وتلقى عليه نظرات المقت والازدراء ، لكنه مع ذلك ـ لم يستخذ ولم يخجل ، وهاج الفتى الجندى لهذا المنظر ، منظر الفحش يصارع العفاف ،غير أنه حبس فى نفسه آلامه وراح يتبع الفتاة ليرى ويسمع من أمرها وأمره إلى النهاية

ضاقت الفتاة ذرعاً بهذا الشاب الذى سد عليها مسالك سيرها. ولم يعد يقع نظرها إلا على حركاته الطائشة ولفتاته المخزية المريبة فأخذت تصب عليه اللعنات و تقذف فى وجهه بالشتائم ؛ ثم نظرت إلى الفتى الجندى نظرة تشف عن معنى الاستغاثة والاستنجاد فلم يلبث الجندى أن تقدم إلى الشاب يزجره و يقبح عمله بلهجة ريفية خشنة ، فغضب الشـــاب لذلك وطفق يحقر الجندى و يتوعده و هاجت لذلك هائجة الجندى فاندفع إلى الشاب ثم ضربه على رأسه ضربة قوية صاح منها صيحة خف على أثرها رجل البوليس ولما رأت الفتاة شجاعة الجندى ومروءته وغيرته على الشرف وحبه للنجدة تقدمت إلى رجل البوليس و أفهمته ما كان من أمر الشاب وقحته وما كان من أمر الجندى ومروءته . ورأى الشـاب أن ينصرف من مكانه فى غير مشادة أو تشبث ستراً لأمره وفراراً من الفضيحة . و افترق الجميع بعد ذلك كل الى ناحية يقصدها

وخرج الفتى الجندى بعد قليل من الحديقة الى محطة الترام يرقب القطار الذى يقله الى معسكر فرقته . و انه لفي ترقبه واذا بالفتاة تقلها سيارة فخمة واذا هى تشير اليه بالسلام اشارة هى فى غير لبس عبارة ناطقة بكل معاني الاعجاب و الاحترام ، فأجابها على ذلك بأشارة خجلة حيية استولت عليه بعدها هزة أوقفت الدم فى عروقه وضاعفت خفقان قلبه و ظهرت على أســارير وجهه علائم الخجل والحياء

ثم ركب الترام ونزل بعد قليل الى معسكره ، و أخذت ذكرى هذا اليوم تفارق مخيلته يوماً بعد يوم حتى أتي عليها النسيان

وغطت عليها الحوادث ومضى عليها أربعة أشهر أو تزيد

ثم جاء دور حراسة فرقته لخزينة وزارة من وزارات الحكومة، فانتقل معها لأداء هذه المهمة وفى ساعة من ساعات الصباح وقف الجندى للحراسة على عادته فاذا بنافذة منزل رفيع قد فتحت واذا بفتاة وضاحة الجبين ساحرة الابتسامة قد أطلت مشرقة متهللة، ثم خالس النظر اليها مرة أخرى فاذا هى تنظر اليه واذا نظراتها تساقط عليه نوراً وضاحا. واذا بتلك النظرات مشفوعة بالابتسام والاشارة الناطقة كأنها تعيد بها الى ذاكرته عهداً سالفا

وكاد الفتى ينسى موقفه (زنهار) ويخف لهذه الاشارات التى أخذت تشير بها اليه كأنها كانت تعرفه قبل اليوم وكأن بينهما سابقة عشرة وود ورفقة. أما هو فلم يقو على النظر اليها أكثر من تلك النظرات العجلى واللفتات الحذرة السريعة!

ومضى زمن حراسته في ذلك اليوم وذهب الى غرفة الجند وهو لا يعرف من شأن هذه الفتاة غير ما رأى وهو لم ير إلا صورة غريبة حيرت عقله الساذج البسيط

ثم عاد الفتى فى مثل هذا الموقف فى مثل هذه الساعة فى اليوم التالى. فرأى في يومه صورة جلية لما رأى فى أمسه، وقد ارتسمت على شفتيه هذه المرة ابتسامة لم يعرف لها سببا وخفق قلبه خفقانا متواصلا وقد رفع نظره الى النافذة مرة بعد أخرى فلم يلق الا ابتسامة حلوه تتبعها اشارة السلام. ثم ظل يدور بنظره حول نفسه ليرى هل علم رفاقه من أمره شيئا؟ وهل رابتهم هذه

النظرات التى اخذ يلقيها على النافذة من حين الى حين ؟

وكان تلك كلما القى نظرة عزم أن لا يعود لمثلها خشية الرفاق وحذر المارة فى الطريق غير أنه لم يكن يقوى على انفاذ هذا العزم ولم يعد فى استطاعته الصبر على مثل هذا الموقف لا لأنه أحس بين جنبيه خفقان حب أو لوعة غرام. فانه لم يكن ذاق للحب طعما حتى هذه الساعة. بل كل ما كان من أمره أنه أخذ يشعر بجاذبية حولت اتجاه نظره الى هذه الناحية دون سواها

وكان الفتى فى هذا الموقف وسطا بين الخفة والرزانة . بيد أنه لم ينج مما كان يخشاه ويتوقعه من رفاقه فانهم شاهدوا من شأنه كل شىء. وعرفوا من أمر هذه النافذة أكثر مما عرف. ووصفوا ما شاهدوا وشهدوا بما علموا عند ضابطهم. فأحضره وسأله عن جلية أمره فأجابه بما رأى وشاهد وليس فى لهجته ما يدل على كذب أو رياء وقرأ الضابط بين أسارير وجه الفتى سطراً متلألئا من نور الصدق والطهارة فاكتفى بنصحه ولفت نظره الى أن الاخلال بموقف الحارس الامين والجندى المطيع يعاقب عليه قانون العسكرية أشد عقاب

* * *

وجاء دور حراسة الفتى فى اليوم التالى وأخذ مكانه وقد ارتسمت أمام عينيه صورة مهيبة مروعة من نصائح ضابطه بالامس لكنه لم يكد يستقر فى مكانه حتى فتحت النافذة واطلت عليه منها الفتاة كما أطلت من قبل . وخالسها نظرة ثم أردفها بأخرى فبصر بها تشير اليه كما كانت تشير بالامس ، فوقف حيال ذلك

واجما سا كنا لا يتحرك وراب الفتاة طول سكونه على غير عادته ثم فطنت للأمر ولما عسى أن يكون قد وقع

لذلك أحبت أن تستطلع الامر بجليته فعمدت الى قلمها وكتبت اليه هذه الكلمة . (١)

(ان اليوم الذى رأيتك فيه بحديقة الحيوانات بالجيزة منذ أربعة أشهر كان أول يوم لشعورى بالحياة ومعرفة شقائها وسعادتها وقد رأيت فيك الفتى الغيور على الشرف المحب للنجدة بل قد رأيت فيك نوراً ملأ قلبى سروراً وزاده خفوقا . ولعلك تتذكر انى مررت عليك وأنت تنتظر الترام وأشرت عليك وكنت أعلم أن هذه الاشارة ستؤثر فى نفسك كبيراً ولكننى كنت أرى أنها واجبة على وقد قدمتها اليك مشفوعة بابتسامة إعجابى و . . . تمنا لما اسديته الى من المعروف . وكم انا سعيدة حيث أراد الله أن أراك كل يوم أمام منزلنا . كنت منذ رأيتك بالحديقة نفسى تحدثنى بك وأقول . هل أراه مرة ثانية ؟ أم هى الصدف التى لا تعود . وما زلت حتى رأيتك هنا لأول مرة فصفق قلبى طربا لذلك وأشرت اليك بالسلام فأجبتنى بابتسامتك الجميلة فلما عدت الى ذلك رأيتك لا تنظر إلى ناحيتى فقلت ماذا جرى ثم قلت فى نفسى اكتب هذه الكلمة لأخبرك عن نفسى . واذكرك باليوم الذى رأيتك فيه وستمر خادمتى من امامك فى

(١) بعض ما تبودل من الخطابات فى هذه القصة بنصه وقد وصل الينا من أحد الطلبة فتحن ننشره كما كتب بعد أن نحذف منه ما من شأنه ان يعرف أحد الكاتبين

اليوم المقبل لتسلمها الرد واقبل منى في الختام سلامى واخلاصى)
اﻫ

حملت الخادمة خطاب سيدتها ثم وقفت بالقرب من الجندى وظلت واقفة حتى خلا المكان به وتقدمت ثم سلمته الخطاب فتناوله بيد مرتجفة وقلب خافق متفزع . وقد خيل اليه وقتئذ ان كل شىء حوله عيون ترصده وترقبه وان الضابط والعساكر وكل من كان بجانبه قد رأوا من أمره وعرفوا ما ينخلع لمجرد ذكره قلبه

وكان الفتى - كما أسلفنا - أميا لايقرأ فأشقاه جهله كما سيشقيه حبه وقد ظل محتفظا بهذا الخطاب طول يومه وهو فى حيرة من أمر نفسه لايدرى ماذا تحمل هذه الرسالة اليه أو ما ستجره عليه وبقى في هذه الحيرة يوما كاملا . تتنازعه عوامل الخوف والرجاء وهو أحير من دمعة الوجد في مقلة الصب ، يدفعها الحب ويمنعها الحياء

الخطاب في يد الجندى لايعرف مافيه وإذا كان لابد من أن يعرف مكنونه فلا بد أن يسلم أمر نفسه لواحد من رفاقه عارف بالقراءة يصطفيه لهذا السر الذى يود ألا يذاع حتى يعرف ماسيجرى به القضاء

واذاً « فعبد العزيز الصعيدى » رفيقه فى اغتراب الجندية والامين الطيب القلب هو الذى يقرأ الخطاب ، وقد فعل . وتشاورا فيما يجب أن يكون فاتفقا على أن يكتب عبد العزيز الصعيدى خطابا للفتاة على لسانه ومرت الخادمة في اليوم التالى

فأسلمها الخطاب وفيه بعبارة ساذجة مملوءة بالاغلاط الاملائية :
أنه الآن تذ كر يوم الحديقة وأنه يشكرها لأنها « تنظر اليه » .
و وصلت الخادمة إلى سيدتها بهذا الخطاب ففرحت به على مافيه
من بساطة وسذاجة ، ثم عمدت إلى ورقة ثانية كتبت اليه فيها
تطلب مقابلته فى « حديقة المنيل » وعادت الخادمة بها فتسلمها بيد
أشجع من ذى قبل ، ولم يكد ينتهى موقفه حتى طار بها إلى رفيقه
الأمين فقرأ عليه مافيها فامتقع لونه ، وخفق فؤاده ، وحارت
نظراته ـ الجندى الريفي الساذج يجب أن يلقى غداً فتاة هذا القصر
الرفيع . يجب أن يلقى غدا مظهراً من مظاهر الترف والنعمه وهو
هو ابن القرية الخشن والفلاح الأمى ؟ له الله ؟ بأى لسان غداً
يتكلم ، وفى أى موضوع يتحدث . أفى الأدب والاجتماع
والسياسة والاجواء ولا علم له باسم من هذه الاسماء ـ ؟ أفى
التربية العلمية وما اليها من حياة المدرسة وأطوارها . والكتب
وأخبارها ، ولا علم له بقليل ذلك أو كثيره ؟ . لتقذف به الاقدار
كيف تشاء ولتجر على لسانه ماتشاء !!!

في أصيل يوم الجمعـــة وفى « حديقة المنيل » جلست الفتاة
ومعها خادمتها على مقعد هناك مظلل بأغصان الاشجار فى زاوية
من زوايا الحديقة وظلت ترقب الطريق . ثم حل الموعد ومضى
من الوقت فينة طويلة ولم يحضر معشوقها ومالك هواها . وبقيت
ترقب الطريق ساهمة الوجه سادرة النظر تلعب بفؤادها الوساوس
والهواجس ورأت الخادمة من سيدتها علائم الهم بادية على

وجهها المشرق الجميل كما تبـدو الغمامة السوداء على وجه القمر ؛ فأخذت ترفه عنها وتسرى همومها . وانها لـكذلك وإذا بالجندى قد أشرف عليهما من بعد وما كاد يقترب من مكانهما حتى بدت عليه علائم الاضطراب وظهر التعثر والخجل فى مشيته ، ففطنت الفتاة لسبب هذا وعلمت أنه لم يكن غير التهيب من مكانتهـا ومستواها الرفيع فاعتزمت أن تجعل حديثهـا اليه فى هذه المرة مقصوراً على محو هذا الاثر من نفسه وتشجيعه على لقائهـا كلما وجدت الى ذلك سبيلا

أقبل الفتى وعمد إلى مكان الفتاة بعد أن تبينها ، وعرفهـا بوجود خادمتها الزنجية الى جانبها فابتسم للقائها عن حياء وخفر . ثم جلس اليها فكان صمت وسكون !!! فجعلت تسأله فى رفق عن بقية ما عسى أن يكون قد حدث فى يوم الحديقة « حديقة الحيوانات » بعد ان فارقت هى المكان . فأخذ يجيبها على ما تريد بلهجة هى مزيج من لغة الحضر ولغة الريف وكان سبب هذا الخلط فى لهجته انه عمد إلى محاكاتها فى اسلوبها الحضرى ثم غاب عليه طبعه فنسى فخلط فلاحت عليه سيما الخجل حين تنبه الى اسلوبه المشوش المضطرب . وأرادت الفتـاة ان تزيل عنه هذه الحالة فبدأت تحتال في حديثها على استحسان لهجة الريف والاعجـاب بها ؛ وما كان لغير الصبابة واللوعة أن تجمع بين فتى القرية الغرير وبين ربيبة النعمة والقصور . هذا في ميعة صباه وغصن شبابه . وتلك فى أعطاف النعيم والعز المقيم ، ترفل فى ثوب الملاحة والصباحة وما كان لأحد على قلبها من سبيل

تحدثت الفتاة إلى الفتى بما شاء لها الحب أن تتحدث ثم افترقا على أن يجتمعا . وظل اللقاء بينهمـــا يتوالى والحب ينمو إلى أن قضت الاقدار بانتقال الفتى الجندى إلى معسكره بالعباسية بعد أن انتهى دور حراسة فرقته

وراح يمشي بين رفاقه ذاهلا شارد اللب مشدوها . وانه لكذلك في يوم من الايام وإذا باحد زملائه يخبره بان فتاة على باب المعسكر تنتظره وتبعث فى طلبه فخرج للقائها خائفا مضطربا ومشى إلى الباب الخارجى ، فاذا هى في أفخر الثياب وأزهى الآهاب تشرق على ثغرها ابتسامة لا تريد أن تفارقه وهو فى ثوب « التمرين العسكرى » الأصفر وطاقيته البيضاء مائلة على رأسه إلى أسفل جبينه

أما الفتى فاقبل عليها لا ينطق فى وجهه غير ابتسامته الحيية الحارة . وأما الفتاة فبدأته الحديث لا تتريث لتسمع منه قولا وقد أرادت أن تسرى عن فؤاده المضطرب بما جعلت تقص عليه من أمرها فى خلال غيابها عنه ، واستجم الفتى ففتح الله عليه فتكلم، وهى لحديثه مستمعة ، ولمحياه المشرق رانية ساهمة وكان الحديث فى غير موضوع ولغير حاجة سوى شوق بعث بها اليه ، ثم افترقا !

وكان لقاء ؛ ولم يمض غير ليلة ، ثم تلاه لقاء ولقاء ، واستمر الامر على ذلك أياماً طوالا والفتاة لم تزدد بالفتى الا هياماً : ولم يعد فى طوقها الصبر على غيابه ثم خف بها الهوى فاستأجرت « غرفة مفروشة » فى نهاية العباسية بالقرب من المعسكر وجعل الفتى يتردد عليها من حين الى حين كلما انتهى من واجب الفرقة

فى ساعات فراغه وهى كذلك فى بادىء الأمر كانت تكتفى بالتردد على هذه الغرفة فى الاوقات التى تظن أن يكون بها

ـــ غير أن الهوى جنون . . . وجنونه فنون ، فلقد عولت الفتاة على المخاطرة فى أقتل ساحاته !!

افتضح أمر الفتاة عند أهلها وعشيرتها . ومن هم أهلها ؟ انهم قبيلة من العرب المتحضرين ساكنى المدن الذين يشار اليهم بالبنان فى علو الهمة وعراقة المحتد ، غضب هؤلاء القوم لشرفهم غضبة الأسود فمثلوا بالفتاة وعذبوها ما شاء الله أن يفعلوا ، وضاقت بهذه الآلام ذرعا ، وعبثاً حاولت أن تكشف لهم عن ذات نفسها بما تحمل لهذا الفتى من الحب والهيام ، وقطع اليأس نياط الأمل فلم تجد غير الهرب وسيلة تسكن بها الى مالك قلبها المحبوب ؛ لذلك جمعت ـ فى خفية ـ قليلا من لباسها وحليها ثم بعثت به خادمتها الى « غرفتها » بالعباسية ولحقت هى بها فى مساء اليوم

وجاء الفتى وهو لا يعلم بما عولت عليه شيئا ، ولما التقيا كاشفته بجلية الامر ففرق واضطرب لخطورة عزمها . ولكنه أخفى كثيراً من فرقه واضطرابه . ثم قال : وأى غاية نصل اليها بعد ذلك يا . . . فاجابته . غاية شريفة نبيلة سامية ، ليس الا أن أصبح لك زوجة ، أتزوج بك وأعيش لك كما يقضى بذلك العدل الالهى والحب القدسى ، أتزوج بك وأعيش لك كما يقضى الوفاق والهوى ، رضى عرف الناس بذلك أم لم يرض

ـ يا سيدتي . الزواج ا كون به سعيداً موفقا ولكن ولكن..

ـ ولكن ماذا ؟ كل شيء فى سبيل الحب والوفاء سوف لا تقف فى سبيله عقبة وثق أن الله الذى خلق القلوب وخلق معها هذا الحب أكرم من أن يعذبنا أو يقهرنا فى سبيل الزواج والحياة المطمئنة الجميلة الباسمة ان جال بخاطرك رفض أهلك أو تخوفهم مما يضمن المستقبل فجدير بك ألا تخبر أحداً بأمرنا ، ولى ثروة ورثتها عن أبى المرحوم لا يمكن أن تضيع بسبب اختفائى المؤقت فلا بد أن أطالب بحقي من عمى ، ولا بد أن أحصل في القريب على كل ما ورثت من أبي ، لا ، لا بل سيرضى أهلى بعد أن يروا الزواج حقيقة واقعة وسأعيش معك فى هناء

غابت الفتاة عن منزلها . وترقب أهلها عودتها فى مساء اليوم الذى خرجت فيه . ولكنها لم تعد . فأسقط فى يدهم . وعلموا أن ما كانوا يخشونه قد وقع وأن الفتاة « هربت »

أما الفتى ففى أجازة يومين اثنين ببلده وهو يكاشف أهله بجلية أمره . والذهول يستولى عليهم . ثم لا يجدون فى أمر ابنهم حيلة . وأى حيلة يجدون وسيصبح ابنهم فى الغد زوجا لابنة السراء والنعمة

هو فى القاهرة . وقد لقى الفتاة ـ ومضى على هربها أربعة أيام ـ أما أهلها فكانوا أبلغوا الأمر الى أقسام البوليس للبحث عن فتاتهم المتغيبة ... تشاوروا في الأمر . والامر جليل ـ من سيعينها على عقد الزواج ، ومن فى هذه المحنه نصيرهما ؟ ؟ لا أحد الا الله وللفتى أحد الجنود الاقدمين الذين قضوا مدة الخدمة بالجيش

ثم انخرطوا فى سلك أعمال (الخاصة الملكية) ذلك الرجل هو عونهما ، وهما فى منزله بل فى حجرتيه القذرتين فى عطفة صغيرة ضائعة بين حارات (المناصرة) .

هذا الرجل نذل وجبان وهو فوق ذلك لص يلبس مسوح الزهاد . طمع فى حلى الفتاة وملابسها ورأى ان أحسن وسيلة يخلص بها منهما أولا هى أن يشير عليهما بأن يقدما نفسيهما الى المحافظة ليكون الزواج رسميا . وانه ليعلم أنهما سيعرف أمرهما بمجرد حضورهما الى المحافظة وأنهما لابد يفترقان بعد ذلك الى الابد ، وادن « فالامانة » التى عنده من الحلى والملابس تصبح ما-كا له ولزوجه ؛ وكان ذلك !!!

فقد ذهبت الفتاة والفتى بقلب طيب ونية سليمة يعرضان أمرهما لمحافظة العاصمة عل فى ذلك ما يكسب حياتهما تأكيداً

المحافظ — من أنت ؟

الفتاة — أنا . . . فلانة بنت المرحوم فلان أحب هذا الفتى وهأنا بين يديك أعترف بهذا وأصر عليه وسأتزوج منه واشهدك على كل هذا

المحافظ — يستطلع أمر الفتاة بعدان يجلسها فى احدى غرف المحافظ يحرسها جنديان فاذا هى الفتاة التى ابلغ عنها أهلها أقسام البوليس والمحافظة بسبب تغيبها

واذ ذاك أمر المحافظ بتحويلها الى القسم الذى تتبعه ومعها الفتى الجندى لاجراء ما يلزم نحوهما

كان الليل قد أقبل وهما قد وصلا الى القسم والمأمور في ساعات راحته. أما الضابط المكلف بالعمل فكان أول عمل قام به هو أن أبلغ خبر حضورها الى منزل أهلها تليفونيا. والقيم على أمر الفتاة هو زوج أختها. لكنه تعثر فى خجله، وعز عليه أن يمضى الى قسم البوليس يتسلمها على مرأى من النـــاس فتباطأ فى الذهاب ومضى الهزيع الثانى من الليل والفتاة والفتى فى غرفة من غرف القسم لا يعرفان عن مصيرهما شيئا. وأحست الفتاة بالجوع فبعثت بواحد من الجند فى طلب طعام وحلوى، وكان الفتى قد أغفى بعد تعب اليوم وهمومه أما هى فلم تنم وقد نظرت الى الفتى فى اغفاءته فاذا هو فى عينها أجمل وافتن منه فى يقظته. ورأت أن « بنطلونه » لا يستر ركبته فخلعت نصف ملاءتها الاعلى تستر به ركبتيه وتقيه عادية البرد. وحضر الجندى بالطعام فلا هى تقوى على ايقاظه من غفوته ـ والنوم راحة تطلبها له ـ ولا هى تود ان تأكل وحدها ـ وهى تعلم أن به ما بها من الجوع ـ وانها لكذلك واذا هو يفتح عينيه فاذا بنصف ملاءة الفتاة يستر ركبتيه. واذا هى يهزها البرد وتستولى على جسمها الرعشة الشديدة !!!

واذ ذاك بكى الفتى وحق له أن يبكى. بعد ساعات قليلة طلع عليهما الصبح بنوره فلم يكن الا نذير الفراق الابدى

حضر أهل الفتـــاة فتسلموها. وأطلق مأمور القسم للفتى الجندى حريتـه على أن يمضى الى فرقته بعد أن يدفن فى قلبـه ذكريات الماضى؛ فلا يتحدث بها ولا يفضح من أمرها شيئـا. ورأى المأمور أن ذلك خير وسيلة لستر هذا الشأن والابقاء على

سمعة الاسرة المسكينة

وكانت لحظة رهيبة . حين انتزع الفتاة أهلها وهى تزفر وتململ ، وهو ذاهل مروع

مضى الفتى الى فرقته حزينا كئيبا ، ومضت الفتاة الى حيث لا يعرف أحد عن أمرها شيئا . ثم ارتحل مع فرقته الى مديرية الفيوم فقضى بها الاشهر الباقية فى مدة خدمته وعاد الى بلده يحمل فى قلبه هماً وكمدا . ولكن الهوى عاد فحرك من ماضى شجونه ما دفع به الى السفر للقاهرة علّه يظفر بلقائها . وهيهات !!!

عاد الفتى الى قريته بعد أن قطع الأمل نياط أمله ، والفتاة لا يعرف أحد من شأنها شيئا

أما هو فمات بعد أيام من عودته بسبب حمى فى الرأس

وأما هى فــــلا يعرف كاتب هذه الكلمات ولا سواه خاتمة حياتها

تلك هى الضحايا الآدميه تذهب فى سبيل الفوارق الاجتماعية الواهية ، وتلك هي مظاهر العظمة الخداعة تذعن لسلطان الحب الطاهر البرىء . فتأبى تقاليد الحياة الا أن تفجع القلوب وتفرق بين المحبين




وساوس المرآة

وساوس المرآة !!

لا أجد فى نفسى عيبا سوى غرورى بحسن هندامى واعتدال قوامى !! ولعنة الله على المرآة فما نظرت اليها مرة إلا وسوست الى بوساوس جنونية لولا لطف الله لأوردتنى موارد الهلاك . فكلما وقفت أمامها مرة تجمع فى رأسى غرور أبالسة الكون وشياطين العالم أجمعين . كم زفرة أرسلها إثر زفرة ، وكم حسرة تولتنى بعد حسرة ، على ذلك الشباب الغض الذى أصوح غصنه بين الكتب والمحابر والناس بشبابهم ينعمون وفى دنياهم الباسمة يمرحون . أقول لنفسى كلما وقفت أمام المرآة : فتى أنت يا . . . فى ميعة الصبا وعنفوان الشباب !! طلعة مشرقه ، وابتسامة حلوة جذابة ، ولفتات فاتنة ، وقوام منسرح ، وهندام منسجم !! كل هذا تجود عليك به الطبيعة المرحة المتهللة ثم تأبى إلا أن تحترق طائعا مختاراً فى ساحة الاوهام السخيفة أوهام الشعراء والادباء والعلم والعلماء ، وأين لهو الشباب وأنت فى عقدك الثالث ؟ بل أين مرح الصبا والغزل وأنت أنت الفتى ال . . . . الجميل أجل انت الفتى الجميل المحبوب ، وهذه دنيا الشباب أمام عينيك تفتح لك ذراعيها فلا تقبل عليها أو تستروح نسيمها ، اولئك غيد مصر الفاتنات يرمقنك ملء العين ملء الفؤاد ماذا عليك إذا رحمتهن فعطفت على قلوبهن وغامرت فى ساحة هواهن ولعبت بألبابهن كما يلعب الشباب

تلك وساوس المرآة !!! طالما عصفت برأسى ، واختلجت بها نفسى ، وهذه أوهام لا شك انها قطعة من الجنون ، لا تزال

تزدحم فى مخيلتى، وانى لاذكر ـ والعهد قريب ليلة خرجت من منزلى أتهادى كما يتهادى الطاووس وهذه الافكار السخيفة تملك على مشاعرى وتلعب بلبى

مضيت أتخطر «والغرور» يملأ نفسى إلى أن وصلت إلى نهاية شارع طنطا حيث يكثر رواح غادات مصر الجديدة وغدوهن!! هنالك فى نهاية هذا الشارع وقفت ـ ولا أنسى ما حييت ـ فاذا فتاة وامرأتان ليس فيهن إلا رائعة الحسن فاتنة اللمحات، وقفن يرقبن «المترو» ووقفت أرقبه مأخوذاً بجمالهن. لا أحول عنهن طرفى، حتى لأحسست كأن سحراً ينبعث من عينى الصغرى إلى قلبى

كانت الفتاة كثيرة الحركة، تدور حول رفيقتيها ضاحكة لاعبة، وكان موقفها منهما يخطف بصرى اليهن جميعاً. وترمقنى الفتاة ثم تبتسم، فأرمقها وابتسم!!!! وتلفت نظر صديقتيها الى فى سذاجة ومرح. وأرى بعينى كل ذلك فتدب نشوة «الغرور» الى قلبى! فأعتدل فى وقفتى واصلح من بزتي وأقول فى نجواى:

أيه يا فتى لقد ظفرت بها!! ولم لا تظفر بها وأنت الفتى الممراح «الوجيه» المشرق الضحوك، أنت فى ميعة الصبا وريعان الشباب، ريان العود. فلم لا تكون قد وقعت فى نفسها كما وقعت فى نفسك؟

وكذلك شغلنى التغزل بنفسى عن التغزل بها، ووقفت شامخ الأنف، مزهواً، القي عليها النظرة بعدالنظرة كأننى أقول لها ها أنا ذا يا غادة!! أترين فى الشباب أجمل وأفتن من هذا الذى ترين؟..

وجاء القطار فركبن وهن لا يحولن عنى طرفا ، ونظرت الصغرى كأنها تسألنى الا تركب ؟ فوثبت إلى القطار وكان قد تحرك بالمسير ثم قلت فى نفسى :

ويحى !! لم لا أرحم هذه الفتاة فأتقدم اليها وأعرض عليها نزهة جميلة على ضفاف النيل فى هذه الليلة المقمرة فنطوف الجزيرة ونستنشق النسم ، أيكون هذا العرض من جانبى تضحية أو مذلة والفتاة بارعة الحسن هيفاء جديرة بأن تحل من قلبى موضع الاكبار والتقديس ؟ لكنها مع اثنتين فماذا أصنع ؟

وإذ كانت هذه الخواطر تطوف برأسى وقف القطار فى أول محطة ، وصعد منها الى جانبى صديق عزيز طالما شاطرنى مواقع اللهو ومخاطر الشباب.

قلت أرأيت ؟

قال ماذا ؟ صالون الحريم ؟

قلت لا سواه ، وهل رأيت أبرع من هذا الحسن حسنا ؟

قال من منهن تعنى ؟

قلت الصغرى

قال بل الوسطى يا أعمى !

قلت اختر من تشاء ، إلا الصغرى فهى من نصيبى ، ودعنا من هذا الجدل السخيف . وتعال نفكر فى هذه الليلة كيف نقضيها فى سبيل الهوى والشباب . علينا أن ندبر الامر قبل أن ينتهى الطريق ، وأحب أن تتذكر جيداً تاريخ اليوم !! فنحن فى اليوم السابع والعشرين من الشهر ، أى أن مثلى لا يملك إلى آخر الشهر

غير اجرة الترام الذى يقله كل يوم إلى الديوان وهى التى نحرص عليها دائما بعد سداد مطالب الجزار والبقال والترزى وصاحب البيت و و ... هل فهمت ؟

فابتسم ثم قال لا تخف « الجيب عمران »

قلت اذن كن مستعداً

وبقيت بعد ذلك سابحا في الخيال طائراً فى سمائه إلى أن ايقظنى عامل التذاكر :

ـ تذكره يابيه

ـ ابونيه ! !

ولعنةالله عليه فقد أطار هذه الاحلام من رأسى !!!

أما صديقى فعلى الرغم من أنه يحمل تذكرة اشتراك كالتى أحملها فأنه طلب منه ثلاث تذاكر ثم أشارله بيده إلى صالون الحريم

ـ يا خبر زى بعضه ! ! انت اتجننت يا محمد ازاى تاخد لهم تذاكر كده مرة واحده من غير تمهيد ؟

فمال إلى أذني هامساً . أيها الأحمق ستفضحنا برعونتك . لقد جعلت ثمن هذه التذاكر شرِكا نقتنص به الصيد . ومهدت لذلك باشارة أشرتها اليهن حين أطلت علينا صغراهن من شباك الصالون . فدع الحديث والثرثرة فى هذا الشأن حتى لا تفلت العصافير من أيدينا ! !

وظل « المترو » يخطف بنا الفضاء فى ضوء القمر . والوجه الحسن يلحظنا من الشباك حينا بعد حين . وكذلك كانت لحظات خالدة فى ركب الليالى ، نعمت بها . واستروحت من عبيرها نسيم

الخلود ، أجل فقد طار بي الخيال إلى آفاق الآمال آمال الشباب المشرقة المتهللة ، وقلت ما أهناني بصغراهن . وما أسعدني بها ، الا تكون هذه أمينة فؤادى فى هذا الوجود الصاخب ؟ أسكن اليها وتسكن الى ، ألا تكون هذه نعمة الابد يخلد لها قلبى فيستريح من عبث الشباب ومخاطره ؟؟

وما زلت أهفو بهذه الأحلام حتى وقف بنا المترو ، ونزلت ونزل صاحبي ، ثم راح يتبعهن فى جرأة تلخلخت لها مفاصلى ، ورحت أخطو نحوه ونحوهن خطوات وجلة حييـــة . وكان صاحبي قد سبقنى اليهن ، فما راعنى إلا أن رأيته يمديده إلى الصغرى باسما ؛ ثم يتحدث إلى رفيقتيها ضاحكا ، كل ذلك وأنا من خلفه اكاد أجن لفرط خوفى وشدة تحيرى ، ونظرت فاذا هو يضحك اليهن وهن يشاركنه الضحك ، وهو فى كل ذلك لا يلتفت إلى صديقه « العبيط » أو يفسر له هذا اللغز الغريب !!

ودنوا من سينما الكوزمغراف فاذا عم صديقي يقف فى انتظارهم واذا هم جميعا يتحدثون ويضحكون

كانت الفتاة ابنة عم صديقي وخطيبته !! والاثنتان إحداهما أخته والثانية زوجة عمه ، وكانوا جميعا على اتفاق أن يشهدوا رواية فى السينما ، وكانت ابنة عمه « الملعونة » تعرفنى ساعة وقفت أغازلها ولم أكن أعرفهـــا ، ولقد أرادت أن تسخر منى ومن « غرورى » وأراد صاحبي أن يسخر منى هو الآخر حين لحهن فى المترو فركب إلى جانبى . أراد صاحبى أن يشاركهن فى هذه السخرية ساعة أبحت له فى الطريق بسر هذه « الصيده » وأرادأن

يجعل من ذلك الموقف قصة طريفة يخزيني بهـا كلا عن له ان يضحك مني الرفاق و الاصدقاء

وعرفت بعد ذلك كيف يكون الخجل ! وكيف يزل الشباب ويهوى بصاحبه الى حيث لا يرضى

لعن الله « المرآة » وفتنتها ! ! وسامح الله صديقي و ابنة عمه

و الآن .... سأتوب ؟




اللآلىء الخداعة

الأمالى الخداعة !!

صديقي وزميلى محمد افندى ... شاب فى ميعة الصبا ، وسيم الطلعة ،رقيق الحاشية متوقد الذكاء.

توفر على دراسة الآداب بعد أن قطع مرحلتى تعليمه الابتدائي والثانوى ونال شهادة البكالوريا ، وظل يكتب إلى الصحف أول عهده بدراسة الادب بحوثا أدبية وفصولا تاريخية كان بعضها يظفر برضا أصحاب الصحف فينشر بتوقيعه المتواضع « م . ح . » ولم يكن يطمع فى أن يتقاضى على رسـائله أجراً أو أن يصبح « محرراً » باحدى الصحف لانه فى ذلك الحين كان يعيش من ثروة أبويه عيشة الرغد والرخاء وكان ينظر إلى التعليم العالى فى مصر نظرة المقت والازدراء لان براجه - فيما يعتقد - جافة لا تروى غلة الطالب الذكى الراغب في التبحر والافاضة ، لذلك عكف على الدراسة الحرة والاطلاع الواسع فراح يبتاع الكتب العلمية والادبية فيشبع بها شهوة عقله الثائرة ويذهب إلى دار الكتب صباحا ومساء لينهل من مواردها العذبة مما لم يستطع الحصول عليه من الكتب المتداولة

وهكذا ظل محمد افندى ... ينعم بحياته الدراسية الطليقة ، ويمرح فى نعماء والديه ، ويتفيأ ظلالها الوارفة ، لا يكدر صفوه مكدر سوى تأنيبهما له على ترك المدرسة والاشتغـال بالأدب والكتابة للصحف وتضيع الوقت فيما لا ينفع ولا يفيد !! وهو

على الرغم من لومهما له وتعنيفهما إياه لم يكن ليعبأ بلومهمـــا وتعنيفهما أو يتحول عن طريقه الذى حبـه وهام به حتى ملك عليه قلبه وحواسه

ومات أبوه فتملك ثروته من بعده وراح ينفق منها عن سعة، ويمرح فى ربيع الشباب ، فلم يدع بابا من أبواب اللهو إلا ولجه . وظل فى سكرة الشبـاب والفراغ والغنى نشوان لا يفيق ولا يفكر فى عاقبة أمره أو يرعوى عن غيه ونزقه

ثم ماتت أمه فورث البقية الباقية من مالها وظل سادراً فى غلوائه ومباذله حتى بدد كل ما يملك وعاد إلى كتبه واجما حزينا ، يقرأ ، ويقرأ ، لكن القراءة والبحث لا يدران مالا وهو لابد أن يعيش كما يعيش الناس ، ولا بد أن يكد ليحصل على طعامه وكسائه فهل تدركه حرفة الادب فيأكل من شق قلمه كما يأكل الادباء ؟

هو الآن فى إدارة الصحيفة التى اشترك فى تحريرها يعرض أمره على صاحبها ويطلب عملا فى إدارتها أو تحريرها . وكان قد غاب عن مجلسنا شهورا عديدة فلم أعرف مصيره وما آل اليـه حاله . والتقيت به خارجا من غرفة المدير مطرقا حزينـــا رث الثياب تبدو عليه دلائل الهم والفاقة ، وسلمت عليه ذاهلا لفرط اشفاقى عليه وسألته :

ـ كيف حالك اليوم وماذا حال بينك وبين مجلسنا وسهراتنا؟

فتلعثم وغص بريقه وبدت على وجهه علائم الخجل ثم قال :

ـ لا تسل كيف حالى فان الكتاب يعرف من عنوانه ، وسلنى علام عولت ومن أى الاعمال ستعيش أجبـك : اننى

فقدت ثروة أبوى وغاضت ابتسامة الحياة وجف موردها فلم يبق الا أن أعمل كما تعملون . وها أنا اليوم فى داركم التمس عملا ، وقد وعدنى مديركم ان ابدأ العمل بعد أيام

ولم تمض ايام قلائل حتى اصبح صديقي القديم محمد افندى « زميلا » لى فى التحرير نظير عشرة جنيهات يتقاضاها عن كل شهر

ومنذ ذلك اليوم لم يعد يفكر إلا في عمله الجديد!! اما سهراته الأولى ، ولياليه الطويلة الحمراء وغزله وحبه واناقته وزهوه فقد طوت صحيفتها الايام ، واتت عليها الاعوام

كان بين ابناء الاعيان « وجيها » انيقا معروفا بحسن هندامه وفاخر ثيابه وكان « صديق الادباء » يغشى مجالسهم إذا فرغ من لهوه وسهراته . يساجلهم الشعر ويبادلهم الآراء . ويعطف على المعوزين منهم فيمد اليهم يد المساعدة

ثم تغير حاله فأصبح لا يعنى بتجميل مظهره او يتعهد هندامه . فبقايا ثيابه القديمة من « ايام العز » هى كل آماله . وهو بها قانع لا يفكر فى الحصول على سواها . واندمج بين زملائه الصحفيين فعاش عيشهم المضطرب « المبهدل » . واختار لسكناه غرفة صغيرة فى شارع محمد على « بنسيون » يدفع ايجارها جنيهين كل شهر فلا يبقي فى يده من مرتبه سوى ثمانية جنيهات يحار فى تصريفها فلا يعرف كيف يسد بها حاجته

وظل كذلك تتقاذفه امواج الحياة وهو لا يتعلق الا بأوهى اسبابها فاذا انقضى الشهر وجد نفسه قد استدان واستدان حتى لا يفي مرتب الشهر المقبل بتسديد ديونه القديمة

وأردت بعض الايام ان اداعبه وكنا قد فرغنا من عملنـــا فقلت له :

ـ بالذمة مخطرش فى بالك يا استاذ انك تتجوز ؟

ـ اتجوز ؟ اعوذ بالله !! يا شيخ خليك عاقل بلاش تخريف

ـ ليه يا اخى ، يمكن ربنا يوعدك ببنت الحلال ، ويكون عندها قرشين وتعيشوا فى الخبات والنبات وتخلفوا الصبيـان والبنـــات .

ـ لأ يا سيدى من فضلك ولا انا عاوز بنت حلال ولا عاوز صبيان وبنات حلينى في حالى يعنى انا قادر آكل اللقمة الا بطلوع روح !!

ـ طيب وماله يا أخى مش يمكن تكون مدبرة ومقتصدة وتنظملك معيشتك أحسن من البهدلة دى والعيشة الملخبطة اللى انت عايشها

ـ وحياة أبوك سيبنى بلاش تخريف ووجع دماغ

ومضت الشهور تلو الشهور وصديقى محمد افندى ... لا تزيده الايام الا « بهدلة » واضطرابا ، وظل هكذا لا يعرف لنفسه نظاما يسير عليه فهو فى اول الشهر اشد حاجة الى المال منه فى آخره . والدائنون كل يوم فى ازدياد وحاجاته الى النقود لا تنتهى ولا تقف عند حد

فى صباح بعض الايام دخل علينا زميلنا محمد افندى ، ونحن

منكبون على عملنا كشاننا فى كل يوم ، ثم سلم وجلس الى مكتبه في صمت وسكون على غير عادته ، وحانت منى اليه التفاتة فاذاهو ينظر الى من خلال نظارته محاولا اخفاء ابتسامة تتلجلج على شفتيه، ولشد ما كانت دهشتى حين رأيته يرتدى بذلة جديدة !!

قلت له ـ فى دهشة واستغراب :ـ

ـ ايه الحكايه يا أبو حمده أنت ورثت فى حد تانى وأيام العز رجعت واللى ايه ؟

ـ لأ ، مورثتش ، دى بدلة العرس

ـ العرس ؟ تكونش بتحلم ؟

ـ لا والله صحيح

ـ صحيح ايه يا شيخ بلاش كلام تهليس

ـ بذمتى بكلمك جد

وما دام الكلام جداً فقد كان لابد أن أقوم الى مكتبه كما قام بقية الزملاء ، وهنأناه على زواجه المفاجىء ، ثم بقيت الى جانبه كمن يدفعه الفضول الى معرفة أمر من الامور . ولمح هو فى عينى خيال اسئلة كثيرة تطيف برأسى وتهبط إلى شفتى فتكاد تدفعها إلى شتى الاستفهامات فقال :

أراك تهم بالكلام ثم تحجم،وأحس كأنك تريد أن تسألنى .

كيف أقدمت على الزواج ؟ أغنية هى أم فقيرة ؟ أهى جميلة ؟ أأنت سعيد بها ؟ كل ذلك تريد الجواب عليه أليس كذلك ؟

قلت : ترحمنى إذا تفضلت بالاجابة فاني لا أكاد أصدق اذني . فانفرجت شفتاه عن ابتسامة هادئة وواصل حديثه فقال :

ـ أقدمت على الزواج ـ وأنا كما تعلم لا أملك من حطام هذه الدنيا غير مرتبي الضئيل الذى لا يفى بحاجاتي الضرورية ـ بفضل كرم هذه الاسرة الطيبة التى شجعتنى على الاقتران بهذه الزوجة الرضية وهى ان لم تكن غنية لكنها جميلة فاتنة ، وأنا بها مغتبط سعيد . أما المهر وتكاليف الزواج فقد أعفيت منهما ، وبارك الله فى هذه الاسرة الكريمة فقد حفظت عهود أبوى وأخذت بيدى فى هذه الايام القاتمة التى أجتاز دروبها وشعابها . وكأنها قد أشفقت على مما آل اليه حالى بعد موت والدى ووالدتى فظللتنى بعطفها ورعايتها ، وها أنا أصبحت زوجاً سعيداً لا أفكر إلا فى هناء زوجتى المحبوبة . ولقد أخفيت عنكم أمر هذا الزواج بادىء الأمر كى أفاجئكم هذه المفاجأة السارة ، أما أيامى المقبلة وما تتطلب من سعة وانفاق فلست أخشاها ما دامت زوجتى العاقلة الوفية المدبرة قد تكفلت بها مقابل أن أضع في يدها أول كل شهر مرتبي الصغير ، وعليها أن تدبر أمر معيشتنا بهذا المبلغ الضئيل بما وهبها الله من عقل راجح ونفس قانعة ونحن الآن فى الشهر الاول أوفى شهر التجربة بتعبير أصح ، وسنرى ما يضمر الغيب

ومضت الايام والشهور وصديقي محمد افندى ... لايزداد إلا اغتباطاً بزوجته الصالحة ، ولا يشكو من عشرتها إسرافاً أو تبذيراً وأصبح إنساناً آخر فبدت على اساريره وجهه سمات الرضاء والاطمئنان والابتهاج وأقبل على عمله بروح هادئة ونفس سعيدة وتحدثنا بعض الايام عن حياة العزوبة وما تجر على صاحبها

من متاعب واضطراب وحياة الزوجية الهانئة بما تنتظم من سعادة وغبطة فأفاض فى الحديث وأطرى زوجته وامتدح أخلاقها الرضية السامية ، وذكر كيف أصبح مرتبه الضئيل يقوم بكل مطالبه ومطالبها ، بل كيف أصبح يجد آخر الشهر مبلغا صغيراً مدخراً لطوارىء الأيام

* *

ولم يكن صديقي يشكو من زوجته إلا عيبا واحداً لا يصح في الحقيقة أن يسمى عيبا ، ذلك أنها مفتونة بحب «اللآلىء الخداعة» فتذهب آخر الشهر لتشترى منها عقودا وخواتم قد لا يتجاوز ثمنها في كل مرة نصف الجنيه ، على أنه مع ذلك راض مغتبط مادام هذا العيب هو كل ما يشكوه منها

...وشاء القدر القاهر أن يفجع الصديق فى زوجته بعد أن قضى فى عشرتها أعواما كان فى خلالها أسعد الناس وأوفرهم غبطة وهناء يتفيأ ظلال وفائها وحبها

ثم تبدل حاله فعاد إلى أسوأ ما كان عليه قبل الزواج ، وتجهم له وجه الحياة ، وثقلت عليه خطى الايام فعادت مملولة بطيئة لا يودع منها يوما كالح الوجه إلا ليستقبل آخر أبغض من سابقه واشأم ، وراح يستدين كسالف عهده حتى أثقلته الديون .
واصبح فى حياة العزوبة المضطربة لا يعرف كيف يدبر أمر معيشته ، ولا كيف يوفى بمرتبه الضئيل حاجاته العديدة ومطالبه الكثيرة ، ولكى يخفف عن نفسه بعض هذا العوز أخذ يبيع

فى اثاث بيته الذى خلفته له زوجته الراحلة يوما بعد يوم ، وهو بذلك يمهد لسكنى « البنسيون » كما كان يسكن قبلا وليعود إلى حياته الاولى علها أقل نفقة وأروح بالا من تكاليف شقة باكملها وما تستلزم من خادم أو خادمة

وما زال كذلك مضطرب الحال مبلبل الفكر حزينا على زوجته الوفية لا يبدل الثياب السوداء بسواها حداداً عليهاوو فاء لعهدها النضير

ولطالما حزنت من أجله وأشفقت عليه كلما طلب منى أن أرافقه إلى « صالة البيوعات » ليعرض فيها للبيع بعض أثاثه ليفى بثمنه مطالبه العديدة المتراكمة . على أنه فى النهاية استنفد كل ما كان يحويه بيته من أثاث ، ولم يزدد الا إضطرابا فى عيشه الانكد ، واجتمع على نفسه الجزع على زوجته والعوز المذل فذوى عوده . وغاضت ابتسامته الرقيقة ، فلم تبق الايام منه إلاشبحا يتراوح فى ثيابه الاسود البالى!!!

ولقينى ذات مساء على مشرب قهوة تعودنا الجلوس عليها فجلس إلى جنبى وأخذ يرسل الزفرة بعد الزفرة حتى لأحسست بأنفاسها الحارة تكاد تلتهب

قلت له : ما بك ، وما لك كل يوم فى شحوب ووجوم ؟

فأرسل زفرة حارة ومال على هامسا :

أكل ما ألاقى من عنت الايام وقسوتها وما أحتمل فى سبيل العيش وأنت بكل ذلك آدرى الناس وأعلمهم بخافيته ثم تسألنى ما بك ؟

قلت :

هذا هم عرفناه وألفناه وليس منا سعيد لقد حسبتك تحمل هماً جديداً

فمال على ثانية وقال :

أجل هو هم جديد . أليس هماً جديدا ان أذهب اليوم إلى البيت لأحمل منه ما أبتاعه فلا أجد الا غرفة النوم بما حوت من سرير قديم ودولاب متحطم هما كل ما بقى من أثاثي القديم . ثم أنكب على الدولاب أفتح أدراجه فلا أجد بها غير الأثر العزيز الباقى من عهد زوجتى الراحلة

قلت :

وما هذا الأثر ؟

قال :

مجموعة صورها العزيزة ومجموعة العقود والحلى التى كانت تبتاعها فى محلات اللآلىء الخداعة فى كثير من الاحيان ، وقد قلبتها من يدى وأذرفت من الدموع ما شاء الله أن أذرف . ثم خطر لى أن أحمل من هذه العقود اثنين واستصحبك الى بعض هذه المحلات علنا نستطيع أن نبيعهما بقروش معدودة أسد بها حاجتى

ولم أشأ أن أولم نفسه بالرفض فرضيت مكرها ، وقمنا نقصد الى شارع الموسكى

*

سرنا نتجاذب أطراف الحديث فى طريقنا إلى الموسكى ،

وهو لايكاد يعى من الحديث شيئا لفرط مابه من الهم والحزن والذكريات الاليمة ، فهو يتحدث مرة ويستمع أخرى لكنه فى الحالين ذاهل مشتت الفكر والبال

ودخلنا إلى الحانوت فعرض على صاحبه البضاعة الزائفة التى يحملها وطلب اليه أن يثمنها ففحصها صاحب الحانوت طويلا ثم التفت اليه وقال له

العقد الصغير بمائة وخمسين جنيها ، والكبير بمائتين وخمسين فنظر صاحبي اليه مرة والى مرة أخرى ثم وجم لاتتحرك فيه جارحة ، وبعد صمت طويل نظر اليه وقال له :

ـ أمجنون أنت ؟ أم أنا الذى جننت ؟

فدهش صاحب الحانوت لهذه المفاجأة وقال :

ـ أما أنا فلست مجنونا ، وأما أنت فلا أدرى

والتفت صديقي بحركة عصبية وقال:

ـ إذا لم تكن مجنونا فهات الثمن

فابتسم صاحب الحانوت ومد يده إلى باب خزينته ففتحه وأخرج منها أوراقا مالية وأخذ يسلمه الثمن وتناولها صاحبي وهو يكاد يثب بها إلى خارج الحانوت ، وخرج وتبعته إلى الباب : ثم رأيته يقفل راجعا إلى صاحب الحانوت مسرعا حتى وقف أمامه وقال له:

ـ ياحواجه أنا عندى كثير من الصنف ده أروح أجيب لك كمان تشترى ؟

فعادت إلى صاحب الحانوت ابتسامته الرهيبة الغامضة وأجابه

- بكل ممنونية فى أى وقت !! ومضينا إلى حيث كنا

كدت أن أفقد عقلى لهذه المفاجأة وهذا السر الغامض ، وأخذ يقلب الاوراق المالية فى يده والذهول باد على وجهه وهو صامت لايتكلم ، ثم خرج من صمته فقال :

- غداً نلتقى لترافقنى إلى حانوت هذا المعتوه فسأصيب ثروة طائلة من يديه المجنونتين ، سأحمل اليه كل ماحوى الدولاب من هذه البضاعة وسأتسلم ثمنها فأصبح من الأثرياء بفضل غبائه وبلهه

والتقينا فى اليوم التالى فاذا هو يحمل حقيبة صغيرة مملوءة بالعقود والخواتم ، ومضينا إلى الحانوت مسرعين ، ونظرت إلى اللوحة المعلقة ببابه فاذا هى مكتوب عليها . (.. الجواهرجى)وهو اسم بائع الجواهر الحقيقية المعروف فى العاصمة فتولانى ذهول مطبق وجذبت صاحبى من يده وقلت له قف فانك ستوردنا مورد الهلاك هذا محل جواهر حقيقية فكيف غشيناه أمس وكيف قدمنا له بضاعتك الزائفة فاشتراها ، ووجم صاحبى لهذه المفاجأة الجديدة ، وخارت قواه . فاستند إلى الحائط ثم تمتم يبضع كلمات تبينت بعضها وفهمت منها أنه مصمم على دخول الحانوت مادام هو بعينه الحانوت الذى دخله أمس ، وبعد حوار طويل دخلنا واستقبلنا صاحب الحانوت بوجه باش ثم قدم لكل منا سيجارة وبالغ فى الحفاوة بنا ، وأخرج صاحبى بضاعته من الحقيبة ثم نثرها أمامه وأخذ الرجل يفحصها واحدة واحدة وبدأ يثمنها فقال:

- هذا الخاتم بمائة جنيه وهذا بخمسماية ، وهذا العقد الكبير

بثلثماية و و..

حتى انتهى من تثمينها جميعا ثم سأل صاحبى هل يرضيك هذا الثمن ؟

فأجاب فى ذهول ووجوم:

ـ يرضيني

هل تتسلم الثمن نقداً أم تحويلا على البنك ؟

ـ نقداً

وفتح التاجر خزينته وأسلم صاحبى عشر ورقات من ذات المائة جنيه وخمسين من ذات الخمسين جنيهاً وقبضها صاحبى فى يده ثم وقف ونظر إلى الرجل نظرة طويلة حائرة ثم قال له:

ـ أحافظ أنت لقواك العقلية هذه المرة أيضاً ؟

فأجابه فى هدوء وحزم:

ـ ليس فى الأمر مايدعو إلى كل هذا ،هذه الجواهر أنا صاحبها وأنا الذى بعتها لعميلنا « إحسان بك » بضعف هذا الثمن الذى اشتريتها الآن به . كان يتردد على محلنا من حين ليشتريها لخليلته ثم انقطع عنا بعد وفاتها !!! اذ ذاك انتفض صاحبى وشهق شهقة مضطربه تشبه فى تلجلجها حشرجة الموت

وخرج يتهالك على نفســـــه متعثر الخطى مذهوب العقل يفرك الاوراق المالية فى يده ويمزقها ثم يدوسها بقدميه وراح يضرب فى فجاج الارض هائما فى فيافيها لايعرف أحد من أمره شيئا

مملكة الدراويش

مملكة الدراويش !

ملوك! وأمراء! ووزراء! وضباط! وجنود! وشعب!.[1]

مملكة !! وسبحان مالك الملك ، يقوم عرشها تحت قبة الباب الاخضر خلف المسجد الحسيني ، ويحدها من الشمال حارة الوطاويط ومن الجنوب حارة الميضة ، شعبها جماعة الدراويش ، وملكها « الشيخ طه السماوى »

رأيته جالساً على عرشه البسيط المتواضع يحف به أمراؤه ووزراؤه وأتباعه وهو يجول فى شعبه بنظرات هادئة مرهوبة ، ولا تكاد شفتاه تنفرجان بكلمة خافتة حتى تتمشى الرهبة فى القلوب ، ويسود الصمت وتشرئب الاعناق

هو شيخ أسمر اللون ، أشرف على السبعين لكنه قوى البنية ، عريض المنكبين ، مفتول الساعدين ، تبدو عليه أمارات الدعة والهدوء وتنم تقاسيم وجهه عن تجاريب الايام وفعل السنين ، فاذا

---

(١) لجماعة الدراويش تخيلات غريبة ، وتصورات عجيبة ، يشهد آثارها كل من دفعه حب الاستطلاع الى ان يجوب موالد الاولياء في العاصمة وغيرها من المدن والبلدان ، هناك حيث يرى الممالك الوهمية والملوك والامراء والوزراء الوهميين يجلسون على عروشهم ومن حولهم الخدم والاتباع ، ويسمع من ثرثرتهم أعجب الاحاديث وأغرب القصص .

جال بنظراته العميقة الهادئة فى وجوه القوم ولمح من بينهم «غريباً» لايمت الى شعبه بصلة رأيته يخالسه النظرات الخفية الحذرة كأنه يريد ان يخترق بها باطن نفسه ومستور حسه . وإذ يكون هو مستو على عرشه يتقدم أحد الدراويش فيجلس عند قدميه ثم يستأذنه فى « التخمير » والتخمير عندهم هو كلمات غريبة متقطعة لااتصال بين مفرداتها يرتلها الدرويش بصوت أجش متهدج ، فاذا أذن له الملك أخذ يتمايل فى جلسته رافعاً صوته بهذه الكلمات الغريبة والناس من حوله منصتون :

« ربك كريم وكان كريم . . جرى إيه معدش حد من غير أكل . . الزرايب مليانه بهايم والبهايم لابسين طرابيش ، عين اللى يعترض تعمى وكان تعمى »

وهكذا يظل الدرويش فى القاء هذه الكلمات التى لاأول لها ولا اخر والتى لايمكن لانسان عاقل ان يجد فيها معنى مفهوما مستقيما الى ان يحين وقت الصلاة فينصرف الناس لأداء الفريضة ، ثم يجتمعون لسماع غيره وغيره من بقية الدراويش ، ولقد غاظنى من هؤلاء الدراويش انى لم أفهم لكلماتهم معنى فهمست فى أذن صاحبى الذى كان معى وسألته « : هل فهمت شيئا مما قال هذا الدرويش » فضحك من جهلى وأخذ يشرح لى طريقة الدراويش فقال :

« الواحد من هؤلاء يسمى في عرف العامة « مكاشف » أى انه يستطيع معرفة مايجول بالخواطر ويكشف عن المغيبات الاستار . وهو حين يلقي هذه الكلمات المشوشة المبعثرة يرمى بكل جملة منها الى معنى معين يفهمه صاحبه من السامعين الذى قيل من أجله هذا

المعنى ، فان كان بين العامة من الجالسين أحد النجارين مثلا وسمع كلمة عن النجارة والأخشاب أو نحو ذلك راح يفهم من هذه الكلمة معنى يروق له ويستبشر به ، وان كان من بينهم فلاح ريفي وسمع شيئاً عن الماشية والزرع فهم انه هو المقصود بهذه الكلمة وأخذ يتأول معناها ويكد ذهنه فى تفهم مغزاها ، وهكذا لايقوم كل واحد من السامعين الا ويكون قد حصل على نصيبه من هذا « التخمير » والحق ان هؤلاء الدراويش - على مايظهر - مهرة أذكياء «يسوقون الهبالة على الشطارة » ويمعنون فى تغفيل العامة بهذه الكلمات المبهمة المضطربة »

قال صاحبي هذا ثم ضحك ضحكة عالية وقال :

« وأنت منذ دقائق حين وقفنا نسمع هذا الدرويش المجذوب الجالس هناك ألم تدرك ماقاله عنى وعنك ؟ »

قلت : عنى أنا ؟

قال : « أجل عنك انت . ألم تسمع بعض كلماته . ألم تقيدها بقلمك ونحن هناك»

قلت : سمعت وقيدت ولكنى لم أفهم شيئا مما سمعت أو قيدت وقرأت على صاحبي ماقيدته من الكلمات وسألته عما يخصنى أو يخصه منها فأشار بأصبعه الى هذه الكلمات (الزرايب مليانه بهايم والبهايم لابسين طرابيش عين اللى بيعترض تعمى وكمان تعمى) وقال :

« أفهمت الآن يا « زميلى العزيز »

قلت أجل فهمت الآن وعرفت « مربط الفرس »

أما الشيخ طه السماوى ملك الدراويش فمن هو ؟

الشيخ السماوى الكبير الذى تسمى الشيخ طه باسمه هو أحد الاولياء ذوى الكرامات . عاش أيام حياته فى طنطا ، واشتهر بين الناس بالصلاح والتقوى والزهد والتقشف ، واتخذ لنفسه مقاما بين المقابر يأنس بوحشتها الرهيبة ويعبد الله فى صومعة بناها بيده لنفسه . وكان أهل الاقليم يحجون اليه يتبركون به ويسألونه الدعوات .

واذ كان الشيخ السماوى الكبير يعيش هذه العيشة التقية الصالحة كان طه عبد البر لصاً فاتكا يهاجم الضياع والمزارع على رأس عصابة من اللصوص الجبابرة العتاه ، وضج اقليم الغربية بحوادثه المروعة وجناياته الشنعاء ، وترصده رجال الامن مرات ومرات فلم يفلحوا فى ترصدهم . وأخيراً وبعد ثلاثين عاماً قضاها طه عبد البر يقتحم المخاطر ويواجه المهالك ، ويغزو القرى والعزبه فى سواد الليل . زهدت نفسه فى هذه المخاطرات وتحول فجأة الى التنسك والعبادة وسمع بصلاح الشيخ السماوى الكبير فذهب اليه مستغفراً تائباً ، وظل فى خدمته أعواما طوالا . فاذا دعى الشيخ الى قرية من القرى القريبة كان هو سائس حماره واذا أقام فى صومعته قام على خدمته وسهر لراحته

وما دام طه عبد البر قد ثبت على الصلاح والتقوى وخدمة الشيخ فهو إذن يستحق « الشربة الالهية » وهى فى عرف الدراويش شربة من الماء القراح يغمس فيها الشيخ يده ويباركها بدعوات مخصوصة فمن أسعده الحظ بشربها انكشف عن بصيرته الغطاء وأصبح من الاولياء ومن أجل ذلك لايجودون بها إلا على من

يثبت صلاحه وتشتهر تقواه ويرى الشيخ عنه رؤيا النور فيصبح لينفذ ماأمر به فى تلك الرؤيا .

وتوفى الشيخ السماوى الكبير الى رحمة الله فقام الشيخ طه عبد البر مقامه وتسمى باسمه فأصبح يدعى الشيخ طه السماوى وذاع صيته فى الاقاليم وحج الناس اليه من كل فج وتواردت اليه الهدايا : وتقدم اليه أحد المقاولين ببندر طنطا يرجوه ان يتنازل ويسمح له بان يبنى له بيتا على نفقته ويقدمه له هدية وبنى له بيتاً فخما يقيم به الآن فى طنطا ، فاذا حل موعد المولد الحسينى أو المولد الزينبى حضر إلى القاهرة . والتف حوله الاتباع والدراويش وأقاموا فى كنفه يظللهم بكرمه وعطفه ورعايته فيجود عليهم بكثير مما يحمل اليه من المال والهدايا

وقد تزوج ست مرات من نساء جميلات وهو يعاشر الآن اثنتين احداهما تبلغ من العمر ستين عاما وهى أم (ولى العهد) الذى يساعد أباه فى تدبير شئون مملكة الدراويش ويهيء نفسه ليكون ملكا لها بعد أبيه ، والثانية فتاة صغيرة لم تتجاوز الثامنة عشرة مشرقة الوجه جميلة الطلعة هيفاء القوام . وهما يحضران معه الى القاهرة كل عام ويعودان معه لانه لايصبر على فراقهما مدة إقامته ولا يأمن على بقائهما بعيدتين عنه . أما ولى عهده فهو فتى صغير مدلل تلوح عليه سيماء السذاجة والبساطة اذ تحدث اليه تمثلت لك فى كلماته البلاهة و « العباطة »


الشيخ مصطفى

الشيخ مصطفى ... !

يشهد الأديب كل يوم من صور الحياة شتى مناظرها ومختلف الوانها . وهو بحكم صناعته أكثر الناس اتصالا بأوساطها المتباينة ونزعاتها المتغايرة ، لذلك فهو وحده دنيا تموج باشباح الغواية والضلال والتقى والصلاح وحيل المحتالين وقضايا المتقاضين وشكوى البائسين وعجائب المخلوقات وشعوذة المشعوذين ونجوى المحبين وما الى كل ذلك مما تعج به الحياة وتصخب

ولقد كانت أحب ساعة إلى نفسى تلك الساعة التى قضيتها بجانب ذلك الشيخ الباسم الفرح الذى قضى من الاعوام خمسة وتسعين عاما بنى فى خلالها باثنتين واربعين زوجة ، وشهد مواكب الاعوام تترى موكبا بعد موكب فذاق مر الحياة وحلوها ، واستوعب عظاتها وتجاريبها

هو شيخ فى الخامسة والتسعين ! ! لكن دم الحياة لا يزال يجرى في عروقه حاراً ، وهو وان كان قد أصبح ناحل الجسم إلا أن النور الذى يشع من عينيه ينبئك بأنه لا يزال فتياً يرسل على الحياة شعاع الامل وحب البقاء ، يحدثك فلا تشوب صوته رعشة الشيوخ المتهدمين ، وتنفرج شفتاه عن ابتسامة لا تريد أن تفارقهما أبداً ، وهو « حانوتي » تعلم من صناعته كيف يكون الصبر والجلد وكيف يصبح الموت ـ بالتعود ـ أمراً عاديا لا يخيف ولا يفزع فكم قلب بيديه الهرمتين جثث شباب ذوى فى ربيعه وميعته . وكم

وسد الثرى ممن فارقوا الحياة بين هلع الأهل وفزع الاصحاب وهو فى كل ذلك بالتدريج أصبح لا يشعر إلا بما يشعر به العامل فى أثناء « شغله » فالميت عنده « حتة شغل » لا يحب ان يفسد عليه صبيانه عمله فيها ، فاذا تقدم واحد من هؤلاء الصبيان يتدرب على العمل فى ميت من الاموات تحت اشرافه وبدا منه ما يخالف أصول « الصنعه » انهال عليه غاضبا بالضرب والتأنيب .

ـ يا ابن الـ ..... خسرت الشغل !!!

قلت له بعد أن اطمأن الى حديثى .

ـ بالذمه يا عم الشيخ مصطفي صحيح اتجوزت اتنين وأربعين مرة ؟

فضحك ضحكة عالية ثم نظر الى وعلى وجهه المتجعد علائم الدهشة لهذا السؤال ثم قال .

ـ وفيها ايه يعنى يا سيدنا الافندى لما اتجوز تنين واربعين مرة ؟

ـ ولا حاجة ، بس يعنى قصدى استفهم

ـ أيوه يا سيدى صحيح ، ولسه عاوز أجوز كمان ، بس لما ربنا يوعدنا بقطقوطة كدا بنت حلال

ـ قطقوطة كمان ياعم الشيخ مصطفي. يعنى متنفعش لو كانت كدا سن اربعين والا خمسين ؟ !

ـ أربعين والا خمسين ؟ أعوذ بالله !! ليـه يا أخى انت مش عاوزني أتمتع بالدنيا !!

ـ لأ . إتمتع ويطول عمرك كمان وكمان . لكن بفتكر ان

القطة وطه اللى انت عاوزها مترضاش بك علشان 'نت بقيت راجل عجوز. فحملق فى وجهى، ثم تناول يدى بين يديه وضغط عليها ضغطا شديداً كدت أصرخ من شدة ألمه وقلت له.

ـ حيلك حيلك يا عم الشيخ مصطفى صدقنا انك لسه صبى وفتوة كان روح اتجوز ان شاء الله تتجوز عشر قطاقيط بعد الاثنين وأربعين اللى اتجوزتهم

فعاد يقهقه ويسخر من ضعف الشبان «بتوع الايام دى» ويذكر ايام صباه فخورا

ثم عن لى أن استدرجه الى معرفة الطريقة التى يلجأ اليها فى استمالة النساء اليه وهو فى هذه السن الفانية فسألته.

ـ لكن قولى ياعم الشيخ مصطفى. أيه يعنى اللى بيحبب النسوان فيك ويخليهم يقبلوا جوازك؟

والله يا ابنى ـ وكانت هذه أول مرة سمعت منه كلمة ابنى ـ المسألة مسألة معروف وطيبة قلب، أروح البيت من دول علشان «خرجة» ميت وبعد ما ينتهى الميتم والذى منه أشوف زوجة المتوفى صبية وحلوه تعجبنى فأتوددلها واصبرها على مصيبتها وأقضى لها مصالحها خصوصا اذا كانت وحيدة ومعندهاش حد يخدمها وأحيانا اذا كانت فقيرة وربة أيتام أتنازل لها عن أتعابى فى دفنة جوزها ويمكن أساعدها على بقية مصاريف الميتم كمان، وبعد كدا أطلب منها الجواز وأوريها ان العزوبة حرام. وتنتهى المسألة فى الآخر بالجواز

ـ طيب. لكن العدد ده كله يا ترى مات على ذمتك والا طلقته

ـ آهو بعضه كده وبعضه كده إشى مات وإشى اطلق والحمد لله على نعمة الاسلام والعين والعافية

***

وخطر لى أن اسأله هل لا يزال يتذكر أسماء هذا العدد الوافر من الزوجات فقلت له :

ـ لكن تقدر تفتكر أسماءهم كلهم يا عم الشيخ مصطفى ؟

فأجابنى ضاحكا «أيضا» ثم قال .

ـ يا ابنى ايه الكلام ده هو فيه حد ميفتكرش أسماء نسوانه ؟

ـ لأ ، غرضى انهم كتير ودا شىء يتوه !!!

ـ يتوه ازاى يا ابنى طيب خد عندك:

ـ أول بختى الله يرحمها ويجعل مقرها الجنه فاطمه بنت المرحوم الحاج اسماعيل النجار ، وتانى بختى المرحومه زنوبه بنت ال.......

وراح يعدهن واحدة واحدة ما بين «مرحومة» وما بين «الله يسامحها» المطلقه فلانة بنت المرحوم فلان وفلانه بنت الشيخ فلان حتى تولانى الذهول من هذه الشخصية العجيبة النادرة ، وأشفقت على ذاكراتي لا على شيخوخته العاتية فأجريت الحديث معه فى نواح أخرى

***

وأحببت ان اعرف امل مثل هذا الشيخ فى الحياة بعد هذه السنين التى قضاها يستقبل كل يوم جديدا فسألته

ـ وايه أملك يا عم الشيخ مصطفى فى الدنيا ؟

ـ والله يا ابنى أملى فى الدنيا شىء بسيط ربنا سبحانه وتعالى

ميمتنيش الا لما اشوفه

ـ وإيه هو ؟

ـ هو انى أشوف ابنى شيخ حانوتيه مصر و « الشغل » عنده بالزوفه . لحد ما يقنى أملاك ويعيش مع زوجته واولاده فى نعمة كبيرة وبعدها « معلهش » الواحد يموت !!

وإذ ذاك أخفيت ابتسامتى الغامضة التى بدت على شفتى لهذه الامنية العجيبة من ابن الخامسة والتسعين . وأطرقت أفكر فى هذا « الشغل » الذى يريد الشيخ أن يزيد ويربو بين يدى ابنه . هذا الشغل هو جثث الموتي ، أو هو بعبارة أصح جثثنا نحن . يترقبها ذلك الشيخ الفانى ليقدمها لابنه كى تدر عليه أخلاف النعم وكى يصبح بها شيخ حانوتية مصر و يقتنى البيوت والاملاك

خشيت أن يطول وجومى وتفكيرى فرفعت رأسى ونظرت الى الشيخ نظرة لا أعرف وقعها من نفسه . وقلت له .

ـ ان شاء الله تعيش وتعمر يا عم الشيخ مصطفى لحد ماتشوف ابنك زى ما أنت عاوز

ـ الله يسترك يا ابنى ويطول عمرك

ورأيت أن أقنع بهذا الحديث الطريف فسلمت عليه وانصرفت



لله يا أسيادى ! !

لا يا أسيادى !!

« قصتان واقعيتان »

— ١ —

ظل أحمد باشا .. اللواء المتقاعد خمسة عشر عاما فى أخريات أيامه يـــتردد على المسجد الزينى ظهر كل يوم يؤدى فريضة الظهر وعصر كل يوم يؤدى فريضة العصر ، وكان أثناء خروجه بعد صلاة الظهر يرى خارج الباب رجلا نحيل الجسم رث الثياب مقوس الظهر تلوح عليه أمارات الضعف والاستكانة ، يمد يده للباشا فى ذلة وضراعة طالباً « إحسان لله ياباشا » ويرثي الباشا لحاله وكبر سنه وبؤسه فينفحه قرشا . واستمر الحال على هذا المنوال حتى أصبح الأمر عادة لايتخلف عنها مدى خمسة عشر عاماً لم ينقطع الباشا فى خلالها عن أداء فريضة الصلاة وأداء هذا هذا الاحسان معا

ويخرج الباشا فى أحد الايام على عاداته فيعطى الشيخ قرشه المعهود فيمسك الشيخ بيده فى رفق وأدب ويرجوه أن يسمح فينتحى به ناحية ليرجوه فى أمر من الامور ، ويدهش الباشا لهذا الرجاء ثم لايسعه إلا أن يجيبه إلى طلبه فينتحى به ناحية فيهمس الشيخ في أذنه : « ياباشا ربنا يطول عمرك أنت غرقتنى بخيرك

خمستاشر سنة تسمح ياباشا النهاردة تشرب عنـــدى شاى ؟ ! »
ويسمع الباشا من السائل المسكين هذه الدعوة الجريئة الغريبة فيحملق فيه لفرط دهشته ويقرأ الشيخ على وجه الباشا علائم الدهشة فيميل إلى أذنه قائلا : « أجبر بخاطرى ياباشا ربنا يجبر بخاطرك » ولا يسع الباشا إلا أن يجيب الدعوة جبرا لخاطر الشيخ وحبا فى استطلاع أمره فينصرف على أن يلاقيه بعد صلاة العصر ليذهب معه إلى حيث يشاء !!!

فاذا كنت فى شارع زين العابدين بحى السيدة زينب رأيت الباشا فى عربته ورأيت شيخا في ثياب مهلهلة بالية يجلس بجوار السائق والعربة تقطع بهما الطريق إلى الجبل حيث ترى هناك الاكواخ القذرة الصغيرة منتشرة بين الهضبات والمنخفضات بجوار « سيدى أبو السعود » وتصل العربة إلى هذه الجهة النائية المنقطعة عن العمران فيحس الباشا فى داخل نفسه بخوف واضطراب لأنه لم يكن يعرف إلى هذه اللحظة مادا يرد به أو أين يذهب . ثم تقف العربة أمام سور قديم متهدم بعيد عن الاكواخ وينظر إلى هذا السور فلا يكاد يرى به منفذا أو بابا . وينزل الشيخ مسرعا فتعتدل قامته بعد انحنائها ويتبدل صوته إلى نبرات واضحة قوية لارعشة فيها ولا تهدج فيبسط يده مشيراً إلى باب صغير فى هذا السور القديم « تفضل ياباشا وسالتك بالله أن تكتم السر » . وهنا لابد أن ينحنى الباشا لطول قامته وقصر الباب ثم يدخل فلا يكاد يسير بضع خطوات حتى يقف ذاهلا أمام منزل فخم البناء جميل الشكل وقف على بابه خادم زنجى فى

في ثياب بيضاء نظيفة يتقدم فى أدب و نشاط فيتناول مظلته ويحنى راسه مشيراً إلى « الصالون » كل ذلك و الباشا لايزداد إلا ذهولا و يمشى إلى الصالون فاذا هو صالون فخم الاثاث حسن الترتيب يدل كل مافيه على ذوق جميل وإحساس دقيق ثم يغيب الشيخ ربع ساعة ويظل الباشا فى ذهوله و اندهاشة إلى أن يقبل عليه رجل طلق الوجه ضاحك السن يلبس جبة وقفطانا وطربوشاً تدل كل مظاهره على الثراء والنعمة . ويجلس قبالة الباشا و الباشا يتفرس فى وجه فلا يكاد يصنق ناظريه حين يرى بعض ملامح صاحبه الشيخ فى هذا الوجه لكنه لايرى بقية سماته الغبراء المعفرة !!! ويبدأ الرجل فيتحدث إلى الباشا بعبارة واضحة الحروف مهذبة اللفظ ليزيل عن الباشا وحشته ويقص عليه قصته :

كان أبي ياسيدى الباشا شحاذاً و كان جدى من قبله شحاذاً فورثت عنهما مالا « وخير الله كثير » وعلمنى أبي صناعة الشحاذة فمضى على بها خمسون عاماً تزوجت فى خلالها ثلاث مرات . ماتت واحدة وطلقت الثانية وأعيش الآن مع الثالثة . لكننى ياباشا لم أفعل مافعله أبي وجدى من البخل والتقتير فحافظت على صناعتهما ولم أضيع كل ماورثته عنهما وبنيت هذا المنزل ورزقت من زوجتى الاولى ولداً يبلغ الآن العشرين من عمره لم أشأ أن ينشأ كما نشأت ونشأ أجداده فى ذل السؤال فعلمته فى الكتاب وتركت له الحرية فى أن يعيش على هواه على شرط ألايظهر للناس حقيقة أمرنا وإلا انفضح حالنا وساء مآلنا وسيحضر الآن ياباشا ليقبل يدك ، ولا أدرى أى دافع بعثنى على

أن أشرح لسعادتك كل هذه التفصيلات لكن ياباشا خيرك خمسة عشر سنة وطيبة قلبك كفاية »

وينتهى الشيخ من سرد قصته ثم تنحدر من عينيه دموع غزيرة ويقول : « سألتك بالله ياباشا ألا تبيح السر » ويعده الباشا بما أراد ثم يحضر ابنه فاذا هو شاب وسيم الطلعة جميل القسمات أنيق الثياب يتقدم فيقبل يد الباشا فى أدب وحياء ويقوم الجميع لتناول الشاى على أحدث نظام وأفخر مائدة

— ٢ —

فى حى « الانشا » وعلى مقربة من سكة حديد حلوان كانت السيدة وهيبة هانم زوجة محمد بك ... تجلس فى إحدى غرف منزلها . وكان البرد قارصا والمطر ينهمر بغزارة فتسمع صوت تساقطه على الارض واهتز قلبها رحمة اذ سمعت صوت امرأة بائسة تضطرب لشدة البرد وتصطك أسنانها فيذهب صوتها فى رعشه متواصلة فلا تكاد تتبينه . وأثر في نفس السيدة هذا الصوت الضارع المرتعش فأطلت ترى صاحبته ، ولم تكد تتبينها حتى أثر فى نفسها منظر البائسة المسكينة أبلغ التأثير فقد رأت جسما نحيلا عاريا إلا من خرقة بالية ستر نصفه الأسفل ، ورأت هذا الجسم النحيل العارى تتولاه الرعشة ويفعل به البرد القارص فعلا يستدر الرحمة ويبعث فى أقسى النفوس وأغلظ الاكباد العطف والحنان ، وكان أول خاطر خطر فى نفسها أن تستر هذا الجسم المضمحل بأقرب ثوب تصل اليه يدها وأمرت الخادمة أن تسرع فتحضر الثوب المعلق بالحمام

وتنزل الخادمة بالثوب مسرعة فتدرك به العجوز السائلة وتضع الثوب فى يدها فتنطلق به مهللة داعية ، ثم يقبل المساء وتدعى السيدة إلى حفلة ساهرة فتأخذ زينتها وتتهيأ لهذه السهرة ، ثم تفقد خاتمها الغالى الثمن ، النادر الوجود ، فلا تجده . وتحدث بالبيت ضجة ويزداد اللغط والهرج ، ثم تتذكر السيدة أن الخاتم المفقود كان في جيب الثوب الذى أمرت به للعجوز المسكينة ، ويحضر إلى المنزل زوجها فتقص عليه الخبر فى لهفة وجزع يائسة من الحصول على خاتمها العزيز

ثم يخرج زوجها إلى رفاقه وأصحابه فيروى لهم ماحدث فى هم وكدر وينبرى بعض هؤلاء الرفاق فيذكر لصاحبنا أن للشحاذين رئيساً يسود سلطانه عليهم جميعاً ، وإذن فليذهب الزوج إلى حيث يقيم هذا الرئيس علّه يعيد الخاتم المفقود نظير مكافاة يعده بها

فاذا كنت فى أكواخ متناثرة هنا وهناك بمنعرجات الجبل عند « سيدى أبو السعود » رأيت على منعطف الطريق الموصل إلى هذه الاكواخ قهوة بلدية ، ورأيت بين الجالسين رجلا وقور اللحية نظيف الثياب تلوح عليه أمارات الجد والنفوذ . وترى عربة تقف فينزل منها محمد بك . . وصديقه . ويسأل محمد بك عن « الشيخ » فيشير الجالسون إلى هذا الرجل ويتقدمان منه ويقصان عليه قصة الخاتم . ويصغى الشيخ إلى قصتهما ثم يسألهما .

فى أى ساعة كان مرور العجوز؟

ـ فى الساعة العاشرة صباحا
وما اسم الشارع الذى كانت تسير فيه ؟
ـ فى شارع الانشا
وفى أى اتجاه كانت تتجه ؟
ـ من الغرب إلى الشرق
بأى نداء كانت تنادى ؟

ـ اذ ذاك يصعب على محمد بك أن يجيب على هذا السؤال الدقيق فيقوم مسرعا الى أقرب شارع ويسأل هذا السؤال لزوجته تلفونيا ، فتجهد الزوجة ذاكرتها فتتذكر أنها كانت تنادى : « أســـتروا العريانه الله يستركم » ويعود الزوج فيقرر أمام « المحقق » أنها كانت تنادى : « أستروا العريانة الخ » وعندئذ ينطق شيخ الشحاذين بالحكم فيقول : « اذن فالثوب الآن فى بيت أم الرزق » وينادى بأحد اتباعه ثم يأمره ان يذهب فيحضر الثوب كما هو ، ويحضر الثوب فيضع الشيخ يده فى جيبه فيخرج منه الخاتم المفقود !!! ويدهش صاحبنا مما رأى فيتناول الخاتم وهو لايكاد يصدق عينيه ؛ ثم يمنح الشيخ خمسة جنيهات ويعود




اسماعيل الحلبي

اسماعيل الحلبي

السيد الحلبي من أهالى «كفر عوانه» رجل قوى المراس، مقتحم جبار، لاتنتهى حوادثه المروعة. ولا تنقطع سلسلة مخاطره، فهو لايخرج من السجن إلا على نية ان يعود اليه بعد قليل. ولا يكاد دم قتلاه يجف الا ليريق سواه

خرج ذات ليلة فى رهط من أعوانه وأتباعه فاقتحم مزرعة مجاورة واستلب مواشيها ومحصولاتها بعد ان تبادل مع حراس هذه المزرعة الطلقات النارية. وحمى وطيس المعركة بينه وبين هؤلاء الحراس ثم فر مع رجاله بالغنائم والاسلاب دون ان ينال أحدهم مكروه. وحامت حوله الشبهات فخرج اليه العمدة مع خفرائه وشيخهم فوجده متحصنا بمنزله فلم ينزل اليهم. وظل يعمل عصاه الطويله فى أجسام الخفراء ورؤوسهم وهو بأعلى جدار داره حتى أسال دماءهم. وبينماهو مع الخفراء وشيخهم فى هذه المعركة انطلقت رصاصة من بندقية شيخ الخفراء أصابت السيد المذكور فى فخذه، وظل لا سمح لاحد أن يسعفه حتى مات فى اليوم التالى متأثرا بما أنزف من دمه وحوكم شيخ الخفراء فقضى عليه بالسجن ثلاثة أعوام بتهمة القتل الخطأ

*

مات السيد الحلبي كما أسلفنا وسجن شيخ الخفراء. وكان

للقتيل أخ جبار فاتك اسمه (اسماعيل الحلى)ولا بد له ان ياخذ بثأر أخيه القتيل لكنه كيف يوفق لذلك وغريمه شيخ الخفراء سجينا ، وكيف يستطيع ان ينام عن ثأر أخيه ثلاثة أعوام كاملة ؟ . الامر سهل وبسيط فشيخ الخفراء فى السجن لكن أخاه خفير بالبلدة فليذهب فداء أخيه المقتول وإذن فليترصد له ليلا وهو عائد من المركز ليطلق عليه الرصاص فيخر صريعا ولا ينفي الدم إلا الدم

فاذا كنت فى الطريق فى كفر عوانة ليلا والظلام الحالك يخيم على المزارع الممتدة على الجانبين بصرت باسماعيل الحلبى جاثياً على ركبتيه مختفيا وراء الاشجار متحفزا لاطلاق الرصاص على الخفير وهو راجع من المركز ليـــلا . وببصر الجانى المختبىء بفريسته فيطلق الرصاص من بندقيته على ذلك القـادم فى الطريق فيسقط مدرجا بدمائه . فاذا طلع الصباح كشف نوره عن جثة القتيل فاذا القتيل ليس إلا رجلا بريئا من قرية مجاورة قدم ليلا فى هذه الطريق وهو لا يعلم ان المنية تقوده الى الهلاك بغير ذنب أو جريرة . وبعض القاتل بنان الندم على ان أفلت غريمه من يده وهو لامقصد له فى قتل برىء مسالم ليس له في الجناية أى سبب . ثم يذهب دم هذا القتيل هدراً وتذهب معالم قتله فتطوى أوراقه دون أن يقع المحققون للجاني على أثر

وإذن فما يزال اسماعيل الحلى يطالب دم أخيـــه المقتول من شيخ الخفراء ، وما يزال يترصد ليلا ليقتل أخا شيخ الخفراء فداء لدم أخيه . لكنه فى هذه المرة لا يحب ان يخطىء فى قتله كما أخطأ فى المرة السابقه فليذهب إذن الى (نفيسه الجرادينى) خليلة غريمه

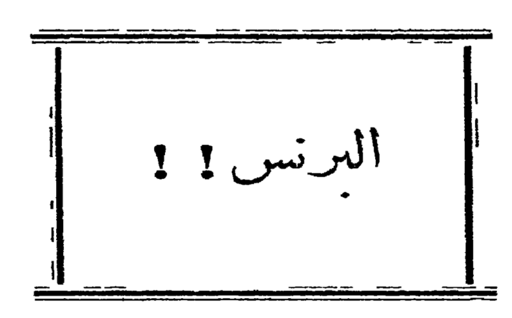
وليهددها بالقتل اذا هي لم تنفذ مايطلب منها تنفيذه « فعليك أيتها المرأة ـ ان كنت تخافين على عمرك ـ ان تقودى خليلك الى الحقل ليلا وعليك ان تقدمى له الخمر ليشرب حتى لا يعى وسأكون فى انتظاركما مختفيا وراء النخيـــل حتى اذا أحسست بوجودكما وسمعت حديثكما وتبينت صوت خليلك متهدجا من فعل الخمر أطلقت الرصاص عليه شفاء لنفسى وأخذاً بثأر أخى المقتول فاذا خشيت ان تصيبك رصاصتى في الظلام فابتعدى عن خليلك حين ترين السيجارة مشعلة فى يدى واحتمى فى جذع نخلة حتى لايصيبك الموت »

وتذهب نفيسه إلى خليلها فتتودد اليه وتتثنى بين يديه وتعرض عليه ان يرافقها الى الحقل (علشان ينبسطوا شويه) وتنبسط أسارير وجه الخليل لهذه الليلة المقبلة ويظل يهتف فى أعماق نفسه لهذه الساعة الفرحة المغردة . فبعد يوم ينقضى متلكئا ، سيجلس الى خليلته تحت ستار الليل الكثيف وسيشرب من يدها زجاجة الخمر التى ستحضرها له من خمارة خريستو بقال القرية . وسيأكل معها الفرخه المحمرة الشهية !!!

وفى سواد الليلة الموعودة يجلس بين باسقات النخيل وبجانبه نفيسه تساقيه الغرام وكؤوس المدام فيشرب ويشرب من يديها حتى تطيح الخمر برأسه وتدور به الارض الفضاء ثم تبصر نفيسه نار السيجاره تنبعث من خلف الاشجار فى ظلام الليل فتتسلل من جانب خليلها الى ناحية بعيدة فلا تكاد تبعد عنه خطوات حتى تدوى طلقات النار فى الفضاء ويخر خليلها صريعاً يتخبط فى دمه

ثم ينقض اسماعيل الحلبى على فريسته مع رجاله فيجهزون على القتيل بمداهم وعصيهم الغليظة ويربطونه بحجر ثقيل ثم يلقونه فى ترعة الجنابية لكنهم يخشون فضيحة الامر لقرب هذه الترعة من القرية فيحملونه ثانية الى ترعة بعيدة هى ترعة الخطاطبه ، ويكون الفجر قد أوشك ان ينبثق نوره فيعودون الى بيوتهم بنية ان يعودوا فى الليلة المقبلة ليحملوا الجثة مرة ثالثه الى (فرع رشيد) حيث يقذف به التيار القوى إلى بلد بعيد فتضيع معالم الجريمة وينجو القتلة من العقاب .

وفى الصباح يبحث الناس عن الخفير فلا يجدونه ، ويطول البحث عنه والتقيب فلا يعثر له على أثر . فى مساء هذا اليوم تسوق الصدفة بعض غلمان القريه الى مكان الحادثة فيعثر بعضهم على خرطوشتين ويعثر الثاني على آثار دماء تمتد على الارض الى ان تختفى فى المزارع ويحضر رجال التحقيق فيوالون البحث ويتتبعون آثار الدماء حتى تصل بهم الى مكان الجثة فيخرجونها من ترعة الخطاطبة ، ويشهد بعض القرويين بانه رأى نفيسه الجرادينى تسير الى جهة النخيل ليلا مع خليلها القتيل ، ثم تأمر النيابة بالقبض على نفيسه فتظل منكرة مصرة على الانكار أياما طوالا حتى يكاد المحققون يطوون أوراقهم يأسا من الوصول الى معرفة الجناة . لكنها تخور عزيمتها فى النهاية فتعترف بتفاصيل الجريمة وتساق مع اسماعيل الحلبي وشركائه الى محكمة الجنايات وتقضى عليهم بالسجن المؤبد.



البرنس ! !

البرنس !!!

شخصيــــة حقيقية

البرنس !!... كذلك أراد المغفور له السلطان حسين ان يلقب صاحبنا بلقب « البرنس » وان لم يكن من الامراء أو النبلاء. و تشاء الاقدار ان يمحى اسمه من هذا الوجود ولا يبقى له من الاسماء والالقاب إلا هذه الكلمة : البرنس !! فاذا سألته هو ذاته عن اسمه . أجابك على الفطرة النقية وبغير تردد « البرنس »

أشرف على الستين من عمره ، قصير القامة غليظ البطن ، واسع العينين ، يرتدى الجبة والقفطان والطربوش ، تراه فى خطواته البطيئة ومشيته المتهالكة يتمتم ببعض الادعية والاوراد. ثم تراه أمام الضريح الزينبى يمسك بيده قلمه الرصاص القصير ، يكتب على ورقة صغيرة ابياتا من الشعر يبين فيها السبب الذى جاء من أجله .

لصبحى بيك مسألة ... سألتك أن تحليها
غداً يترى فداديا ... فهيا باركى فيهـــا

وهو بعد قليل أمام ضريح الامام الحنفى يكتب له أبياتا أخرى ويضعها عند مقامه من أجل مسألة أخرى ، ثم يعود إلى أصحاب الحاجات فيبلغهم أنه أوصل رسالاتهم إلى الأولياء وانهم سيرون بعد أيام نفحات الامام الحنفى والسيدة زينب والسيدة

نفيســــة !!!

* * *

منــذ خمسين عاما أو تزيد كان الذاهب إلى الجيزة يرى فى طريقها عصر كل يوم شيخا كهــــلا يتكىء على عصاه بيده اليسرى ويضع يده اليمنى على منكب صبي صغير، ويسير الاثنان إلى أن يبلغا سراى « البرنس حسين » . ويتلقاهما عند البـــــاب الخارجى أحد الخدم فيذهب بهما الى حيث يكون « أفندينا » فى انتظارهما ليتلقى على الشيخ دروس الشريعة واللغة العربية ، فاذا انتهى من درسه أخذ يلاطف الصبي ويداعبه ويأمر له فى كثير من الاحيان بمنح كريمة . أما هذا الشيخ الكهل فهو « السيد محمد » أستاذ البرنس حسين ؛ وأما هذا الصبى الصغير فهو « البرنس » كما كان يناديه صاحب الدار ، وهكذا ظل هذا الاسم يلازمه الى اليوم . أما اسمه الحقيقى فهو يقرر فى سذاجة ونقاء فطرة انه نسيه هو أيضا ، لأنه عاش فى كنف هذا الشيخ أيام طفولته ولم يكن يسمع أحدا يناديه بغير البرنس

وتمر الايام فاذا « البرنس الصغير » قد أصبح رجلا ، بعد أن انتقــل إلى جوار ربه ذلك الشيخ الكريم الذى كان يكفله أيام طفولته ، وتطوف به الاعوام ما تطوف ثم تستقر به فى « دار الكتب المصرية » ليقوم بنسخ الكتب القديمة للبـــاحثين والمؤلفين نظير ما يجودون به عليه من أجر ضئيــل ، ثم يرقى « البرنس حسين » عرش السلطنة المصرية ، ولم يكن يخطر ببال أحد ان صاحب العظمة المغفور له السلطان حسين ذاكرا للصبى

الصغير الذى كان يتشرف عصر كل يوم بحظوته مع معلمه الشيخ بعد أن ضرب « الصغير » فى فيافى الايام ، واجتوته الاعوام ، وصار رجلا شارف الخمسين ، ولم يكن يخطر ببال أحد أن يظل صاحب العظمة ذاكراً لهذا الصبى الصغير حتى تشرفت دار الكتب المصرية فى بعض الاعوام بزيارة عظمته

فاذا كنت بدار الكتب المصرية فى هذا اليوم رأيت صاحبنا البرنس فى غرفة المطالعة مع زملائه النساخين ، لكنك لا تراه فى هذا اليوم مشغولا بعمله كبقية زملائه ، فهو عنهم وعن كراساتهم فى شغل شاغل بما يستهبط به وحى الشاعرية لينظم قصيدة يستقبل بها صاحب العظمة السلطان . أما الاوامر الصارمة التى صدرت لجميع من بدار الكتب تحرم عليهم القاء الخطب أو القصائد بغير إذن المدير فهو لا يعبأ بها ولا يقيم لها وزنا ، هو قد انتهى من نظم قصيدته ، وهو لا بد أن يقف بين يدى صاحب العظمة ليتشرف بالقائها ، ويحين موعد الزيارة السلطانية ، ويصل ركاب صاحب العظمة ويشرف غرفة المطالعة بزيارته . وهنا يتحرك « البرنس » فلا يكاد يقف بين يدى عظمته ليلقى قصيدته حتى يزوغ بصر المدير وتدور الارض تحت قدميه خوفا وجلا مما عسى أن يلقى على عاتقه من جراء هذه المخالفة الجريئة ! اذ كيف يسوغ أن يقف أحد النساخين بثيابه الرثة وبغير استئذان ليلقى قصيدة بين يدى عظمة مولانا السلطان ، على أن هذا الخوف لا يلبث أن يزول حين يرى المدير والحاشية صاحب العظمة يتقدم باسما خطوات نحو « البرنس » وهو يقول .

ـ عفارم برنس ، برافو برنس ، فين أبوك ؟
ـ الله يخليك يا أفندينا ، حياتك الباقيه يا أفندينا
ـ مسكين برنس

ثم يتناول بيده الكريمة قصيدة البرنس فيسلمها لصاحب السعادة فهمى باشا ويأمر له بجائزة مالية

وإذ ذاك يتنفس المدير الصعداء . ويزول عن نفسه ما ألم بها من الهم والوجل لولا ما غاظه من جمود البرنس ومحافظته على كلمة « أفندينا » فى خطاب عظمة السلطان كأنه لا يزال صبياً وكأن صاحب العظمة لا يزال برنسا فى قصره كعهد صاحبنا به

...

وليس البرنس شاعراً متواضعا يعرف حقيقة منزلته بين الشعراء . فهو شاعر متمرد الشيطان لا يرى واحدا من الشعراء يفضله غير المتنبي ؟ ؟ ؟ فرامى شاعر الشباب أحد تلاميذه . وهكذا يزعم البرنس ، وبهذه العقيدة يخاطب رامى ، يدخل عليه مكتبه فى بعض الاحيان عاضبا عاتبا .

ـ يا ابنى يا رامى قصيدتك اللى منشورة النهارده فى الاهرام نصها مسروق من شعرى

ـ أهلا بأستاذى « البرنس » معلهش يا سيدى المسامح كريم

ويضحك رامى مع من حوله ، ثم يعود البرنس إلى كراساته ينسخ فيها كتبه المخطوطة ،

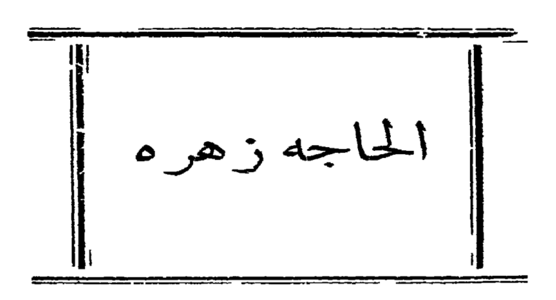
والبرنس عدا ذلك يعتبر نفسه شاعرا مجدداً أدخل على اللغة العربية كلمات جديدة وأساليب جديدة ، ويستشهد على ذلك بقوله :

« شلن » برنسك انه   اضحى فقيراً فى الورى

و يريد بكلمة « شلن » أعطنى شلنا . و اذا انتقده رامى في هذا التعبير فهو جاهل باصول التجديد لايعرف مصطلحاته ، و تشتعل نار الجدل بينهما ، و تحتدم المناظرة فلا يفصل فيها غير شاعر مصر الكبير حافظ بك ابراهيم حيث يخرج « الشلن » من جيبه فينفحه البرنس ، و هناك يذعن البرنس لرأيه و يرضى بحكمه . أما رامى فله الويل من تلميذ عاق لا يرعى عهد تلمذته للبرنس ولا يعرف التحديد !!!

عرفت كيف نال البرنس حظوة المغفور له السلطان حسين ومن طريف ما نعرف أيضا أنه تشرف بين يدى « مولاى عبد الحفيظ » و امتدحه بقصيدة نال عليها جائزة سنية ، و هو يتيه على رامى ويفاخره بهذه المواقف المشرقة ، على ان مدائح البرنس لا تعرف التفرقة بين المقامات فهى ترتفع و ترتفع إلى أن تحظى بنفحات الملوك و السلاطين . و تهبط ثم تهبط إلى أن تنزل إلى مقام موظف صغير او لكل من « يشلنه » بالشلن

يستطيع البرنس ـ بغير مبالغة ـ أن ينظم فى اليوم خمسين قصيدة ، في الليلة الكبيرة لمولد الامام الحنفي أو الامام الشافعى ينتحى البرنس ناحية و يبدأ فى نظم قصائده . ولا تمضى غير ساعة أو ساعتين حتى يكون قد أعد عشرين قصيدة يمتدح بها الاعيان النازحين من البلاد و التجار القائمين باحياء المولد ، ثم يعود آخر الليل « يحصل » ثمن هذه القصائد الحسان . وهو لجميع أفراح العاصمة الشاعر الذى لا يشق له غبار


الحاجه زهره

الحاجه زهره

« الحاجة زهره وليه طيبه خالص !! ونادر وجود خاطبه أمينه زيها !!!! »

بهذه الكلمات وما يشبهها تتحدث الاسر عن « الحاجه زهره » وبهذه السمعة الطيبة والثقة الغالية تتمتع فى البيوت الكبيرة، وتجمع منها الاموال والهدايا، وهى لذلك موضع سر الفتيات ونجواهن، وعطف الامهات ورعايتهن.

تزعم فيما تزعم أنها أدت فريضة الحج سبع مرات، ولا تحلو لها الصلاة إلا فى الاوقات التى تكون فيها ببيوت الاسر « أثناء تأدية وظيفتها » فهى قبل أن تبدأ الحديث عن « القمورة » بنت الباشا، وقبل أن تتحدث عن « صلاة النبى عليه سرى بك اللى متعلم فى بلاد بره ومستخدم فى اسمها إيه دى ؟ اللى يقولوا عليها وزارة الاشغال » قبل أن تتحدث عن هذا كله لابد لها من أن تطلب « سجادة الصلا يا صبايا ربنا يوعدكم بابن الحلال » وتقوم الى سجادة الصلاة فتصلى ماتشاء ثم تختم الصلاة بالادعية والأوراد وتكون « اللقمة البسيطة » فى انتظارها فتميل اليها « على قد نفسها » ثم يبدأ الحديث.

— يعنى ياخالتى الحاجة رحتى وقلت عدولى بقى لك شهر وزيادة محدش شافك

— والله يا بنتي الدنيا أعذار ربنا يهنيك كنت مشغولة فى جوازة ابن فوزى باشا وبعدها كان طالنى برد بعيد عنك وعن السامعين بفضلت راقده لحد أول امبارح ،لولا مرسال بيت محمد بك ما كنت خرجت ؛ الواحده منا حتعمل إيه يا ستى ، بس ربنا يوفق القلوب !!

— وفى بيت محمد بك برده لسه مصممين على المهر اللى قالوا عليه مفيش زيادة ؟

— يا ستى المهر ده مش مهم ، صلاة النبي عليه ربنا يحرسه لشبابه !! مال وعز وشباب صلاة النبي أحسن !! ربنا يجعله من قسمتك ومن نصيبك

— لكن يا خالتى انت عارفه غلو الجهاز الأيام دى ، وبابا زى ما انتشايفه معذور اليومين دول ؛ والبنك العقارى طالب منه القسط .

— ربنا يفرجها يا بنتى القرشين اللى عندى تخدوهم لحد ما يحلها الكريم

وهنا لابد من أن يعرف القارىء أن « الحاجه زهره» عبارة عن خاطبة و « بنك تسليف » فى وقت واحد ، ذلك لأنها تدخر المال لمثل هذه الظروف ،وتقدمه لمن تشاء من « زبائنها » نظير « فائدة بسيطة » وهى تكتسب من ذلك أضعاف ما تكتسبه من صناعتها الاصلية وليس فى امكان أحد أن يماطلها فى رد هذه المبالغ بفضل ما وهبها الله من لسان طويل وصبر وجلد على « المطالبة » فى الصباح والمساء ، ولدينها عند الاسر حرمة خاصة

ومنزلة مقدمة على أقساط البنوك والعوائد والاموال الاميرية

* * *

ولقد ذاع صيت « الحاجه زهره » فى البيوت وطبقت شهرتها الآفاق ، لذلك رأيت أن أتلطف فى الحديث معها وأن أصل إلى نفسها بأسلوب يناسبها ،كى أستل منها ما أريده،فانتهزت فرصة وجودها فى بيت تجمعنى به صلة نسب وقرابة ، وتعابطت حتى أنست إلى حديثى ورحت أسألها فى سذاجة وهى تجيبنى مرة و « تزوغ » من الاجابة مرات ، ولقد كانت فى حديثها السابق مع إحدى قريباتي تحاول اخفات صوتها حتى يكون الحديث بينهما سراً ، وكنت بالقرب منهما أتشاغل عنهما بقراءة صحيفة دون أن أسترعى انتباههما ، ثم دنوت منها مسلما ،وقدمت لها سيجارة وقلت:

— يعنى يا حاجه مش حتهدينى بقى بهديه كويسة كده تكون بنت حلال

— ياسيدى ربنا يطول عمرك ،أنا خدامتك ، وياما قلت للمرحومة نينتك تفرح بك ،لكن حنعمل إيه يا سيدى القسمه كده الله يرحمها ويجعل مقرها الجنة

— تعيشى يا حاجه كلنا لها ، وان كنت عاوزه تهدينى بعروسه بحق وحقيق اليومين دول أشوف كيفك وأديك اللى تطلبيه

— لكن يا سيدى الست عمتك بتقول انك مصمم على عدم الجواز ،وبتقول ان السبب فى كده كتر قرايتك فى الكتب بتاعت الخواجات ، قطيعه ياسيدى،تقطع الخواجات واللى بيقولوه ، هو

• فيه أحسن من الجواز على سنة الله ورسوله؟
— لأ ، خلاص يا حاجة دا كان زمان ؛ لكن اليومين دول عدلت عن فكرى وصممت على الجواز
— أهو كده امال ايه ، دى البلد الأيام دى مليانه عرايس جمال ومال بس ربنا يجعل لك نصيب
— شوفى يا حاجة أنا يهمنى المال قبل كل شيء ، علشان أنا راجل مش غنى وعاوز واحدة على الأقل تقدر تساعدني على المعيشة وخصوصاً بعد ما نصبح عيله ويبقى عندنا أولاد
— فيه يا سيدى طلبك وزيادة على كده الجمال كمان
— طيب والاخلاق بقى ياحاجه ؟
— الاخلاق يا سيدى فيه من كده وفيه من كده
— كده إيه بقى وكده إيه ؟!!
ـ يعنى فيه من اللى بيقولوا انك تحبهم ، اللى يحبم يروحوا السيما ويتفسحوا ، وفيه من اللى ميعرفوش طريق الباب ، وانت وكيفك .
ـ لأ أنا احب اللى يروحو السيما ويتفسحوا علشان دول لازم يكونوا ناس فاهمين الدنيا إيه ومتعلمين ، لكن مش أغنيا ؟
ـ أمال !! دول أغنيا قوى ، طيب دول أقرب الايام من مدة شهر واحد شريين عزبة فى أبو المطامير « جنة رضوان » والبنت متعلمة في مدارس الافرنج وزى السنايير اللى فى صندوق الدنيا
ـ عال قوى ، بس مسألة المهر إيه رأيك فيها ؟
ـ المهر ده ميهمش ، دول ناس أغنيا ، كفاية الشبكة والمسألة

تكون كده فى السر ولا حد يعرف ان كنت دفعت والا مدفعتش .

ـ ودا ممكن ؟

ـ مش ممكن ليه بس ركك على « الحلاوة »

ـ دى مضمونة ياحاجة متفتكريش

وخرجت « الحاجه » بعد أن وعدت أن تعود بالخبر اليقين و بعد أن تخاطب أم العروسه فى هذا الشأن لانها هى التى تستطيع التأثير على أبيها

* * *

فى غرفتين صغيرتين فى الدور الأعلى من منزل قديم فى احدى الحوارى المتفرعة من شارع محمد على تسكن الحاجة زهرة ، وهى لا تسكن فى بيت مں البيوت التى ابتنتها لأنها تحب الاقتصاد ولا تريد أن تظهر أمام الناس بالغنى حتى تظل تستدر عطفهم، وتنال رفدهم ، ولقد كانت أول حياتها خادمة في بيت من البيوت الكبيرة القديمة ، واستطاعت أن تتصل بكثير من الاسر ، وأن تحوز ثقتها في زمن وجيز لما عرف عنها من الصلاح والتقوى و... وال.. والصدق

ولها على البيوت « عادة » تتناولها فى كل زيارة، سواء أ كانت تزور البيت فى مأمورية تختص بصناعتها ام لا ، وتحمل دائما « رزمة » صور مع عناوين ومعلومات مكتوبة عن الشبان والفتيات بخطوط مختلفة، ولهجات متباينة : تلمح فى بعضها الصدق، ويخامرك الشك فى صحة الكثير منها ! ! !

* * *

يعتمد كثير من شباننا وفتياتنا على ما تدلى به الخاطبة من المعلومات ،وهى فى الحقيقـــة لا تدلى لهم الا بالمعلومات المزورة والاخبار الملفقة ؛ بل هى فى كثير من الاحيان تنصب شراكها للشاب وللفتاة على حد سواء ،فتخدع هذا من ناحية ؛ وتخدع هذه من ناحية أخرى ، وتظل تعمل حيلها وصنوف تضليلها،حتى تجمع بينهما بزواج لا يدوم أكثر من شهور ، ثم تشهد المحاكم أبشع صور لشقاء العائلات ، وتهدم صرح سعادتها ، وتكون الخاطبة فى الغالب هى أصل هذا الشقاء ، ومصدر ذلك البلاء ، بما جرته على الشاب والفتاة بسبب تحايلها على الجمع بينهما بوسائل تغريرها دون أن يجمعهما تكافؤ وتجانس فى الاخلاق والطباع


ستيته الشحاذه

ستيته الشحاذه ! !

شخصية حقيقية

غرائب هذه الدنيا لا تقف عند حد ، وعجائبها لا يحيط بها وصف وكلما جال المرء في أنحاء هـذا الوجود تكشفت له صنوف من الحوادث الواقعه هي أغرب مما يتصور الشعراء

في شارع المشهد الحسيني ، حيث ينتهى بك المسير الى قباء معقود تجتازه الى « البـاب الأخضر » أحد أبواب المسجد الحسيني ، يرى السائر هناك فتاة في الخامسة والعشرين من عمرها ، شوهاء الوجه ، نحيلة الجسم ، رثة الثياب ، تظهر على عنقها وصدرها آثار الحريق ، تجلس بجانب حائط المسجد حينا ، وفى بعض المنعطفات حينا آخر ، وهى فى الحالين لا تبدو إلا واجمة مذهوبة العقل ذاهلة عن الناس لا تنظر الى أحد ولا يسترعى انتباهها شيء .

مررت بهذا الحي منذ أيام فاستوقفني منظر هذه الفتاة ، ووقفت أسأل صديقا لى عن شأن هذه البائسة ، أمسلوبة العقل هى ؟ وإلا فما الذى يبـدو على وجهها من وجوم وذهول ؟ وكان صديقي من سكان هذه الجهة فقال هـذه « ستيتة الشحاذه » التى أحبت فوزى وهامت به وكان بها بعض الجمال قبل ان تجن وتحرق نفسها ، لم يكد ينطق بهذه الكلمات حتى تولتنى الدهشة ، وأخذني العجب ، وحسبت أنه هو الذى ذهب عقله ، وجن جنونه ، من هو فوزى ، وما شأنه ـ

وكيف أحبته ، وكيف يتسع قلب هؤلاء للحب والهيام ؟!..

قال صاحبي :

كانت هذه الفتاة في العشرين من عمرها ، وكانت على جانب قليل من الجمال ، واتخذت « الشحاذة » حرفة تقتات منها ، وتجمع المال فتختزنه في باطن الارض ، وظلت كذلك منذ درجت من الطفولة الى الشباب ، واتخذت هذا القباء مأوى تأوى اليه اذا جن الليل وخلت الشوارع من الناس

ويشاء الله ان يتسلل سلطان الحب من القصور ومباهج الحياة ونورها فيدب الى هذا القباء المظلم الموحش ، ويظل ينفذ الى قلب « ستيته » رويداً رويداً حتى يخفق ويشتد خفوقه ، ذلك لأنها خرجت ذات يوم تطوف الشوارع والدروب والحارات تستجدى الناس ، وتطلب رحمتهم كعادتها كل يوم ، ومرت في هذا اليوم بشارع السكة الجديدة ، فتقدمت الى شاب أسمر اللون ، مفتول العضلات ، معتدل القامة ، جميل العينين ، فمدت اليه يدها بالسؤال !! لكنها لم تكد تنظر الى وجهه ثم تلقي عليه النظرة الثانيه والثالثه حتى قبضت يدها وأحست في باطن قلبها بميل يدفعها الى تكرار النظر الى وجه هذا الشاب ، فانتحت ناحية بعيدة عنه وظلت تنظر اليه من بعيد دون أن يشعر بوجودها أو يحس بمقامها !!

وهذا المعشوق من سكان « حي الحسين » وهو معروف في هذا الحي بالجرأة والاقدام والشجاعة ، يلتف حوله « الفتوات » فيغشى معهم الملاهي والقهاوى ويطوف بهم الشوارع ليلا في طريقهم الى جبل المقطم حيث يقضون به بعض وقتهم كما يفعل

« الصبوات والفتوات » فاذا رأيت فوزى فى ضحوة النهار يجلس بمشرب قهوة بلدية فى خان الخليلى رأيت بالقرب منه « ستيتة الشحاذه » ترنو اليه بعين دامعة ، ونفس موجعة ، لكنها لاتقوى على هذا الكتمان طول الأبد ،فلا بد من أن تبوح لمعشوقها ومالك هواها بما يخفق به قلبها ويضطرب له فؤادها!!!

* * *

فى ليلة من ليالى الصيف الحالكة الظلام كان المار من تحت القباء المعقود بمدخل « الباب الاخضر » يتعثر فى طريقه بجثث آدمية ،تدب فى الظلام الى مأواها الموحش ، فلا يسمع الا همهمة وأصوات مضطربة خافته ، اولئك هم جماعة الشحاذين والشحاذات، يدبون الى هذا المأوى المنحدر المظلم وبينهم ستيتة العاشقه فاذا انقضى الشطر الأول من الليل ومررت بهذا المنعطف ، سمعت حديثاً وسمراً مختلف اللهجات متباين العبارات ، وسمعت ستيته تختص « الست خضره » بسرها وهواها وترجوها ان تذهب فى الصباح الى فوزى لتعرض عليه ان يقبلها زوجة مقابل اربعمائة جنيه تدفعها له من ادخارها فى أيام طفولتها وشبابها ، وتذهب « الست خضره » وهى امرأة عجوز متهدمة تبلغ من العمر سبعين عاما ، يعتقد فيها بعض الناس الصلاح والتقوى « والبركه » ـ تجر فى قدميها الى حيث يجلس فوزى فتدنو منه ثم تطلب اليه ان يقوم معها الى جهة بعيدة عن الناس لتكلمه فى مسألة « على سنة الله ورسوله » فيدهش الفتى بادىء الامر، ثم يذهب معها الى ناحية بعيدة عن الناس ، فتكاشفه بالامر على جليته ، فتبرق عيناه لا لحب الفتاة ولا

لقلبها الخافق بل للجنيهات الاربعمائه ، ويعدها ان يفكر فى الامر. ، ويشاور نفسه » ثم تعود الى ستيته فتبلغها الخبر وتطمنها على نوال بغيتهـا !!!

* * *

ظل فوزى مشغول البال بالحصول على هـذا المبلغ الضخم ، وراح كل يوم يمر بالباب الأخضر يتفقـد ستيته بين الشحاذات ، فاذا رآها ، حول عنها طرفه ، وتظاهر بعدم اكتراثه بها ، وتراه ستيته فيلتهب قلبهـا وتحس كأن نارا تشتعل بين جوانحها . وتمر الايام والشهور وفوزى يفكر فى الزواج من شحاذة بائسة مقـابل مبلغ من المال !!! ويرهب الاقدام على ذلك الامر خشية انتقاد الناس وأقاويلهم ؛ لكنه لايعدم وسيلة من وسائل الاغراء يحصل بهـا على هذا المبلغ قبل ان يرتبط معها بعقد زواج ، وإذن فليقابل ستيته . وليظهر لها من الحب بمقدار ماتظهر له ، ثم يعرض عليها ان تكون فى بيته ، قبل الزواج بعيدة عن وسط الشحاذات وعيشهن الأنـكد ، وتقبل الفتاة فرحة على بيته . ويظل يعبث بعقلها ويستلب لبها حتى ترضخ لمشيئته فتقدم له المبلغ ليفتح به قهوة تدر عليهما الربح الوفير؟!!

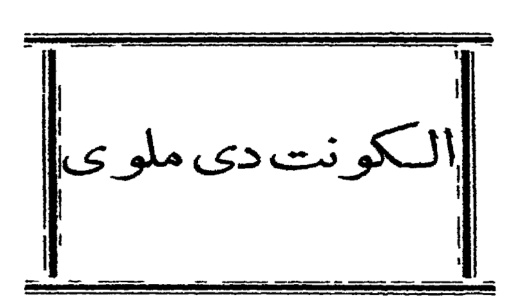
* * *

بعد ان غابت الفتـاة عن « الباب الأخضر » أشهرا وذاعت قصتها بين الناس وظن الـكثير منهم انها أصبحت زوجة لفوزى ، عادت الى الارصفة وتحت القباء فى حالة ذهول ونحول . ثم لوحظ انها خرجت فجأة من هـــذا الذهول الى الاضطراب والهذيان ، وظلت تطوف الشوارع ، ومشارب القهوات ، صارخة جازعة تنطق

بكلمات متقطعة لايتصل أولها بآخرها ، وأخيراً أطبق جنونها فاصبحت خطرة مخيفه ،تكثرمن ذكر فوزى هائجةعنيفةالحركات كثيرة المخاطرات ، وهم بعض الناس ان يحتال لادخالها مستشفي الامراض العقلية لولا انها هدأت وعادت الى ذهولها الاول

وفى مساء يوم من العام الماضى فزع أهل الحى لصراخ شديد يدوى في سكون الليل ورهبته ، وهرع الناس الى مبعث الصوت فاذا ستيتة المسكينه قد أشعلت النار فى نفسها وهى تحترق وتدوى صرخاتها فى الفضاء ، ثم ينقذها القدر وهى فى الرمق الاخير ،وهاهى لا تزال محترقة الجسم والفؤاد يبعث منظرها الشفقة فى أقسى القلوب وأغلظ الاكباد !!!





الكونت دى ملوى

الكونت دي ملوى

منذ خمسة وعشرين عاما أو تزيد؛ كان الداخل الى البنك الزراعى المصرى يلمح بين موظفيه فتى فى ميعة الصبا وريعان الشباب، تلوح عليه أمارات الجد والنشاط والذكاء، يقوم بما يوكل اليه من الاعمال فى دقة ونزاهة واستقامة، ذلك هو الشاب المصرى «حسين، ش. افندى» وما زال يجد ويعمل حتى اكتسب رضاء رؤسائه وثقتهم؛ فوكلوا اليه بمأمورية مصلحية وأسلموا اليه مبلغ الفي جنيه لتنفيذ هذه المأمورية، لكنه لم يكن يمثل دور المجد العامل النشيط إلا لمثل هذه الساعة فاختلس المبلغ وراح يخلق بذكائه النادر شتى المشاكل فى سبيل الدفاع عن نفسه حين افتضح أمره وذاع سره، ولما لم يجد من صنوف الحيل وضروب المماطلة ما يستر به أمر اختلاسه، فر الى فرنسا قبل ان يصل التحقيق القضائي الى أدانته.

* * *

فاذا كنت بباريس وطفت بحى «مونمارتر» وجدت الشاب المصرى يعيش فى وسط طائفة من الرعاع والاوباش، ينثر الاموال ذات اليمين وذات الشمال؛ ويؤلف من رجاله عصابة قويه من مختلف الاجناس المقيمين فى ذلك الحى ما بين صيني أفاق، وياباني محتال، ويوناني مارق، وصعيدى مصرى نزح الى هذه البلاد عاملا فى إحدى البواخر أو خادما لبعض ذوى اليسار ثم استوطن باريس

وتزوج من إحدى نسائها وعاش بحى « مونمارتر » ورزق أولادا وكسب مالا ، من هذه الاجناس المختلفة المتباينة ألف شابنا المصرى عصابة عملها السرقة والسلب والنهب والاحتيال ، ثم تزوج هناك وأقام عشرين عاما ، لعب فى خلالها أدواراً هامة ، فاتصل بقلم المخابرات السريه فى فرنسا وابتز منه أموالا طائلة !!!

وإذ ذاك لم يعد الشاب المصرى « حسين افندى ش ... » بل أصبح « الدكتور حسين ش ... بك كونت دى ملوى » ، فاذا غشيت أوساط باريس الارستقراطية وطفت بدوائرها التجارية والقضائية لقيت فتى رائع الشباب ، طلق المحيا ، قوى العارضة ، أنيق الثياب ، يروح ويغدو فى هذه الاوساط ، بين الثقة والاعجاب ، ثم ترى موظفا كبيراً من موظفى قلم المخابرات السريه الالمانية يتصل بهذا الشاب « ويرجوه » أن يتفضل ويتنازل بمساعدته فى شؤون المخابرات السرية الالمانية الهامة ، ويقبل صاحبنا هذه المهمة فيلعب فيها دوراً خطيراً يدل على جرأة وهمة وذكاء وإقدام لم ير قلم المخابرات الالمانية أروع منها ولا أكثر توفيقا ؛ وترى بعد ذلك الدوائر التجارية الفرنسية تعرض على جناب « الكونت » ان يمنحها بعض وقته الثمين لتستعين به على قضاء بعض المصالح الهامة التى لاترى غيره أهلا لها ، ويتنازل صاحبنا « أيضا » ويقبل القيام بهذه الاعمال الجديدة مرضاة للوطن الذى يعيش فيه والذى أصبح يعد نفسه واحدا من ابنائه . وهكذا ظل صاحبنا فى كل أدواره موضع الثقة والاعجاب والتقدير ولكن الدنيا الغادرة لاتظل باسمة لأهلها أبدا ولا تبقى لبنيها على حال . فادارة الأمن فى باريس قد أصبحت

تبث حوله العيون والارصاد، والدوائر التجارية الفرنسيه لم تعد تنظر اليه بعين الاطمئنان والثقة كما كانت تنظر اليه من قبل، ولابد من إجراء تحقيقات قضائية دقيقة مع هذا الرجل الغريب، ويجرى التحقيق بعد التحقيق لكن الأدلة لاتكفى لاقامة الدعوى ضده فما العمل؟ اذ ذاك ظهر ان للفتى «زوجات» وانهن جميعاً كن فريسة لدهائه واحتياله فلا بد إذن من أن يقدمنه للقضاء العادل ويصدر القضاء فيه حكمه. لكن أين هو؟ وفى أى حى يقيم؟ بل فى أى دولة يقيم؟؟

يهبط الفتى الى «روما» شابا وجيها من ذوى اليسار وأحد أبناء البيوتات المصريه العريقة، وتتصل بدوائرها التجارية الكبيرة وبرجال الأمن فينال من ثقتها أكثر مما نال فى باريس، ويعيش فى أحيائها الراقية عيشة «الكونتات» الكبار. وكانت الحرب قد وضعت أوزارها، وهدأ العالم هدوءا يتطلب من مثل صاحبنا ان يعيش فى هدوء وسلام، وأن يعود الى وطنه الاصلى فى دعة واطمئنان. فماذا يفعل؟ لابد ان ينال «شهادة الدكتوراه» فى القانون من جامعة «روما»، ولابد ان يبذل المساعى الكبار ليعود الى وطنه الاصلى ويسمح له الاقامة فيه بعد حادثة اختلاسه القديمة من البنك الزراعى المصرى. أما السماح له بالعودة فقد يجد اليه منفذا، وأما حصوله على شهادة الدكتوراه فماذا هو صانع من أجله؟ تلك هى المشكلة!!! فهو لأجل ان ينال الدكتوراه

لابد ان يكون قد نالقبلها « الليسانس» فهل سيعجز صاحبنا الداهية عن ان يدبر لهذا المطلب حلا موفقاً ؟ سنرى !!

* * *

نحن الآن فى القنصلية المصرية بروما حيث نجد « الكونته دى ملوى » يتواضع فيزور « موظفا صغيراً من موظفى القنصلية المصرية ، فتعقد بينهماصلة ود وصداقة يعقبهادعوات متكررة للغداء والعشاء والسهر فىدور اللهو الكبيرة، ويبهر الموظف الصغيرهذا المظهر الفخم من صاحبنا فيبيت طول ليله يحلم بهـــذه الصداقة الجديدة التى كانت سببا فىرغده وهنائه ولهوه . ثم يعقب هـذا أن يزوره « الكونت » المصرى فيشرح له مقدار ماعاني من اضطهاد السلطات الفرنسية له مدة اقامته فىباريس ويذكر بتوجع وحسرة ضياع شهادة « الليسانس » التى حصل عليهـا منفرنسا، وكيف ان الحكومة الفرنسية أصبحت لاترضى ان تكتب له بدلهـا ليتمكن من دخول جامعـة روما للحصول على الدكتوراه ، وحين يقرأ صاحبنا على وجه صديقهالموظف الصغيرعلائم التأثير والانفعال يدب الى نفسه بحكم القول والقصص ثم يطلب منـه مساعدة « بسيطة !! » هى ان يكتب الىجامعة روماخطابا بتوقيع القنصل وبختم القنصلية يقول فيه مامعناه « ان الشاب المصرى حسين ش .. قد طلب منا أن نخابر الحكومة الفرنسية بشأن شهادة الليسانس التى حصل عليها من فرنسا وقد أرسلنا فعلاالى الحكومةالفرنسية نسألها هل حصل الطالب المصرى حسين ش .. على شهادةالليسانس حقاً وهل يمكنه أن يحصل على صورة منهـا اذا كانت صورتها

الاصلية قد فقدت منه ؟ فاجابتنا الحكومة الفرنسية أن الشاب المذكور حصل حقيقة على شهادة الليسانس فى القانون وانه غير ممكن ان يحصل على صورة منها ، ويمكنكم ان تعتبروا هذا الاقرار منا بمثابة الشهادة الاصلية اذا كان لا بد من معرفة الحقيقة »

وضع صاحبنا مشروع هذا الخطاب أمام صديقه الموظف وتوسل اليه ان ينقذ مستقبله بهذه المساعدة ، واذا كانت المشكلة القائمة أمامهما هى تقليد توقيع القنصل. فانه يستطيع بعد قليل من المران أن يحكم تقليد توقيعه ،وتم الاتفاق على هذا. و كتب الخطاب موقعاً عليه بتوقيع القنصل المزور ، وختم بخاتم القنصلية.وأرسل الى جامعة روما فلم يسعها إلا قبوله واعتباره بمثابة شهادة الليسانس لانه وارد اليها من جهة رسمية معترف بها

وتقدم الشاب الى جامعة روما ليحصل على شهادة الدكتوراه فوضع له بعض المتمرنين « رسالة » فى موضوع الدكتوراه . وظل يلقنه ويدربه وكان كما أسلفنا ذكيا نشطا متمرنا على كثير من المسائل القانونية فاستطاع أن ينال الدكتوراه !!؛ ثم عاد الى مصر بعد أن بذل المساعى الكبيرة ليسمح له بالعودة الى ارض الوطن

ولم تكد تطأ قدما حسين ش . . أرض مصر حتى ادعى أنه حاصل على شهادتي دكتور فى القوانين من جامعتى باريس وروما وقدم طلبا لقيد اسمه بين محامى المحاكم المختلطة . وقبل طلبه واتخذ مكتبا فخما به أفخر الاثاث وعدد عديد من الخدم المصريين والأجانب فى شارع المغربى . وسكن فى عزبة الزيتون ،وأكثر من السيارات يبدل كل يوم واحدة بأخرى وخلق حوله جوا من

الارستقراطية والوجاهة واحتاط به السماسرة يتصيدون له الموكلين وأرباب الحاجات واتسعت أعماله اتساعا كبيرا

ولكن هذه الوجاهة لم تدم طويلا ، حيث انكشف أمره وافتضح سره وقال القضاء فيه كلمته فعرف الناس حقيقته



فتواية سوق الخضار

« فتواية » سوق الخضار !!!

امرأة تقهر الرجال

أما ان يجوب الانسان بعض الاحياء الوطنية فيرى رجلا من « أولاد البلد » قد نزعت نفسه الى خوض المعارك في الموالد والافراح ، واشتهر بين أهل الحي بقوة جسمه وجرأة قلبه ، وظل يقتحم المخاطر والمهالك ، فلا يرهب العصى الغليظة تهوى على رأسه وجسمه ، ولا يفزع من المدى يطعن بها فى مقاتله ، ولا يزال يغامر بحياته فى ضروب « الفتونة » حتى يدين له « صبوات » هذا الحى بالطاعة والامتثال ، وينصبونه عليهم « فتوة » يحمي ذمارهم ، ويحمل لواءهم ، ويرد عنهم عادية المعتدين ، فيأتمرون بأمره ، ويخضعون لاشارته . نقول أما ان يرى الانسان رجلا هذه صفاته وتلك مغامراته فذلك أمر جائز محتمل الوقوع .

وأما ان يسمع الناس عن « امرأة » تقهر الرجال ، وتجبي منهم الاموال ، وتخضع بقوة عضلاتها ، وشدة بأسها « أحسن شنب في الخط » وتعرف كيف يستحسن « ضرب الروسيه » فى بعض المعارك ، وكيف يكتفى فى بعضها بـ « شك مقلب » فذلك هو الامر الذى يثير الدهشة ويدعو الى الاستغراب

وليس هذا القول حديث خرافة ، أو خيال متخيل ، أو قصة روائي ، لكنه الحقيقة الواقعة التى يستطيع كل إنسان أن يراها

متى شاء . في سوق الخضار وحى المناصرة ، يرى السائر هناك امرأة سمراء ، غليظة الجسم ، واسعة العينين ، مفتولة العضلات ، قصيرة القامة ، كبيرة الرأس ، شعثاء الوجه ، مكفهرة الطلعة . تروح وتغدو في الشوارع والحارات ، مرهوبة الجانب ، مهيبه الخطوات ، تشير بالسلام ذات اليمين ، وذات الشمال ، في تؤدة ووقار ، ككل ذى جانب مرهوب وزعامة مرموقة . فاذا لقيها واحد من « الجدعان ولاد الحتة » رأيتها تقبل عليه تتهادى ككسوة المحمل فتبتدره بصوتها الأجش مسلمة ثم ترفع يدها الغليظة فتضرب بها كفه ضربة قويه وتهزه هزاً عنيفا ، وتلك هى تحية الفتوات مضافا اليها لم « حبا ياصبوه » و « ازيك ياجدع فينك ياواد من زمان ماحدش شافك » ويحيها هو بما يليق بمقامها السامى و « جدعنتها » المعترف بها من الجميع ؟!

هذه هى زكية .. « فتواية » سوق الخضار وحى المناصره على « سن ورمح » ليس فى أهل الحى من ينكر خطرها ، أو يجهل قدرها فهى المرأة الشديدة البأس القوية المراس ، السليطة ، الجبارة العاتية التى لايقوى رجل – مهما بلغ من القوة والبسالة – ان يقف فى سبيلها ، أو يعترض أوامرها . فالعربجية والبياعون على اختلاف طبقاتهم لابد ان يقدم لها كل منهم « ضريبة » معلومة يدفعها صاغرا وإلا فالويل له والهلاك ينتظره « وإيه يعنى ياواد انت وحياة دين النبي محمد ان ما كنت حندفع ورجلك على رقبتك اللى عمرك زقزق » وإذ ذاك لابد من الدفع والخضوع « بس ياست زكيه السوق نايم ولا فيش شغل اعملى معروف وطولى بالك علينا شوية » والامر

لله من قبل ومن بعد . فمن شاء ان يستغني عن أسنانه . ومن أراد أن يكتفي بعين واحده بدل عينين، وسبعة أصابع بدل عشرة ، ونصف رأس بدل رأس كاملة فليقف في سبيلها وليعص أمرها وليعد بعد ذلك الى بيته ناقصاً عضوين أو ثلاثة من أعضائه

لقيتها ! ! وكان يوما من أدق أيامى ، وكان صديقي الدكتور الذى عرفها فى السجن واسطة التعارف بيننا ، وانزويت في قهوة بلدية أنتظر قدومها فلم تحضر ، وسألت صاحب القهوة عن سبب تأخرها فأجابنى « بانها راحت القسم علشان خناقة امبارح » فقلت له « وإيه خناقة امبارح دى كان يامعلم » ، فقال « لا مافيش دى خناقة بسيطة امبارح مع عسكرى النقطة كانت ضربته روسيتين !!»

هاهى قادمة تتهادى « يشير صاحب القهوة الى مقدمها »

ـ أهلا وسهلا حبا ياأمير لامؤاخذه كنت فى القسم وتأخرت عليك شوية .

ـــ أهلا بك ياست زكية وازيك وسلامات

ـ ربنا يطول عمرك ، قل لى ياخويا إيه حكاية الجرنان دى اللى انتو عايزينها منى .

ـــ مفيش حاجة ياستى مسألة بسيطة بس احنا عاوزين ناخد صورتك علشان ننشرها للناس يشوفوها ونكتب عنك انك جدعه ولحدش يقدر يدوس لك على طرف

ـــ معلوم (بتضخيم اللام) مين يقدر هنا يدوس لى على طرف والنبى كانت عنيه دى أطلعها على صوابعى .

وعندئذ رأيت المسافة بين أصابعها وعينى ليست بعيدة . وانني

اذا لم استعمل معها كل ماأحفظ من العبارات البلدية الرقيقة، فسوف أعود انا الآخر بعين واحدة ورأس مهشمة. فابتسمت وقلت لها : أهي كده الجدعنه وأهو ده اللى احنا حنقوله عنك

— لكن ياأفندى بعدين الحكومه تقرا الكلام ده وتتغاظ بعدين تخسر لى القضايا بتاعتى.

— لأ أبدا مين يقدر يخسر لك القضايا. ومع ذلك احنا نشرنا صورة فتوة سيدنا الحسين و كتبنا عنه كتابه على الكيف

— مين ؟ فهمى الفيشاوى ؟

— أمال ؟ كتبنا عن فهمي ونشرنا صورته وطلعت حلوه جدا

ـ أيوه فهمى واد مجدع أعرفه من زمان

ـ قولى لى يا ست زكيه !! انت تعرفى طبعا ان السجن للجدعان فانت كام مرة انسجنتى

ـ متعدش، وإيه يعنى السجن. الواحده مادام حافظة مقامها وتشرب من دم اللى يقول لها بم. خلاص ميهمهاش من سجن ولا غيره، طيب أهو العرابي فتوة الحسينيه سجنوه لكن يعنى تفتكر السجن يهمه ؟

ـ السجن يهمه ازاى. أمال فتوه يعنى إيه. لكن قولى لى ياست زكيه انت اليومين دول عندك قضايا تانيه ؟

ـ لا دول قضيتين تلاته وكلها حكايات بسيطه. كنت عورت واحد عسكرى حب يعمل واد جدع رحت مخرشماه، وواد تانى عربجى عاوز يزوغ منى كده فى مسألة بينى وبينه، وآخرتها نزلتو على العربيه وسيحت دمه علشان ميعملش وياى أمور الغفله دى،

والحكاية التالتة ياسيدى والله على رأى المثل مينوب المخلص الا تقطيع هدومه ناس فى خناقة وحبيت أخلصهم بصيت لقيت فيهم واد كده مش عاوز يمتثل رحت خابطاه روسيه نزل يرف !!

وأردت ان أتلطف فى الحديث مع محدثتى الفاضلة فأطلب منها ان ترافقنى الى أقرب مصور لآخذ صورتها فقلت

ـ بس من فضلك لما أبعت الواد يجيب البدلة السوده

ومضينا الى المصور فلم يخف القمر !! فقد تلقاها هو الآخر بما يليق بمقامها من الاجلال والتعظيم ، ودار بينهما حديث طويل، دل على سابق معرفة قديمة ،ثم عادت اليه فى اليوم التالى تطلب منه بقية « النص دستة » لتزين به غرفتها كما اتفقنا . لكنها قبل ان تنصرف من عنده التفتت اليه وقالت :

ـ اسمع ياخواجه وحياة دين النبى محمد متكون الصورة اللى عملتها دى حتوديها للحكومةانت وبتوع الجرنان الا يكون آخر عمرك

وارتعدت فرائص الخراجة المسكين فأقسم لها باغلظ الايمان بالتوراة والانجيل انه لايعرف من الأمر شيئا ،وأنه يجهل حكاية الجرنال ، ولا يدرى من أمر الصورة أكثر مما يدرى عن عمله اليومى لكل أفراد الجمهور على السواء

ومررت بالمصور أتناول منه الصورة المطلوبة للجريدة فحدثنى المسكين فى وجل وفزع عما سمعه من عبارات التهديد والوعيد ، وهدأت روعه وأفهمته ألا خوف عليه ولا على سواه

ومما تلذ معرفته عن صاحبة هذا الحديث الطريف أنها تجلس أكثر يومها بمحل بائع سجاير تدخن وتطلب « التعميره الحمى »

من القهوة البلدية المجاورة للمحل ويمر بها أهل الحى فى غدوهم ورواحهم فيحيونها تحية الاكبار والاجلال، والويل والهلاك لمن تحدثه نفسه بأن يتغاضى عن مكانها، أو يغفل تقديم التحية اليها. فاذا أقبل الليل طافت بمنطقة نفوذها، وعرجت على سوق الخضار فى طريقها ثم ذهبت الى « الحارة » فجلست أمام منزلها لتمضى بقية السهرة مع جاراتها وجيرانها وجلست معهم جميعا مجلس الزعامة فلا يخالفها فيما تقول أحد ولا يعترض إرادتها معترض

(وبعد) فمعذرة الى « الجنس اللطيف » وألف معذرة !!





موت محقق

موت محقق !!

فى بلاد السودان

حدثنى صديقي الضابط قال :

لما كانت قبيلة « الدنكا » من القبائل العاتية المستهترة رأت الحكومة أن تنقل اليها مركز « مفولو » ليكون هذا المركز أداة لاخضاع هذه القبيلة وإرهابا لأهلها المعتدين بقوتهم وكثرة عددهم وفظيع مخاطراتهم . ولقد كان يحبب الى فى سن الشباب أن أركب المخاطر ، وان أزج بنفسى فى مجاهل هذه البلاد المترامية لأقف على أخلاق أهلها وعاداتهم ، فصادف هذا التفكير من الحكومة فى نفسى هوى ورغبة شديدة فى إتمامه . فألححت في سرعة التنفيذ حتى وافق المدير على ان أبدأ فى العمل فذهبت ومعى ١٥ عسكريا وصف ضابط لاختيار موقع يصلح لبناء المركز الحديد ، وابتنيت هناك « عشة » لمبيتى وأخرى لعساكرى ، وظللنا نجوس خلال الارض حتى اهتدينا الى مكان مرتفع يصلح لبناية المركز لكيلا تغمره الامطار أثناء الخريف (وفصول السنة فى هذه البلاد فصلان فقط الخريف والصيف) وكل منطقة يبدأ خريفها فى وقت مختلف عن الاخرى ، ويبدأ الخريف هناك من مايو وينتهى فى نوفمبر ، وتبعد هذه البلاد عن خط الاستواء بخمس درجات . لكن هذا المكان المرتفع الذى اهتدينا اليه كان أشبه الاشياء بالغابة الكثيفة فلم أجد

مندوحة من قطع أشجاره حتى أتمكن من معرفة طبيعة أرضه وصلاحيتها للبناء.

بدأت عملي وساعدني على ذلك أفراد مخلصون من قبيلة «الجود» وهى قبيلة مطيعة مستسلمة ، ولقد كان الدافع الحقيقي لهؤلاء على مساعدتى هو خوفهم من قبيلة «الدنكا»

وكان لابد ان أستحضر أخشابا من أحجام مختلفة وأشكال متنوعة، ولا أستطيع ان أحصل على هذه الاخشاب الا اذا ساعدني أهل هذه البلاد على قطعها وحملها نظير أجر معين بواسطة المديرية حيث جعلت لكل قطعة ثمناً، كذلك كان يجب ان أحصل على القش. والقش هناك بكاد يكون كالغاب سمكا وارتفاعا، لغزارة الامطار وقوة الارض فجعلت لكل حزمة من هذا القش ثمناً معينا، وبعثت في طلب المشايخ لأتفق معهم على تقديم الاخشاب والقش. ويغدر هؤلاء غالباً برسل الحكومة فيقتلونهم وينكلون بهم. لذلك أرسلت لكل شيخ قبيلة عسكريين يذهب أحدهما بالرسالة ويقف الثاني فى جهة قريبة منه حتى اذا أصيب الأول بمكروه عاد الثاني مسرعا ليخبرنى بالخبر. وبالاختصار حضر مشايخ القبائل. لكنهم حضروا والشرر يتطاير من عيونهم. والغدر يتمثل فى وجوههم. حضر هؤلاء الجبابرة العتاة وقد أثار غضبهم فكرة بناء المركز بالقرب من قبائلهم فأخذوا يخاطبوننى بلهجة البغض والازدراء وعدم المبالاة. قال لى بعضهم:

— لماذا جئتم الى هنا ؟ هل اذا جاء بلدكم أحد بدون رغبتكم ترحبون به أو تطردونه .؟

وهنا كان لابد لى من أن أستعمل الشدةوالصرامة فى مخاطبة هؤلاء العصاة . فألقيت عليهم أوامرى بشدة وغطرسة ولم أدع لواحد منهم مجالا للكلام . لكنهم على الرغم من ذلك قابلوا شدتي هذه بكل استخفاف وراحوا يضحكون ويتغامزون ، واذ ذاك فكرت فى الامر ملياً وتذكرت ان عدد عساكرى لايزيد عن الخمسة عشر وان الأسلحة التى نحملها لاتكفي لصد غارة هؤلاء المشايخ مع رجال قبائلهم الكثيرة العدد ، وصرفتهم على ان أعود لخيمتى وأطيل التفكير فى الوسيلةالتى أخضع بها هؤلاءالعصاة،لاحصل منهم على المساعدة المطلوبة لبناء المركز ،ولاتم مهمتى التى حضرت من أجلها كى لاأعود مخذولا ، ومضى على هذه الحيرة المطبقة ثلاثة أيام كاملة لم أذق فى خلالها طعم الراحة الا لماما ؛ وبينما كنت على هذه الحالة القلقة إذ حضر الى أحد المشايخ الموالين للحكومة وهو الشيخ الوحيد الذى نعتبره موالياً للحكومة من قبيلة « الدنكا » لكنه لايستطيع ان يظهر لاهل قبيلته هذه الموالاة خوفا من ان يذهب دمه هباء ، لذلك فهو يحضر الينا خفية ويقدم الينا تفاصيل أخبارهم وتنقلاتهم وأسرارهم . حضر إلى هذا الشيخ الموالى لالينقل إلى خبراً عاديا كالذى كان يحمله فى الايام السابقة . بل جاء يخبرنى . . يخبرني بماذا ؟ جاء يخبرني با ... لوت !!

« عمرك طاح !! »

ومعنى ذلك فى اصطلاح هذه القبائل انى سألقي حتفي لامحالة ، لم يتملكنى حيال هذا الخبر خوف أو وجل .لان اغتيال الارواح

فى هـذه الأنحاء لم تكن أمرا غريبا ولم أكن أنا قريب عهد بجوبه مجاهل السودان وتوطين النفس على مخاطره ومهالكه ،لكننى أحببت أن أعرف من حديث هذا الشيـخ تفصيل الخبر لاحتاط للأمر قبل وقوعه، ولأدافع عن نفسى بكل ماأوتيت من تدبير وحيلة؛ لأن المسافة بينى وبين بحر الغزال بعيدة جداً ولأن رجالى لايزيد عددهم عن الخمسة عشر ، وأخيراً عرفت من هذا الشيـخ أن القوم بيتوا امرهم على مهاجمة خيمتى وخيمة عساكرى ليلا انتقاما منـا لاننا فى نظرهم سنكون السبب فى بناء المركز الذى سيمنعهم من الاغارة على القبائل الاخرى

جلست والشيخ بجانبى ،أفكر فى طريقة أخلص بها من هـذا الموقف ،وأطلت التفكير حتى أحسست بأنى أجهدت قواى العقلية وصرت فى حاجة الى الترفيه عن نفسى قليلا ، وخطر لى فى هـذه الساعة ان أدير « الفونغراف »عل فى ألحانه مايسكن أعصابى الثائرة

لم أكد أضع الابرة على الاسطوانة ولم يكد الفونغراف يردد صوت الشيخ سلامه حجازى بقوته ووضوح نبراته حتى انتفض الشيخ بجـانبى وفغر فاه وحملق بعينيه وصاح فى ذهول ياحفيظ احفظنا ياحفيظ !!! ثم أخذ يسألنى فى لهفـة واضطراب عن سر هذا العفريت . ! !

هنا سنحت بخاطرى سانحة من الامل ، وهنا رأيت ان شبح الموت يجب ان يتوارى أمام فيض العقل الذى ألهم بهذه المعجزات العلمية الباهرة :

ـــ قلت هذا من صنع الحكومة ياشيخ .

— قال كيف ؟

— قلت هو لا يتكلم إلا بأمر الحكومة ، والحكومة موجودة فى كل مكان ، وهى ترى الناس والناس لا يرونها

بعد ذلك طار الشيخ الى قبيلته وأذاع فى قومه نبأ هذا العفريت العجيب فحضروا جميعا وهم يتهمونه فى هذا الخبر بانه « بلباص وبلباص بلغتهم معناها الكذاب

سألنى المشايخ عن الشىء الذى يتكلم فاجبتهم بما أجبت به الشيخ الاول وقلت لهم انتظروا حتى يصل الامر من الحكومة وعندئذ تسمعونه يتكلم . ودخلت خيمتى ، وانتظرت قليلا ، ثم خرجت زاعماً ان الأوامر وصلت ، وأخرجت لهم الفونغراف وأدرته فطارت ألبابهم وحملقت عيونهم وراحوا يسألون عن الشخص الصغير الجالس فى داخله ، ففككته قطعة قطعة وأخذت أريهم دقائقه ، ثم جمعته وأدرته ثانية فزاد خوفهم وارتجفت أوصالهم وبدأ الوجل يتسرب الى نفوسهم من سطوة الحكومة وقدرتها على ان تجعل الحديد يتكلم .

وانفرد واحد منهم يسألنى فى خوف ورهبة « وهل لدى الحكومة شىء يمنع الموت ؟ »

قلت له نعم : « وسيصلنى هذا الشىء بعد شهر ولا أعطيه إلا لمن يوالى الحكومة ويخضع لأوامرها » لم يكد يعم هذا الخبر بين أفراد القبائل حتى هرعوا جميعاً الى معسكرى الصغير يطلبون

المغفرة ويقدمون مانريدمن المساعدة ،وفى مدة وجيزة أتممت بناء المركز ،وخضعت القبائل، ودانت بالطاعة للحكومة،ونجوت من الموت. وكان الفضل في كل ذلك للفونغراف الذى لم أكن أفكر ساعة ان أردت الترويح عن نفسى به انه سيكون سببا في هذا الفوز المبين .



الغريق !

« عشر ساعات تتقاذفه الامواج فوق لوح من الخشب »

هذه صفحات مطوية عن أهوال الحرب الكبرى وغرق الباخرة التي كانت تقل صديقنا الدكتور احمد ضيف إلى مصر أحببنا أن نصوغ منها قصة واقعة الحوادث ، ولقد كان صديقنا يشافهنا بما شاهد من هول هذه الايام السوداء وتلك الساعات الرهيبة فندون نحن على لسانه هذا الوصف بما لم يختلف عن الواقع الذي شاهده

***

قصدت اليه في منزله بمصر الجديدة ، وكنت منه على موعد سابق ، وقد لقيني بما عرف عنه من أدب جم وتواضع كريم ، وبدأنا الحديث بادىء الأمر عن الجامعة المصرية فى عهدها السابق أيام كان يتخلف اليها مدرساً وكنا نتخلف اليها طلاباً ، وطاف بنا الحديث فى ركب الايام وموكب الاعوام فذكرنا كيف كان هو أول من نادى بفكرة وجود « أدب مصرى » تتمثل فيه حوادث هذا الجيل وعواطفه ، وكيف احتمل فى سبيل ذلك أول الأمر عنت المتزمتين العاكفين على القديم ، ثم خشيت أن يستنفد هذا الحديث وقتنا جميعاً قبل أن نبدأ الحديث فقلت : هل تتفضل فتحدثنا عن غرق الباخرة التى كانت تقلكم

إلى مصر أيام الحرب الكبرى ؟ وكيف ظللت عشر ساعات تتقاذفك أمواج البحر على لوح من الخشب كما سمعنا إذ ذاك ؟

***

لم أكد القى عليه هذا السؤال حتى بدت على وجهه انفعالات غامضة مرهوبة ، وأطرق هنيهة كأنه يستعرض فيها صور الماضى بما حوت من رعب وفزع ، ثم زفر زفرة عميقة حارة وقال :

ـ تسألنى كيف غرقت الباخرة التى كانت تقلنى إلى مصر ، وتسألنى كيف بقيت عشر ساعات أغالب الامواج المتدافعة المفزعة . ولا تسألنى كيف قضيت أيام الحرب فى باريس وكيف ظللت شهوراً طوالا أشهد فيها الموت كل يوم مرة وأستهدف لشتى المهالك والمخاطر تحت وابل من قنابل الطيارين الألمان فى جنح الليل وإغفاءة الفجر ؟ ...

قلت : إذاً أبدأ بالسؤال عن تلك الذكريات

فقال :

قضيت كل أيام الحرب فى باريس وشهدت من هول الحرب ما يكفى بعضه لاحلال الرعب والهلع فى أقسى القلوب وأغلظ الأكباد لقد ظل الطيارون الالمان يهاجمون العاصمة الفرنسية شهوراً طوالا وظلت قنابلهم وسيول نيرانهم تنصب على رءوسنا فى كل مساء وفى جوف الظلام ، وكان الفرنسيون أعدوا لهذا البلاء النازل عليهم من سماء الطيارات الألمانية عدة الدفاع ، فوضعوا مدافع خاصة حول « حزام باريس » وكان كشافوهم يستطلعون بوادر هذه الطيارات ، حتى إذا رأوا الخطر يداهم المدينة أطلقت قنابل

هذه المدافع رأسية على شكل قوس بحيث تكاد تجتمع كلها فى نقطة واحدة وهى وسط المدينة ، وبذلك يتعذر على الطائر اختراق هذه الاقواس النارية ، وربما ظلت المدينة مروعة بالهجوم و الدفاع ساعات وساعات

*

اتخذ حاكم باريس العسكرى كل الوسائل لحفظ سكان العاصمة من نكبات هذه الحرب فأمر باخلاء جميع الطبقات الارضية الواطئه « البدرونات » بحيث تكون ملجأ لسكان المنازل ساعة الخطر ، ووضعت على أبواب هذه الملاجىء أضواء زرقاء أشارة إلى أنها ملجا الخائفين ، فاذا دوى في أرجاء المدينة صوت نفير جند الحريق المنذر بقدوم طيارات الاعـــداء رأيت الفتيات فى ثياب النوم يفزعن حاملات أطفالهن مخترقات الشوارع للذهاب إلى تلك الملاجىء ، يأوين اليها ، وكنت ترى الشبان والشيوخ والعجزة والمرضى خارجين من أسرتهم فى البرد القارس المهلك يتدافعون بالمناكب إلى هذه الحجرات الضيقة الصغيرة ، ثم يتكدسون فيها بعضهم فوق بعض ، لافرق بين امرأة ورجل ، وشيخ وطفل ، وشاب ، كأنهم في يوم الفزع الاكبر يحشرون !!!

*

خرجت ذات مساء فى ليلة مقمرة أودع صديقاً كان فى زيارتي ، ورافقته إلى محطة « المترو » بميدان النجم بالقرب من قوس النصر الذى أقيم هناك لنابليون ، ورجعت إلى حجرتى

فخلعت ملابسي وتهيأت للنوم ، لم أكد أغمض جفني حتى تفزعته على صوت النفير النذير ، وعلمت ساعتئذ أن ضيفاً ثقيلا من طائرى الألمان أبى إلا أن يزور مدينتنا فى مثل هذه الساعة ، وما كدت أنتهى من التفكير فى هذا الضيف المفاجىء حتى دوته طلقات المدافع وصاح الجندى الحارس : اطفئوا الانوار المدينة فى خطر !! ولم تمض دقائق حتى كانت أضواء المدينة أطفئت جميعها . وهممت بالنزول لا لجأ إلى طابق أرضى لكننى روعته بصوت فتاة أميركية كانت تسكن بجانبي ، وكانت قد اعترتها من من الفزع نوبة عصبية ، ثم اغمى عليها ، أسرعت لاسعافها ! لكن الخطر كان يتهددني ويتهددها إذا نحن أطلنا المكث بالمنزل والمدافع تدوى طلقاتها فى الفضاء ، وقنابل الالمان تنصب على سطوح المنازل . وأخيراً رأيت أن ينجو بنفسه من يقدر على النجاة فتدثرت بثيابي وهرعت إلى الشارع فاذا هو غاص بطبقات من الناس بعضها فوق بعض . ورأيت على ضوء القمر طيارة فرنسية منسلة كالسهم فى الفضاء تقذف رصاصها كأنها نجوم ذوات أذناب ، وقصدت إلى قوس النصر التجىء إليه ، ثم نظرت إلى السماء فاذا سيل من نار حامية ينصب على المدينة كما تنصب الصواعق الماحقة ، ورأيت قنبلة تنفجر بالقرب من موقفي وتصيب شظاياها جميع من حولى ، ثم رأيت سيلا آخر من هذه النيران ينصب بجملته على ركن منزل مرتفع ، ورأيت ركن هذا المنزل يتداعى حتى يبلغ التداعى من أعلاه إلى طبقته الثالثة وفى هذا المنزل الذى رأيت ركنه يتهدم رأيت سيدة فى سرير

نومها يكاد الهلع يذهب بعقلها وروحها معا. كل ذلك وأنا فى مكاني كأن أعصابي قد حالت إلى مادة حديدية لاتتأثر ولا تنكسر

ولقد كانت هذه الليلة أشد ليالى باريس هولا ، فقد تبينا فى الصباح انسرب طيارات المساء كان يبلغ نحو الستين طيارة ، وإن قائد هذه الحملة المروعة كان أحد العمال الالمان الذين عاشوا فى باريس خمسة عشر عاما وعرفوا ـ على طول السنين ـ مواقع باريس وشوارعها وأهم مواردها الحيوية

فكرت منذ ذلك اليوم المكفهر فى أن أنجو بحياتي فأسافر إلى مدينة « بردو » لانها على الاقل تبعد عن منطقة الخطر بعض الشيء ، ومكثت بها خمسة شهور كنت فى خلالها أتوسل إلى الجامعة المصرية في أن تبقينى إلى مابعد الحرب ، لكن مديرها اذ ذاك ـ سامحة الله ـ فاجأني بتلغراف ينبئنى فيه بضرورة العودة إلى مصر فى الحال ، و الا فان الجامعة تتخلى عنى ، و تسند منصبى الى آخر

***

لما حان موعد سفرى الى مصر ركبت الباخرة الفرنسية « أوجمنا » وهى احدى بواخر شركة « المساجيرى مراتيم » ، كانت هذه الباخرة ذاهبة الى مدغشقر وعليها نحو مائتين من المدغشقريين الجرحى القافلين إلى بلادهم وبعض ضباط من الانجليز والفرنسيين فى طريقهم الى سوريا مع نسائهم وأولادهم ، ولم يكن فى الباخرة من الركاب المصريين غيرى

أقلعت الباخرة من مرسيليا مع ست بواخر أخرى واثنتان حربيتان انجليزيتان جاءتا لحراسة البواخر الاخرى. نظرت الى الباخرة أثناء نزولى اليها فاذا فى مقدمتها مدفع، وفى مؤخرتها مدفع آخر، واذا بالباخرتين الحربيتين تحوطان بنا، واذا منظر هذه البواخر جميعا يشبه تمام الشبه منظر اسطول حربى كبير. قلت فى نفسى ماأشد هول هذا المنظر الرهيب أضاقت بنا فجاج الارض بما رحبت ولم نجد غير هذه المراكب الوعزة المسالك نجوب بها البحار

لا أكذبك فقد انخلع قلبى حين وجدتنى على ظهر تلك الباخرة، وتمشت الرعدة فى كل أوصالى، حتى لحسبت نفسى فى ساحة قتال، ولا أطيل الحديث عن كل ما شعرت به خلال ذلك فقد أفرد له كتابا خاصا يكون بمثابة تذكار لهذه العهود الحافلة بشتى المخاطر والمخاوف

أقلعت بنا الباخرة ـ وان شئت فقل البواخر ـ ثم أخذت طريقها إلى شواطىء أفريقيا اجتنابا لما عسى أن تلقاه فى طريقها المعتاد من خطر الغواصات القاتلة، ومضينا سبعة أيام الى أن وصلنا الى مرفأ « بزرت » من بلاد تونس ثم تابعنا السير فى صباح اليوم الثامن

* * *

ولقد كان حالى فى هذه الايام على أسوأ ما تكون حال! ؟ ذكرت أهلى وأقاربى واصدقائى، وكنت كلما تطلعت إلى البواخر المحيطة بنا وذكرت فعل الغواصات وأهوالها، تولتنى رعدة الخوف

والوجل . ولقد أنسى كل شيء فى هذه الفاجعة إلا ذلك الموقف الذى آلم نفسى وأوجعها فلا أنساه ما حييت . ذلك أننى جلست ذات مساء بجوار سيدة فرنسية وإذ كنت أتحدث اليها وتتحدث الى ، تحولت عن حديثها ومضيت فى ذهولى واطراقى وطافت بى الذكريات فانهمرت الدموع من عينى ، كل ذلك وهى بجانبى لا أكاد أشعر اننى انصرفت عن حديثها بل لا أكاد أشعر بوجودها إلى جانبى ، اذ ذاك شعرت بيد رقيقة تهزنى هزاً رقيقا ، وتنبهت قليلا حين طرق سمعى صوتها الحنون الهادىء وهى تقول : « أنت مسلم تؤمن بالله وقضائه ، وتعلم ان كل شيء بيد الله ، فاذا قدر لك الغرق فأنت غارق لا محالة ، ألا تراني مع أولادى الصغار لاعبة لاهية ، فما لك تجزع في غير ما يدعو إلى الجزع » وفى الحق أننى خجلت من ضعضعة نفسى أمام هذه السيدة . وأخذت أتعزى بها عن مخاوفى

* * *

! حادث بسيط !! لا شيء ، لا تخافوا . باخرة واحدة أصابتها غواصة ألمانية فغرقت بجميع من فيها ، لا شيء : لا شيء حادث بسيط من غير شك !!

كانت هذه هى الكلمات الساخرة التى فاه بها فى غير اكتراث ربان باخرتنا الشجاع المستقتل ، قال لى ذلك حين دوى فى الفضاء صوت انفجار مزعج هائل وأسرعنا إلى أحزمة النجاة والصعود إلى أعلا السفينة لتسلم زوارق النجاة

* * *

وكان الجرحى المدغشقرون ينامون على ظهر السفينة .. وهرعنا نحن فى هذه الفاجعة لا نفكر فى غير النجاة ، وكنا حين صعودنا على ظهر السفينة ، ندوس بأقدامنا على الجرحى المساكين وهم يئنون ويستغيثون فلا يسمع لأنينهم أحد ، فالانوار مطفأة والظلام حالك ، واصوات الاستغاثة تنبعث من جوف الماء ، ونحن على ظهر باخرتنا وفوق أجسام هؤلاء الجرحى التعساء نستعد للنزول إلى زوارق النجاة اذا أصاب باخرتنا ما أصاب جارتها . فى هذا الهول المحيق بنا والموت يتخطف الغرقى من حولنا والجرحى المساكين يلفظون أنفاسهم الاخيرة تحت ضغط أقدامنا ، فى هذه اللحظة الهائلة الصارخة يقف « الربان » الفرنسى الباسل فيهدىء من روعنا بعبارته الساخرة بالاقدار والاخطار ، « لا شىء ، لا شىء !! باخرة واحدة غرقت بمن فيها ، واحدة فقط !! فلا تخافوا ولا تجزعوا !!!!

*

نادى منادى السلام ان عودوا الى أماكنكم فالخطر قد زال . وعدنا الى أماكننا داخل السفينة ، وهدأ روعنا قليلا وسارت السفن فى طريقها بعد أن نقص عددها واحدة ، ولا شىء فالأمر هين بسيط ـ على رأى رباننا ـ فان سرب بواخرنا لا يزال كثير العدد ، فهو يتكون الآن من خمس بواخر غير الباخرتين الحارستين ، والغواصة لعلها قنعت بهذه الفريسه ، ولعلها تدعنا فى أمن وسلام

* * *

ساعة الفزع الاكبر !! أجل كانت تلك الساعة ساعة الفزع والهلع ، وان شئت فقل ساعة الفناء والموت

كنت اذ ذاك متمنطقاً بحزام النجاة كأمرنا «الربان» ، وكنت فى شبه نوم لفرط ما نالنى من الاعيـــاء والتعب من جراء غرق الباخرة الاولى، وبينما أنا على هذه الحال بين اليقظـة والنوم اذ شعرت بهزة قوية عنيفة تكاد تقتلع السفينة من أساسها وسمعت صوت انفجار يدوى فى الفضاء فهرعت أتفزع وأتب الى اليمين والى الشمال على غير هدى ، وكانت الانوار مطفأة ، والظلام حالك ، والاجسام تتصادم وتتساقط من شدة الرعب والذهول ، هزنى رئيس الخدم بيـده وأنا اتخبط ذات اليمين وذات الشمال وصرخ فى وجهى : « قضى الأمر لقد أصيبت باخرتنا ! الى سطح السفينة ، الى زورق النجاة أيها الاحمق »

أذكر ان الساعة كانت التاسعة تماما ، وأذكر ولا أنسى أننى صعدت الى سطح السفينة فوجدتها تنحدر الى قاع البحر بسرعة مخيفة ! ورأيت أحد النوتيـة ينزل زورقا الى الماء فصحت به أهذا الزورق رقم « ٣ » هو زورقى ، ساعدنى على النزول أرجوك .

لـكننى بدل أن أضع قدمى فى الزورق ترنحت لفرط ما نالنى من الفزع ، وزلت قدمى فهويت فى قاع البحر !! يا لهول تلك اللحظة !!! هويت الى القاع فقذفتنى الامواج وظللت أتخبط هنا وهناك ، وكانت سارية السفينـة قد وقعت على رأس « الربان » بجانبى فقتلته، كنت كلما قذفتنى الامواج الى سطح الماء مرة سمعت

اصواتا مزعجة صارخة . أماه ! أبي ، ابنتى ! حبيبى جاك ! الى آخر هذه الكلمات المتقطعة التى كنت أسمعها وأنا أعالج سكرات الموت

بين هذه الاصوات الجازعة وفى تلك اللحظات الهالعة سمعت صوتا أجش قوى النبرات يدوى فى الفضاء « لا اله الا الله محمد رسول الله » وقد علمت بعد ذلك أنه صوت بحار صعيدى كان يعمل بين بحارة هذه الباخرة ، في هذه اللحظات لحظات النزع الاخير سمعت هذه الكلمة المقدسة ، وكأن الله قد أرسلها الى على لسان ذلك البحار المصرى المسلم لأستقبل الموت على الايمان والتسليم

قلت ابتلع الماء عمداً لاموت . أجل فعلت ذلك فابتلعت من ماء البحر جزءا كبيرا علنى أموت بالاختناق قبل أن يطول عذابي بين الامواج، لكننى- ولا أدرى كيف - قد عدلت فجأة عن هذا العزم ،وحل بقلبى من الطمأنينة والتسليم ما حرت فى تعليله الى اليوم ، كنت فى هذه اللحظات الرهيبة استقبل الموت راضيا مطمئنا ، وتحولت مخاوفى ومفازعى الى رضا وهدوء ، وعلمت كذلك كيف تمر أمام خاطر الانسان شتى الذكريات فى دقائق لماحة سريعة كما تمر مناظر الافلام السينمائية فى دورتها السريعة الخاطفة ، وقد نشرت أمام عينى كل صحف حياتى المطوية ، ورأيت آمال المستقبل تمر مر الهواء ، وقلت فى نفسى هى ساعة أعرف فيها كيف يموت

الانسان ثم تطوى صحيفتى من هذه الدنيا

.

كنت فى لحظة النزع الاخير أطفو على سطح الماء أحيانا ، وكنت أحيانا تخور قواى فأنزل الى القاع ، وبينما أنا أصعد من القاع فى احدى المرات الى سطح الماء اذ صدمنى فى رأسى لوح من الخشب ، وصعدت الى سطح الماء ونظرت الى هذا اللوح الخشبى فاذا عليه اثنان من ركاب السفينة أحدهما طبيبها والثانى عامل تلغرافها اللاسلكى ، ومد أحدهما الى يده فصرت بجانبهما ! كل منا يحتل من اللوح مالا يزيد عن النصف متر بمقدار مايجلس ويضع رجليه فى الماء ، وظلت الامواج تعلو بهذا اللوح وتهبط ونحن فوقه كأننا سمرنا به فلا سبيل الى أن تنزعنا منه

فى هذا الفضاء المظلم اللانهائى ،وبين تلك الامواج الصاخبة العاتية ،جلست على طرف اللوح الخشبى أنظر الى صاحبى وينظران الى فى وجوم وذهول ، ثم انفجر صـــاحبى الطبيب يتحدث ويصخب ويستهتر كأن نوبة من الجنون قد أصابته وكان كما علمت « زبون » غرق ، فان هذه المرة لم تكن الاولى بل كانت الرابعة ، وتمر بجوارنا الاسماك الضحمة ساكنة كأنها لا تحفل بنا ولا يلفت نظرها مرآنا

وما زلنا على هذه الحال ، نموت باليأس ونحيا بالآمال ، الى أن كانت الساعة السادسة صباحا على ما علمنا بعدفقد كان اللوح يسير بنا كما تشاء الامواج المتدافعة لا كما نشاء ، وكان الأمل يملأ

نفسى فى هذه الليلة بالنجـــاة ، بل ظننت انى نجوت فعلا حين جلست على اللوح الميمون

فى الساعة السادسة صباحا أى بعد عشر ساعات لا يعلم بمدى آلامنا فيها الا الله لمحنا عن بعد شبح باخرة مقبلة ، وبعد قليـل دنت منا هذه الباخرة فاذا هى احدى الباخرتين اللتين كانتا تقومان بحراسة بواخرنا قبل الغرق !!! ومدت الينا الحبال فصعدنا اليها فاذا بها نحو ثلاثين راكبا من ٥٥٠ راكبا فنوا جميعا ولم يبق لهم من أثر

٭

حملتنا السفينة الى الاسكندرية ، وكم كان منظرا مفزعا تقشعر من هوله الابدان حين نظرت بعد صعودى الى البـاخرة فرأيت أشلاء الغرقى تطفو على وجه الماء ومن بين هؤلاء التعساء تلك السيدة الفرنسية !! عرفتها بثيابها واولادها من حولهـــا مشتبكون كأنهم أقسموا ألا يفرق الموج بينهم ، رأيتهـا مع أولادها لا تضحك أو تلعب في هدوء كما كانت تقول لى معزية مسلية ، لكنى رأيتها أشلاء تطفو على وجه الماء مع أولادها الصغار



أبو صلاح ملك الربابة ! ! !

شخصية موسيقية نادرة (١)

الليل هادئ ساكن يصغي للحن السماء، والطرقات موحشة خرساء، وأستار الظلام تلف القصور الشاهقة في غياهبها، وتحيط بنواصيها وذوائبها، هنالك في أحياء ذوي الجاه والثراء تطوف في هدأة الليلة الليلاء، كما تطوف الاحلام برؤوس النيام، ولقد يروعك في هذا الصمت الموحش صوت خافت ينبعث من احدى شرفات تلك القصور، وتتسمع لهذا الصوت فتتلاحق خطاك إلى مبعث الصوت والترجيع، حتى تصير بقربه فاذا أنت تسمع لحناشجيا ساحراً، ويشيع الطرب في أوصالك، فتقف ذاهلا عن الليل ووحشته والفجر وإغفاءته، وتسأل نفسك عن أصل هذا الصوت فتحار في معرفة أصله ونوعه، فلا هو صوت ناى، ولا صوت عود، ولاصوت قانون، وكأن هذا الصوت الذي تسمعه

(١) صالح احمد الشاعر أو «أبو صلاح» كما يعرف في أوساط السماع والطرب شخصية موسيقية نادرة، وقد نال الحظوة لدى الامراء والعظماء وكبار السادة لما يبديه من المهارة الفائقة في التوقيع على وتر واحد ومختلف الألحان الافرنجية والعربية .

مزيج من هذه الاصوات جميعها ، أو هو كل هذه الاصوات مؤتلفة متناسقة ، وكأنك فى موقفك تسمع لفرقة عازفة مكتملة

فاذا قدر لك أن تخترق الحجب ، وأن تشهد حفل هذا القصر الحافل الفيت نفسك أمام صفوة من علية القوم وذوى الخطر والجاه واليسار ، يتساقون ويطربون ، ورأيت هـــذه « الفرقة العازفة » عبارة عن شخص واحد فى ثياب بلدية زاهية ، وفى يده كل هذه الآلات الموسيقية مجتمعة فى شخص « ربابته المحبوبة ».

و « أبو صلاح » فى الثامنة والاربعين من عمره ، أسمر اللون ضاحك الوجه ، لاتفارق الابتســـامة شفتيه ، ويظل طربوشه منبطحاً إلى الوراء تاركا جبهته البارزة ، وذؤابته المنفوشة تطلان على سامعيه فى غير كلفة أو إكتراث ، وهو غليظ البطن صغير المنكبين ، وتتحلى أصابعه بالخواتم الثمينة ، ويرتدى الثياب البلدية الغالية الثمن

وحياة هذا الموسيقى الذى نبت فى عالم الفن كما تنبت بعض الزهور « الشيطاني » حياة عجيبة حافلة بشتى الصور والالوان

* * *

كان أخوه الاكبر شاعرا يتغنى بقصص دياب والزناتي خليفة، وأبو زيد الهلالى على الربابة . وكان هو إذ ذاك فى الثامنة من عمره فأغرم بسماع الربابة وأحبها حبا ملك عليه قلبه ومشاعره وأخذ يخلو بنفسه فى البيت بعد خروج أخيه فيتناول إحدى رباباته ويعالج التوقيع عليها بغير قواعد مرسومة ، أو طريقة مفهومة ، وما زال كذلك حتى استطاع أن يحاكى أخاه بعد شهور

قليلة ، ولقد كانت دهشة اخيه بالغة حين دخل عليه فى بعض الايام فاذا به يوقع باجادة واتقان ، واستصحبه فى لياليه ، وسمعه الناس فأعجبوا به إعجابا شديداً حتى صاروا يفضلونه على أخيه الاكبر فى كثير من الاحيان . أما هو فلم تكن أذنه الموسيقية لتقنع بهذا المقدار من التوقيع الدارج السوقى ، فراح يسمع الالحان المختلفة ثم يعود ليرغم « الربابة » على محاكاتها تماما حتى دهش الناس لهذه الظاهرة الطبيعية الخارقة

*

واشتهر « أبو صلاح » وذاع صيته منذ عام ١٩١٢ حيث حفلت بشأنه الصحف الاجنبية . ومن ذلك مانشرته جريدة ذى اجبسيان مورننج نيوز بعنوان المغنون المتنقلون فى مصر » :

« ان الاغانى العربية التى عزفها وغناها صالح أحمد الشاعر الربابى العربي كانت من نوع حاد ممتع شائق ، بحيث كنا نهتز عند سماعها ونقوم ونقعد كالدراويش حين تأخذهم الجلالة السماوية فى حلم سامى التصور »

وكتب صديقنا الاديب النابه الاستاذ ادجار جلاد فى سنة ١٩٢٧ بجريدة البورص الغراء فصلا شائقا بعنوان « العازف على الربابة » وقد مهد لذلك بمقدمة طريفه فى وصف مترب حانة من حانات العاصمة ثم قال :

« .. غير أنا اذا وصفنا اثنين أو ثلاثة فلا بد من أن نصف « عم صالح » حينما يأتي ليذهب عنا الملل ، لكن من أين يهبط علينا عم صالح ؟ لا أحد يعرف ؛ فهو يطوف بنا كل ليلة ومعه كمنجته

الفلاحى أو ربابته ...

« ... ومادة عم صالح الموسيقية غزيرة ومختلفة الالوان ، نغمته العربية تشبه فى أنينها وحزنها قطعـــة مجنون ليلى ، وهو يستطيع أن يخرج بأنامله المارشات الحربية والنغمات المتزنة لفرقنا العسكرية ، ويقال أن عم صالح يوقع مايوقع من أجل مزاجه الخاص . ولشد ما كانت دهشتنا حين سأله أحد رواد القهوة ضاحكا :

« والموسيقى الافرنجية هل تعرف أن تعزفها ؟ أظنها صعبة عليك » فأجابه عم صالح « بتبويزة » ازدراء وقال : « صعبة على أنا ؟ اذن فأسمع » ثم ابتدأ يوقع «توسكا» فعم السكون الحانة ، ودهش الجميع وتولاهم الذهول

« وعم صالح يستطيع أن يعزف جميع الاوبرات » حزينها وفرحها على الربابة بحرارة وبشاشة ومقدرة عجيبة »

* *

ويعرف « ابو صلاح » قدر فنه فيعتزبه ولا يقبل ان ينال منـــه أحد بكلمة مزاح أو عبارة فكهة وينحى على الكتاب المصريين باللائمة لانهم أهملوه ولم يشيدوا بذكره كما فعل أدباء الافرنج فى صحفهم التى تصدر فى مصر وغير مصر . ولقد رأينا أن نقوم بهذا الواجب ابتغاء وجه الفن الذى يقدسه أبو صلاح ويفتخر به ، ولقيته في طوافه على عادته كل ليلة بما يليق بمقام فنه المبتكر وصيته الذائع وقد حسبنى ـ بادىء الامر ـ أرغب فى سماعه فمد يده إلى جيبه المسحور ليخرج منه « الربابة » العظيمة

التى لاأدرى كيف يستطيع وضعها فى جيبه مع كبر حجمها وطولها الذى لايقل عن متر تقريبا . قلت له .

« لايا أبو صلاح الطرب دا بعدين ، انما إيه رأيك فى اللى عاوز يكتب عنك صفحة ؟

فأجاب مبتسما : « ربنا يطول عمرك يابيه يعنى لما افتكرتم بعد أربعين سنة ! »

فنظرت اليه فى دهشة من عتبه المؤلم اللاذع . وقلت له : « معلهش ياأبو صلاح المسامح كريم ، إذا كنا ما كتبناش عنك فى السنين اللى فاتت أدحنا عاوزين نكتب عنك الليله إيه رأيك ؟»

ـ الرأى رأيك يابيه

ـ احنا غرضنا نكتب عنك علشان الناس يعرفوا ازاى اتعلمت

ـ لا والله ياسيدنا البيه ان كان على كده أنا نفسى معرفش ازاى اتعلمت ، أهو شىء آلهى كده وهبةمن ربنا اسمع الحاجة مرة واحدة وحياة شرفك مايمكن تفر من ودني أبدا الا لما أكون عرفتها تمام

ـ حتى الحاجات الافرنجى ، دى ياأبو صلاح ؟

ـ وأبوها كمان مش بس الافرنجى ، والتركى والعجمى والشامى وكل شىء تسمعه ودنى بفضل من ربي لازم أقوله . بالربابة أم وتر واحد دى ! ! وآدى الشهادات اتفضل . . .

ثم أخذ يخرج من جيبه شهادات مجلدة كثيرة فاذا هى من ذوى مقامات رفيعة وكلها صريحة في أطرائه والاعجاب بعبقريته

وها نحن نثبت بعض هذه الشهادات تفكهة للقراء :—

- ١ -

حضرة المحترم صالح أفندى الشاعر

بعد السلام الرجا حضوركم لسراى سمو البرنس يوسف كمال بالمطرية الساعة السابعة و الدقيقة ٢٠ مساء اليوم ١١ ابريل سنة ١٩٢٤ ومعكم الادوات تعلقكم والحذر من التأخير حسب أمر سمو البرنس

عثمان صالح (بالدائرة)

- ٢ -

يدعو سعادة الحكمدار حضرة صالح افندى الشاعر صاحب الربابة للتواجد بمنزل سعادته يوم الاحد الساعه ٩ مساء والرجا عدم التأخير ؟

يوزباشى محمد طلعت . بكباشى سليم

- ٣ -

هذه الشهادة تثبت مقدرة الشيخ صالح الربابي ، وهو واسع التجربة ، وأذنه فى غاية الدقة ، وعزفه رقيق ، وإذا كان ابنه يحذو حذوه ويصل علمه إلى ما وصل اليه علم أبيه فانه سيتمتع بشهرة ذائعة فى عالم الموسيقى .

امضاء (رسل باشا)

أسلفنا أن أبي صلاح أغرم بالربابة وهام بها وهو فى الثامنة

من عمره ، والآن وقد جاوز الثامنة والاربعين فانه يكون قد تعلق بها منذ أربعين عاما ، ولقد كانت هذه الصناعة تدر عليه رغد العيش « أيام زمان » على حد تعبيره فكان دخله اليومى من صناعته جنيهين ، أى إنه كان يحصل في الشهر على ستين جنيها مما يجود به عليه محبو فنه . فتزوج ورزق أربعة أبناء ، أكبرهم سلامه صالح ، ويليه عبد العزيز صالح وهو موظف بالحكومه ، ويليه عثمان صالح ، وهو الذى نوه بذكره رسلى باشا فى شهادته ، ذلك لان أباه علمه التوقيع على الربابه وهو فى الخامسة من عمره فكان موضوع دهشة الجميع ، وقد كبر هذا الطفل وانتظم فى سلك المدارس الاميرية وهو الآن طالب بالمدرسة الخديويه الثانوية بالسنة الثالثة ، وأصغرهم احمد صالح وهو طالب بالمدارس الابتدائية . أولئك جميعا رباهم أبو صلاح فأحسن تربيتهم ، وانها لنزعة شريفة تلك التى نزع اليها ذلك الرجل فى تربية أبنائه وانه لجدير بمساعدة الحكومة له فى اتمام تعليم هؤلاء الابناء بعد أن كسدت صناعته فى هذه الايام

والآن هل أدينا واجبك في سبيل الفن يا أبا صلاح ؟



السجين !! ..

فى عام ١٩١٩ فى فجر النهضة الوطنية المصرية ، كان الداخل الى فناء مدرسة الطب ، يرى بين طلاب تلك المدرسة ، فتى أسمر اللون ربع القامة ، قوى الساعدين ، متهللا لا تفارق الابتسامة شفتيه ، فاذا جال طرفك فى تقاسيم وجهه والتقى بصرك ببصره ، تولاك الخوف والرعب كأنك تجيل طرفك فى وجه عملاق جبار ، وكأن بصرك قد تلاقى ببصر مقتحم مخاطر ، تتمثل فى نظراته مخاوف الدنيا ومهالكها لكنك حين تجلس اليه متكلما أو مستمعاً . وحين تنبسط معه فى الحديث ، لا ترى منه غير نقاء السريرة ، والسذاجة المحبوبة الجذابه ، والطلاقة التى يكاد يسبق بها ماتناجى به نفسك من خفيات الضمير ، ونجوى الفؤاد

هذا هو حلمى بين زملائه طلاب مدرسة الطب فى فجر النهضة المصرية ، يروح ويغدو بين رفاقه وعشيرته متهلل الوجه ضاحك السن ، ريفي الحديث ، لا تكلف فيما تسمع من حديثه ولا تعمل ، وهو التلميذ الطيب القلب الذى لا يحابى ، ولا يتملق ، ولا يعرف معنى المداهنة فى أساليب الحياة ، وهو التلميذ الذى يخطب طلاب مدرسته فى جرأة وصراحة يدعوهم الى شد أزر الحركة المصريه ، ومناصرة أبطالها ودعاتها لم يغره وعد ، ولم يثنه وعيد .

وقضى الله أن يكون حلمى أحد اولئك الذين اتهموا فى

المؤامرة السياسية الاولى. وجرت الاقدار بعد ذلك، بما عرف الناس من الحكم على فريق من هؤلاء بالاعدام، ثم ما كان من إبدال حكم الاعدام بالسجن المؤبد، وكان بين المحكوم عليهم بالاعدام بادىء الامر حلمى الذى نحدثك اليوم عن سلسلة مخاطراته بعد أن حكم عليه بهذا الحكم، وما كان من فراره وتنكره ووصوله الى الاستانة.

* * *

الآنسة «س. ف.» فتاة حادة الطبع سريعة الانفعال تتحدث اليك فتتسابق كلماتها الى لسانها، ولا تكاد تحدثك عن أمر ذى بال. حتى تراها قد «كركبت» الدنيا بشتى الموضوعات، ومختلف المباحث. والمشروعات حتى لتحار فلا تدرى أى حديث تسمع، وأى حديث تدع، وهى إحدى فتيات النهضة المصرية، حيث قامت بشطرها الاكبر من الجهاد المشكور، واعتقلتها السلطة العسكرية فى أبان الثورة المصريه مع شقيقتها الآنسة «ع. ف.» ثم أفرجت عنهما بعد قليل.

رأت هذه الفتاة إذ ذاك ان تعين المسجونين السياسيين على الفرار فراحت تدبر الخطط العديدة لاحداث حريق بسجن «قره ميدان» الذى كان يحوى هؤلاء المسجونين ودفعها إخلاصها لهم واشفاقها عليهم إلى أن تتوغل فى تدبير هذه الخطط، وكان بين المسجونين فتى أجنبي يجيد التكلم باللغة العربية كأحد أبنائها، ولم يكن ذلك الاجنبى فى الحقيقة مسجونا سياسياً. بل كان جاسوساً يجلس بين المسجونين ليسمع أحاديثهم ويقف على أسرار زوارهم، الذين كانوا يترددون على السجن كل شهر مرة.

لمح هذا الفتى على أسارير وجه الفتاة «س.ف» صورا شتى مما كانت تحدث به نفسها ، وظل يراقبها كلما إلى السجن لزيارة المسجونين حتى تمكن من الوصول إلى بعض خطابات كانت كتبتها سراً على ذمة توصليها إلى أحد المسجونين ترسم له فيها طريقة فرارهم إذا هى نجحت فى خطة إحراق السجن جرى فى ذلك تحقيق دقيق ، وكان من جراء هذا التحقيق أن حرّمت مصلحة السجون زيارة المسجونين السياسيين ثم أعقبت ذلك تفريقهم إلى سجون مصر المختلفة

كان سجن الزقازيق من نصيب حلمى ــ وظل أهله يترددون عليه لزيارته من حين الى حين ، وكان حلمى قبل سجنه كما أسلفنا أحد طلاب مدرسة الطب ، ولم يكن بينه وبين إتمام دراسته فيها سوى عام وبعض عام ، إذن عز على حلمى أن يذبل غصن آماله فى المستقبل ، ومنذ ذلك الحين بدأت فكرة الهرب تتجسم أمام عينيه فى غدواته وروحاته ، وراح يكد ذهنه ويعمل فكره فى تدبير وسيلة الفرار من السجن ليلا ! ! وبعد أن أتمها أسر بها إلى بعض أهله فى إحدى زياراته ليكون فى انتظاره حيث يتلقفه فى جنح الليل فيخلع عنه ثياب السجن ويقدم اليه ثياباً أخرى ثم يذهبان إلى حيث يكون المخبأ مهيأ

كان حلمى طالب طب قبل أن يكون سجيناً ، وكان دمث الاخلاق محبوبا من كل أصدقائه وعارفيه ، فلا غرابة إذن ان ينال

رضاء حراسه من ضباط السجن وعساكره وهو بحكم معرفته للشئون الطبية يعمل فى القسم الطبي بالسجن « كتومرجي» وتحت يده كمية كبيرة من الاربطة التى يربط بها المرضى في إصابات كسر بعض الاعضاء ونحوها هذه الاربطة ما أجملها حين تفتل منها الحبال ليلا لتكون هي « سلم النجاة» الى الارض

والحارس ؟ الحارس أو قل الحراس من السهل التأثير على عقولهم بادىء الامر بالاساليب المؤثرة عن الوطنية والضحايا والدماء والاشتراك في الاسلام والوطنية ،والحراس بسطاء يمكن ان ينال المتحدث اللبق من نفوسهم ما يبغى دون عناء أو نصب !! فاذا استعصى عليه ان يفتح قلوبهم بهذه الوسيلة فلديه المفتاح « الذهبي » الذى يستطيع أن يفتح به جميع الابواب .

وفى جنح ليلة رهيبة الظلام من ليالى شهر نوفمبر سنة ١٩٢٢ لو قدر لانسان أن يتجلبب بغياهب الليل فى الطريق المؤدية إلى سور سجن الزقازيق الخارجى لو قدر لانسان هذا الموقف لرأى سجينا يتسلق هذا السور إلى الارض تحمله الحبال القوية المفتولة من أربطة مستشفى السجن ، هذا السجين المقتحم المخاطر هو الطالب حلمى . وبعد بضعة خطوات ترى على مقربة من سور السجن إنسانا آخر يحمل فى يديه ثيابا غير ثياب السجن البغيضة وهنا لا تسمع بينهما حديثا ولا همسا ، فالصمت سائد والليل رهيب والنجوم الصغيرة تبدو فى السماء بنورها الخافت الضائع فى أجواز الفضاء المظلم كأنها تشفق على ذلك المتشح بظلام الليل الهارب من عذاب السجن وآلامه ، وتخلع ثياب السجن ثم تلقي

بعيداً وتلبس تلك الثياب الاخرى، ثم يسير الاثنان في صمت وحذر شديد دون ان تنفرج شفاههم بكلمة أو همسة

ولما طلع صباح هذه الليلة الحافلة بالمفازع والمخاوف كشف بنوره عن صدر سجين الامس غياهب الهموم والاحزان، وراح السجين فى مخبئه يستعد للفرار خارج القطر حيث يأوى إلى بلد يحميه قانونه الدولى وحيث يقبل على معهد الطب هناك فينهل من موارده ويقطع آخر مراحله، وتكون الحال قد بدلت غير الحال فيعود إلى بلده طبيبا موفقا يسعد بآماله ويجنى ثمارها

* * *

بعد ثلاثة أيام من ذلك اليوم وبعد ان نشرت الصحف خبر فراره مقتضبا موجزاً لا يزيد عن سطرين أو ثلاثة، وبعد أن حار الناس في تعليل ذلك الهرب الجرىء، وبعد أن أسقط فى يد رجال الامن لعجزهم عن معرفة مخبأ السجين الهارب وبعد ذلك كله كان السائر فى ميدان العتبه الخضراء أمام قسم الموسكى !! يرى أعرابيا رث الثياب، أشعث الشعر، أغبر الطلعة، حافى القدمين، يقود جملا مع أعرابي آخر أنظف منه ثيابا وأحسن اهابا

هذا الاعرابي الرث الاشعث الاغبر هو الطالب حلمى، وهذا الاعرابي الآخر هو «دليل الصحراء» العارف بمفاوزها ودروبها ووهادها وهضابها وهما معا فى طريقهما إلى الشام كعربان الباديه الاجلاف، وهما فى القاهرة الآن ليجهزا نفسيهما ببعض الامتعة للازمة لسفرهما الطويل

* * *

بعد رحلة شاقة وليالى سوداء وبعد مخاطرات على الحدود ومفاوز الطريق ، وصل « حلمى » إلى الشام ومنها إلى الاستانة ، وهناك خلع عن جسمه ثياب التنكر وراح بين النـــاس حرا طليقا ، ثم انتسب إلى مدرسة الطب بالاستانة فكان أحد طلابها النجبـــاء

ودارت الايام دورتها ، ووفق الله المغفور له الزعيم الخالد سعد زغلول إلى استصدار العفو عن المسجونين السياسيين ،وعم البلاد سرور شامل حين طلعت الصحف بهذه البشرى ، وخرج المسجونون فاستقبلتهم الكنانة بمظاهر الغبطة والفرح ، لكن أين حلمى

كان خبر الافراج عن المسجونين قد أبرق به إلى حلمى بالاستانه وعاد إلى مصر بعد ان استوثق من مساواته بزملائه فى العفو

* * *

.....ويشاء الله أن يعود الطالب حلمى بعد هذه المحن والكوارث إلى وطنه فيتقدم إلى إمتحانه النهائى ويظفر بالنجاح والتفوق ، ويصبح اليوم من أطبـــاء مصر المعروفين بالمهاره ،وها هو يدير مستشفاه الذى أسسه على أحدث النظم وأدقها



الماور الساحر

«وقعت حوادثها ببلاد السودان»

يتمتع ساحر القبيلة فى السودان بما لايتمتع به حاكم مطلق . فهو هناك السيد المطاع ، والزعيم الذى لايرد له قول ، لأنه ـ كما يعتقدون ـ هو الذى يشفي مرضاهم ، ويستنزل الرحمة على موتاهم ، ويزيد في نسل الدجاج اذا شاء ويضاعف محصول المزروعات اذا أراد ، فليس لمن استعصى مرضه واستفحل داؤه الا «الكجور» الذى يخاطب الجن ويأمر بطرد الاشباح الشريرة من دار المريض فتراه يطلق دخان البخور بين جوانب البيت ويقف هو يحمل دفا كبيرا يدور به حول نفسه وحول المريض ثم يهمهم بكلمات متقطعة وصرخات داوية ، كل ذلك وأهل البيت فى شبه ذهول بما استولى عليهم من الرعب وتأثير رائحة البخور وتصور الاشباح كأنها تحوم على رؤوسهم وتتجمع لتخرج إطاعة لامر الساحر المطاع !!!

ويموت أحد أفراد القبيلة فيذهب أهله بعد دفنه إلى صومعة الساحر يطلبون منه فى ذلة وضراعة أن يكتب لهم كتابة يرسلها إلى الله على أجنحة الهواء كى يغفر له ذنبه ويدخله الجنة وقد يمتنع الساحر عن إجابة طلبهم فى بعض الاحيان فيستولى عليهم الحزن والغم ويتوسلون اليه بمختلف الشفاعات حتى يعطف عليهم ويطلب لميتهم الجنة والغفران

واذا مرض الدجاج و « طاحت به الفرة » كما يقولون ، هرعوا إلى الساحر ليحضر إلى البيت ويمسك بيده كل دجاجة على حدة ويصرخ فى أذنها صرخات معروفة ثم يعضها فى عنقها عضة خفيفة ويرسلها ثم يتناول غيرها وهكذا حتى ينتهى منها جميعا

وكذلك اذا أصاب الزرع بوار أو تلف جيء له بالساحر ليلف حوله بكلمات مخصوصة ثم يكتب أربع ورقات صغيرة لتوضع كل ورقة في ركن من أركان المزرعة

وعلى الرغم من هذا النفوذ العظيم الذى يتمتع به الساحر في قومه فانه لا يسلم فى بعض الاحيان من أن تثور القبيلة ضده فتهجم على داره وتخرجه منها قهراً ثم تقيده بالحبال وتشعل فيه النار ، ويكون السبب فى ذلك غالبا دهاء رئيس القبيلة وخوفه على نفوذه من أن يتلاشى أمام نفوذ هذا الساحر . وذلك حيث يجمع رئيس القبيلة أفراد قبيلته رجالا ونساء ويفهمهم أن الساحر قد اتفق مع القبيلة المتادية على أن يرسل الجن لتفتك بدجاجهم ومزروعاتهم ، ولا يدبر هذا التدبير ضد الساحر فى العادة الا الرئيس المتنور لذى لا يعتقد بصحة اعمال السحرة والدجالين فتراه يحتال على محق السحر من قبيلته بهذه الطريقة وسرعان ما يثور رجال القبيلة على الساحر فينكلون به كما تقدم حتى لا يذهب الى الاعداء فيتواطأ معهم

ومن طريف ما يرويه ضابطنا المصرى فى مذكراته تلك الحادثة الشائقة التى وقعت له شخصيا حين كان مأموراً لمركز « مقولو » واسمه الآن مركز « النوب » بمديرية بحر الغزال

بينما كان المأمور جالسا فى مكتبه فى أحد الايام اذ دخل عليه شخص يقول ان المطر لا نصيب أرضه وأنه من أجل ذلك يطلب مطرا . ولما كان يعرف الشيء الكثير عن سذاجتهم فانه تناول ورقة وكتب عليها « اعطه مطراً » ثم أمره أن يقبض عليها بيده حتى يصل الى بلده وهناك يجد المطر قد نزل ، وكان الفصل فصل الأمطار ولم تكن الأمطار تنقطع أكثر من ثلاثة أيام ثم تعود فى اليوم الرابع على الأكثر ، وكان المطر قد انقطع منذ ثلاثة أيام حين حضر اليه هذا الشخص ، لذلك فأنه لم يكد يصل الى بلده حتى نزل المطر ، وشاع ذلك الأمر فى القبيلة فأصبح المأمور بعد ذلك مرموقاً بعين الثقة والاعتبار وأصبح المشايخ فى القبائل يأتون اليه كلما انقطع عنهم المطر وهو لا يزيد عن أن يكتب لهم الورقة المعلومة فيحملونها الى بلادهم فرحين مترقبين هطول الأمطار . لكن المصادفات السعيدة لم تستمر دائماً فقد وفد عليه شيخ يطلب مطراً فأعطاه ورقه مكتوبة كسابقاتها فتناولها وعاد أدراجه الى بلدته وكانت على مسيرة ساعات قلائل ووصل الى بيته وظل ينتظر الأمطار فلم تهطل ، وعاد إلى المأمور يقول ان المطر لم ينزل ـ وكان قد مضى على انقطاع الأمطار ثلاثة أيام ـ فقال له المأمور : « انك لابد رجل خبيث وغير صافى النية ولا تحب مساعدة الحكومة ولذلك لم ينزل لك المطر »

ومن أظرف ما حدث أنه كان كذلك حقاً فتاب الى الله على يديه وأصبح موالياً للحكومة وأعطاه ورقة أخرى وكانت الايام الثلاثة لانقطاع الامطار قد انتهت فلم يكد يصل الى بلدته حتى

هطلت الامطار بشـــدة وأصبح إلى اليوم مواليا للحـــكام خاضعاً لاوامرهم معتقداً أن الحكومة تستطيع أن تمنحه الامطار كلما أراد وأصبح المأمور بعد ذلك أكبر «كجور» عرفته بلاد بحر الغزال قاطبة فهو عندهم «الكجور الاعظم»

وإذ ذاك دب الحسد فى نفوس السحرة هناك وأخذوا يخشون على نفوذهم عند الاهالى فأجمعوا أمرهم على أن يذهب اليه شيخ معمر من شيوخ سحرتهم فى جمع حافل من الاهالى ليعرض أمامه خوارقه والعابه ويطلب منه أن يفعل مثلها فاذا عجز كانوا هم السحرة حقا وكان هو كاذبا . وحضر اليه هذا الجمع فى بعض الايام وطلب منه أن يخرج إلى ساحة المركز ليشهد ألعاب الساحر ويقوم بمثلها إن كان ساحرا . وعندئذ خاف المأمور على نفوذه السحرى أن يتلاشى وأخذ يفكر في طريقة يقهر بها هذا الساحر العنيد فأسعدته بارقة لامحة من التفكير فخرج اليهم يتهادى فى سكون وكبرياء ثم قال لهم :

ـ أين ساحركم ؟ فقالوا : ـ هذا هو

وأشار اليه فذهب إلى مكان ووقف بجواره على مرأى من من قومه وقال له : ـ أنت ساحر ؟ قال : ـ نعم قال :

ـ أنظر إلى يدى وفمى قبل أن تبدأ بعرض ألعابك فسأمد يدى في فمى واخرج أسناني ثم أعيدها كما كانت فان استطعت أن تفعل كما سأفعل جئتك الى ماتريد وقمت بألعاب كالتى تريد أن تعرضها على وإذا لم تستطع فأنت الكاذب وأنا الساحر

وتقدم المامور إلى الجمع ولوح بيديه الفضاء ثم مد يده فى فمه فأخرج منه (طقم الاسنان) وكان مع حداثة سنه إذ ذاك قد خلع كل أسنانه ووضع مكانها أسنانا صناعية ؛ فلم يكد يمد يده فى فمه ويخرج منه أسنانه حتى ضج القوم وعلى صياحهم وأسقط فى يد ساحرهم وآمنوا جميعاً بسحره وعجز ساحرهم ـ طبعا ـ عن أن يمد يده إلى فمه فيخلع أسنانه وعاد مطرقا حزينا حيث عجز عن مجاراة سحر الحكرمة !!! وظل القوم بعد ذلك يوالون الحكام ويخضعون لاوامرهم لان سحر هؤلاء الحكام أقوى من سحر سحرتهم ، ولولا هذه البادرة التى أسعف المأمور فى محنته لتهدم مابناه فى نفوسهم من الطاعة والخضوع و الموالاة

الشيخ احمد

وقعت حوادثها بمركز بلبيس

كان الشيخ أحمد .. عمدة قرية ـ رجلا طيب القلب ، نقي السريرة ، محمود السيرة ، معروفاً بين الناس بالورع والتقوى ، وكان لسخاء يده وفرط كرمه مثقلا بالديون لايقوم بسداد بعضها حتى تقهره الظروف فيستدين ويستدين ، ويظل كذلك

مروعا بطلب الدائنين فلا يفيق من « حجز » الا إلى حجز ، ولا يستمهل دائنا إلا ليرضى سواه و كذلك شاءت الاقدار أن يكون هذا الرجل الكريم هدفا فى كل أيام حياته لارهاق دائنيه وعنت مطالبيه

فاذا كنت في القرية عصر أحد الايام رأيت الشيخ أحمد يجلس أمام منزله الكبير فى عصبة من أصدقائه وعشرائه يتحدثون عن محصول القمح و دودة القطن وبوار المحاصيل وضنك الفلاح ومرض الماشية وما إلى ذلك من أحاديث أهل القرى ومذاكرتهم، كل ذلك والشيخ أحمدذاهل عنهم لايساجلهم الحديث ولا يفيق من ذهوله الا إذا وجه اليه بعض الجالسين سؤ الافى شأن من الشؤون فيضطر لاجابته بصوت مضطرب وعبارات قصيرة مقتضبة ، ويميل اليه أحد أصفيائه فيسأله عن سبب حزنه و اكتئابه فيعلم منه ان بيع مواشيه ومحصول القمح سيكون غداً تنفيذا لامر الحجز الذى أوقعه الخواجه قسطندى و انه لايملك الآن من مبلغ الخمسمائة جنيه المطلوبة لسداد هذا الدين جنيها واحدا . ولا يكاد هذا الصديق المواسى يسمع حديث الشيخ أحمد حتى تبدو على وجهه أمارات الحزن والوجيعة أشفاقا عليه ورثاء لحاله ، ثم يطرق هو الآخر مليا ويطول صمته وتفكيره ويعود فيخرج من هذا الصمت فيقترح على الشيخ أحمد أن يقوم برفقته فيقصد إلى أحد معارفه فى القرية المجاورة ليبثه شكواه ويرجوه فى طلب هذا المبلغ الذى يريده دينا إلى أجل معين ، وتشرق أسارير وجه الشيخ أحمد

لهذا الحل الموفق ويدفعه الامل فى الحصول على المبلغ المطلوب فيأمر باعداد مطيتين له ولصديقه ويأخذ ان طريقهما إلى القرية المجاورة

وبينما هما فى طريقهما إلى القرية المجاورة يتحدثان أطيب الاحاديث ، ويسألان الله ألا يخيب رجاءهما فيما يقصدان اليه . ويصلان إلى القريه إذ يلقاهما صديقهما أحسن لقاء ، ويعرضان عليه حاجتهما فيجيبهما إلى مايطلبان راضيا مغتبطا ويقوم فيحمل اليهما المبلغ من خزانته ، ويتسلمه الشيخ أحمد شاكرا لاهجا بالدعاء له والثناء عليه حيث أنقذه الله على يديه من فضيحة الغد وعاره ثم يهمان بالانصراف ـ والليل قد أقبل بظلمته ـ فيأبى عليهما المضيف الانصراف خوفا عليهما من وحشة الطريق وظلمة الليل وفتك اللصوص :

ـ والله مايمكن ياعم الشيخ أحمد تروحوا فى الليل المعتم ده أبداً ، هو إحنا مش حنقدر على عشاكم . والا إيه ؟

ـ كتر ألف خيرك يابو محمود ، الجهد والمروءة مفهومة

ـ لكن ياعم الشيخ أحمد السكة وحشة والحرامية اليومين دول شايفين كيفهم و نتم معاكم مبلغ زى ده ميصحش المجازفة به فى الليل

ويطول الحوار بينهما على هذا النحو ثم تكون الغلبة للشيخ أحمد ويخرج مع صديقه قاصدين قريتهما فرحين بتحقيق أملهما ونوال بغيتهما

فاذا كنت فى طريقهما إلى قريتهما كشف لك سواد

الليل عن سواد القلوب وهتك الجشع الانساني أستار الرياء والمداهنة، ومزق الغدر ثوب الصداقة القديمة التي طال أمدها وامتد إلى عشرين عاما أو تزيد !!!

« خمسمائة من الجنيهات !! يحملها الشيخ أحمد في جيبه وهو الرجل الضعيف المتهدم وأنا الرجل القوى الشديد البأس، ماذا على لو انقضضت عليه فانتزعتها منه قسراً ثم أجهزت على حياته وجرحت نفسى ثم صحت أغيثوني أغيثونى فاذا أقبل الناس من قراهم قصصت عليهم قصة ملفقة وأدعيت أن لصوصا انقضوا علينا فاستلبوا المال من صاحبي بعد أن قتلوه وجرحوني ثم فروا هاربين ؟؟ لاشيء فى هذا وأصبح غنيا ويموت هذا العجوز فيستريح من عناء الدنيا وآلامها وإذن فلأبدأ قبل فوات الفرصة.

كذلك كانت النفس الخبيثة الجشعة تختلج بهذه الخواطر وكذلك طغى حب المال على هذه النفس فأمات فيها كل شفقة ورحمة ووفاء

لكن الشيخ أحمد كان يحمل « مسدسا » وهذا الصديق الغادر لم يكن يحمل غير « مدية » صغيرة فكيف يستطيع أن يجهز عليه دون أن يحتال على اخذ المسدس ؟

اسمع ياعم الشيخ أحمد هات المسدس اللى معاك أشيله وأنا ماشي وراك بحيث أني أحرسك وأنت ماشى قدامى

ـ ياسيدى خليها على الله ربنا يستر

لألا ياعم الشيخ أحمد الاحتياط أحسن أنت حيخس عليك. إيه لما أنا أشيل المسدس وأكون ماشى وراك وآخد بالى من.

السكة

وكان الشيخ أحمد طيب القلب كما أسلفنا فخلع المسدس من جرابه وسلمه لصديقه الوفى المشفق عليه من فتك اللصوص!!! حتى إذا ماأصبح المسدس بيده وقف أمامه مكفهر الوجه متنمراً، ثم قال له بصوت مفزع مخيف - أين المال ؟

أما الشيخ أحمد فانه لم يصدق عينيه وأذنيه وحسب أن صديقه «الوفي» يمزح بمافاه به دعابة وتسلية وقطعا لطول الطريق لكن الصديق الغادر لم يكن مازحا أو مداعبا ، بل أعاد عليه الطلب مرة ثانية فى عبارة أكثر حدة وأشد عنفا فهال الرجل ماراًى وما سمع ، ونزل عن مطيته كما نزل صاحبه ووقف كل منهما ينظر فى وجه الآخر نظرات حادة عميقة :

- شوف ياشيخ أحمد موتك ضرورى مفيش فيه حيلة
- يابنى أنا فى عرضك أنا في طولك
- مفيش فايدة ! !
- طيب يابنى الفلوس خدها وأنا يتولى بى ربنا وعليك أمان الله محدش ياخد خبر
- دا كلام فارغ أنا مجنون أدى عقلي لغيرى، ومن يضمن لى عدم الفضيحة ثم صوب المسدس إلى رأس الرجل وهم با-'لاقه

وكان الرجل قد خارت قواه وتهدج صوته وأوشك أن يموت قبل أن تصل الرصاصة إلى رأسه فرق قلب صديقه الغادر بعض الشيء واستمع لضراعته البا كية فاذا هو يطلب اليه أن يرحم شيخوخته فيميته ميتة غير هذه الميتة . أمامه « الســاقية »

فليذهب اليها فيبل منها منديله ثم يضعه فى فم الشيخ فيموت لساعته وإذن فليوثقه قبل أن يذهب هو إلى الساقية، ويستسلم الشيخ المسكين إلى قضاء الله فيرتمى موثق اليدين والرجلين خائر القوى يرتقب الموت من يد صديقه الحميم !!

أما الصديق الحميم!!!!الغادر فقد ذهب إلى الساقية وهى على بعد خطوات من الطريق، وكانت ساعة رهيبة تلك التى ألقى فيها بالشيخ احمد على جانب المزرعة موثق اليدين ينظر إلى شبح الموت وهو يحوم على رأسه

لم يعد الصديق الغادر بالمنديل المبلل الذى راح يعده للقضاء على عشيره وولى نعمته وصديقه القديم، وطال انتظار الشيخ المسكين حتى لكأنه ذاق الموت فى هذه اللحظات مرات!

وتمضى فترة على هذا المنظر الرهيب فى سواد الليل وسكونه ثم يشاء الله أن ينجو هذا الشيخ من مخالب الموت فيسوق اليه فى هذه اللحظة رجال البوليس أثناء مرورهم لحراسة الليل، ولم يكد يراهم مقبلين حتى يستغيث بصوت متهدج مبحوح، وينزل رجال البوليس فيفكون وثاقه ويتبينه ضابطهم فيعرفه ويسأله عن خبره فيقص عليه قصته المفجعة، ويتوجه الضابط ورجاله إلى الساقية التى ذهب اليها الشقى الخائن فيبحثون عنه فلا يجدونه ثم يكشف الضوء عنه جثة غارقة فى قاع الماء دون أن يعرف أحد كيف زلت قدمه فى هذه اللحظة الحافلة بضروب الخيانة والختل والجشع، ولا كيف وصل إلى قاع الماء فلقى حتفه وهو يحمل فى يده الآلة الآثيمة التى كان يعدها لقتل صديقه وصفيه

كتب للمؤلف تظهر قريبا

شعراء العصر فى الميزان

رسائل فى النقد والأدب تناول فيها المؤلف بالبحث والتحليل أظهر شعراء العصر فى مصر . فى ثلاثة أجزاء

كيف أؤلف كتبي !!!

أحاديث طريفة لأعلام المؤلفين فى مصر أبان فيها كل منهم عن طريقته فى التأليف وشعوره نحو مؤلفاته بعد ظهورها وأحب كتاب اليه منها ، ويعتبر هذا الكتاب الأول من نوعه فى عالم التآليف العربية

شعراؤنا فى مواقفهم الحرجة

رسائل موجزة عن مذاهب الشعراء المعاصرين وأحاديث شائقة تحدث بها شعراء مصر عن الساعات الرهيبة التى مرت بهم فى حياتهم العامة ومواقفهم الحرجة التى وقفها كل منهم وهم ينشدون الشعر فى المحافل ويخطبون الجماهير